بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

جرد

"الحرية السياسية في الإسلام"

إعداد الطالب
عبد الله إبراهيم الجـــــالي

إشراف
الدكتور غازي اسماعيل ربابعة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على
درجة الماجستير في العلوم السياسية
بكلية الدراسات العليا
في الجامعة الأردنية

١٤١٣هـ / ١٩٩٢م

عميد كلية الدراسات العليا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٤ /١١/١٩٩٢ وأجيزت

١ - الدكتور / غازي ربابعه - رئيساً

٢ - الأستاذ الدكتور / ياسين درادكه - عضواً

٣ - الأستاذ الدكتور / محمد الغزوي - عضواً

٤ - الدكتور / محمد الهياجنه - عضواً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شـكر ودعاء

لله عظيم الشكر والحمد فهو صاحب المن والفضل وأهل لكل ثناء . ثم أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير لكل من مدَّ يد العون لإتمام هذا العمل، وقدَّم النصح والإرشاد والتوجيه خلال البحث والدراسة والإعداد لهذه الرسالة .

وأخص بالذكر أستاذي الفاضل الذي أشرف على هذه الرسالة الدكتور غازي ربابعة حفظه الله. الذي تولاني في بحثي بالرعاية الطيبة والنصح المتواصل والتوجيه السديد، حيث لم أرَ منه إلا الخير وكل الدعم، مما دفعني إلى إنجاز هذا البحث بالسرعة الممكنة .

كما وأنوّه بالشكر لأساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة وأساتذتي في قسم العلوم السياسية .

ودعواتي إلى الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

عبدالله المجالي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

الفصل الأول : مفهوم الحرية، الحرية السياسية في الإسلام

ورؤيا الكتاب والسنة لذلك ٥

المبحث الأول : مفهوم الحرية في التشريعات المختلفة ٧

المطلب الأول : مفهوم الحرية عبر بعض العصور ٩

المطلب الثاني : مفهوم الحرية عند العرب قبل الإسلام وبعده ١٤

المبحث الثاني : الحرية السياسية في القرآن الكريم ٢٠

المبحث الثالث : الرؤية القرآنية والرؤية النبوية للحرية السياسية ٣٣

المطلب الأول : الرؤية القرآنية للحرية السياسية ٣٣

المطلب الثاني : الرؤية النبوية للحرية السياسية ٤١

الفصل الثاني : التطبيقات السياسية لمفهوم الحرية السياسية في الإسلام ٥٢

المبحث الأول : الشورى والحرية السياسية ٥٦

المطلب الأول : أهمية الشورى في الإسلام ٥٦

المطلب الثاني : حكم الشورى ونطاقها ٦٠

المطلب الثالث : الشورى السياسية وأهلها ٦٤

المطلب الرابع : الشورى والولاية العامة ٦٨

المبحث الثاني : مبادىء النظام السياسي في الإسلام والحرية السياسية ٧٣

المطلب الأول : الحاكمية والحرية السياسية ٧٤

المطلب الثاني : الطاعة والحرية السياسية ٧٨

المطلب الثالث : العدل والحرية السياسية ٨١

المبحث الثالث : حرية غير المسلمين وحرية المرأة في الدولة الإسلامية ٨٥

المطلب الأول : حرية غير المسلمين في الدولة الإسلامية ٨٥

المطلب الثاني : نظرة تحليلية للواقع السياسي ٩٠

المطلب الثالث : حرية المرأة في الدولة الإسلامية ٩٤

المطلب الرابع : نظرة تحليلية للواقع السياسي ٩٨

الفصل الثالث :الحرية والتعددية السياسية في الإسلام ١٠٤

المبحث الأول : مفهوم التعددية السياسية في الإسلام ١٠٦

المطلب الأول : مفهوم التعددية السياسية من منظور إسلامي ١٠٦

المطلب الثاني : المعارضة السياسية وحقها في الإسلام ١١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني : مظاهر الحرية السياسية في الإسلام ١٢٢
المطلب الأول : حرية الرأي والتعبير ١٢٤
المطلب الثاني : حرية الانتخاب (رئيس الدولة ، مجلس الشورى) ١٢٨
المبحث الثالث : القيود والحدود والضمانات للحرية السياسية في الإسلام ١٣٧
المطلب الأول : مبادئ وقيود الحرية السياسية في الإسلام ١٣٧
المطلب الثاني : ضمانات الحرية السياسية في الإسلام ١٤٥

الفصل الرابع : الممارسة السياسية لمفهوم الحرية في الإسلام ١٥١
المبحث الأول : دولة المدينة المنورة والخلافة الراشدة ١٥٣
المطلب الأول : دولة المدينة المنورة ١٥٣
المطلب الثاني : دولة الخلافة الراشدة ١٥٨
المبحث الثاني : الدولة الأموية والدولة العباسية ١٦٤
المطلب الأول : الدولة الأموية ١٦٥
المطلب الثاني : الدولة العباسية ١٦٨

الفصل الخامس : الحرية السياسية بين الإسلام والنظم الوضعية ١٧٢
المبحث الأول : حرية الانتخاب ١٧٣
المطلب الأول : حرية الانتخاب في الإسلام ١٧٣
المطلب الثاني : حرية الانتخاب في الأنظمة الوضعية ١٧٦
المبحث الثاني : حرية المعارضة ١٨٠
المطلب الأول : حرية الرأي والمعارضة في الإسلام ١٨١
المطلب الثاني : حرية الرأي والمعارضة في الأنظمة الوضعية ١٨٤

الخاتمـــــة ١٨٨

المراجـــــع ١٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخـــص

جاءت أهمية هذه الدراسة في تناول موضوع يعتبر من أكثر المواضيع ارتباطاً بحياة الانسان وهو الحرية ، حيث وضحت الدراسة مفهوم الحرية السياسية من وجهة النظر الإسلامية ، وبينت الحرية السياسية في الإسلام كنظرية ثابتة ومنطلق واضح في السياسة الشرعية في الإسلام . وقد ركزت الدراسة على بيان الأهداف التالية :-

١- ابراز الحرية السياسية في النظام السياسي الإسلامي كأساس ومنطلق ثابت من منطلقات السياسة الشرعية .

٢ - بيان مدى الترابط بين مفهوم الحرية السياسية في الإسلام وإمكانية الممارسة العملية لها في نظام سياسي اسلامي معاصر .

٣ - الاعتبارات العامة لمفهوم الحرية السياسية ومدى علاقتها مع بعض المفاهيم العصرية مثل التعددية والمساواة بين المرأة والرجل وحرية غير المسلمين .

٤ - بيان واقع التجربة السياسية في الإسلام من خلال الممارسة الحقيقية لهذه التجربة .

لقد تناولت الدراسة بإيجاز بيان مفهوم الحرية بين الماضي والحاضر وركزت على مفهوم الحرية السياسية من منظور إسلامي حتى نهاية حكم بني العباس ، وأوضحت كذلك النظرة الإسلامية المعاصرة لمفهوم الحرية السياسية .

ولقد أجابت الدراسة على جملة من الأسئلة أهمها مفهوم الحرية بشكل عام ومفهوم الحرية السياسية في الإسلام من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وما هي علاقة بعض المفاهيم الإسلامية (مثل الشورى والطاعة والحاكمية) بالحرية السياسية للأفراد ؟

لقد تناولت الدراسة موقف الإسلام من قضايا مهمة مثل التعددية السياسية والمعارضة السياسية ، وحرية المرأة ، وحرية غير المسلمين في الدولة الإسلامية ، وما هي أبرز مظاهر الحرية السياسية في الإسلام ، وما هي قيودها وضماناتها . كما أظهرت الدراسة التجربة السياسية لمفهوم الحرية السياسية في الإسلام .

لقد جاءت الدراسة موضحة لمفهوم الحرية من منظور غير اسلامي وذلك من أجل الكشف على الجوانب السلبية والإيجابية في الحضارات القديمة والحديثة، كما أظهرت الدراسة ومن خلال التحليل وضوح مفهوم الحرية السياسية ، في القرآن الكريم من خلال عدد من الآيات وكذلك في السنة النبوية من خلال الأحاديث الشريفة والسيرة النبوية .

كما أوضحت الدراسة المفاهيم الأساسية في النظام السياسي الإسلامي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمتعلقة بالشورى كقاعدة اساسية في نظام الحكم الإسلامي . وكذلك الطاعة والحاكمية والعدل ومدى علاقتها بالحرية السياسية سلباً وايجابا.

وكان من الضروري أن تبين الدراسة حرية المرأة في التصور الإسلامي وكذلك حرية غير المسلمين في الدولة الإسلامية . وهذا ما تم شرحه في وضوح تام . كما أفردت الدراسة التجربة السياسية الإسلامية من خلال واقع الحياة السياسية في الدول الإسلامية . خلال فترة الحكم الراشدي وحكم بني أمية وبني العباس .

هذا وقد أظهرت الدراسة القيود والضمانات التي أقرها الإسلام من أجل المحافظة على حرية الأفراد قوية ومصانة .

وفي الفصل الأخير من الدراسة ، كانت الدراسة المقارنة بين النظام السياسي في الإسلام والنظم الوضعية - من حيث حرية الإنتخاب - وحرية الرأي والمعارضة .

وفي نهاية الدراسة توصل الباحث الى النتائج والتوصيات التالية :

١ - ضرورة اعتماد مواد السياسة الشرعية وتدريسها في المعاهد والجامعات .

٢ - ضرورة تبني المراكز الثقافية والأندية ووسائل الإعلام المختلفة ، فكرة عرض موضوعات الحرية السياسية في الإسلام .

٣ - قيام نخبة من الباحثين بوضع مسودة دستور اسلامي ونظام سياسي اسلامي عصري متكامل .

٤ - قيام نخبة من أهل الفكر الإسلامي بعرض صورة الإسلام الصحيحة والمعاكسة تماماً لكل الادعاءات الباطلة ضد مفهوم الحرية السياسية في الإسلام .

٥ - أهمية تطبيق الشريعة الإسلامية في الأنظمة العربية والإسلامية المعاصرة .

٦ - إجراء دراسات متخصصة في مواضيع حرية المرأة في الإسلام ، حرية غير المسلمين في الدولة الإسلامية ومقارنة شاملة بين حرية الفرد في الإسلام والنظم الوضعية .

٧ - ضرورة صياغة مصطلحات سياسية إسلامية تتناسب ولغة العصر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

The importance of this study emerged in dealing with a subject that is considered one of the most subjects associated with human's life, and that is political freedom, where the study clarified the concept of plolitical freedom from the Islamic point of view, and it displayed the political feedom in Islam as a firm theory and an evident approach in legitimacy policy in Islam, and the study concentrated on displaying the following aims :

1- The display of political freedom in the Islamic political system as a basis and a firm approach of legitimacy policy approaches.

2- The display of the degree of association between political freedom in Islam and the possibility of its practical application in a modern Islamic political system.

3- The General Considerations of Political freedom concept and the degree of its relationship with some of the modern concepts such as multiplicity and equality between the woman and the man , and the freedom of Non-Muslims.

4- Display of the reality of the political experience in Islam through the actual practice of this experience.

The study dealt in summary with the display of freedom concept in past and present time and it concentrated on the political freedom concept from an Islamic perspective until the end of Bani-AlAbbas reign, it also clarified the modern Islamic look towards political freedom concept.

The study answered several questions, mainly, freedom concept in General and polictical freedom concept in Islam through Holy Qur'an texts and the pure Sunna, and what is the relationship of some Islamic cencepts (Such as consultation, obedience, and Judicative) with the individuals political freedom?

The study dealt with the position of Islam towards important issues such as political multiplicity, political opposition, woman freedom, Non-Muslims freedom in the Islamic state, and what are the main political freedom aspects in Islam, and what are its restrictions and guarantees. The study also displayed the political experience of political freedom concept in Islam.

The study clarified the freedom concept from a Non-Muslim perspective in order to reveal the negative and positive sides in modern and old civilization, the study also displayed through analysis the clarity of political freedom concept in the holy Qur'an through a number of texts and in the Sunna through the honourable sayings of the prophet.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The study also clarified the major concepts in the Islamic Political system which is concerned with consultation as a basic rule in the Islamic reign system - and obedience Judicative, Justice and degree of its relation with political freedom negatively and positively.

It was necessary for the study to display the woman freedom in the Islamic perspective and the Non-Muslims freedom in the Islamic state -- and this has been explained explicitly.

The study also allocated the Islamic political experience through the political life reality in the Islamic state .. through the era of Al-Rashdi reign, Bani Omaia and Bani Al-Abbas reign.

The study did display the restrictions and guarantees which Islam ratified to preserve the individual's freedom strong and maintained.

In the final chapter, the study concentrated upon a comparison between political system in Islam and status systems .. as freedom of election and freedom of opinion and opposition.

Finally, the researcher concluded the following results and recommendations :-

1. The necessity of accreditation of legitimacy political courses, and to teach it in colleges and universities.

2. The necessity of adopting cultural centers and clubs and different press media to the idea of exhibiting the subjects of political freedom in Islam.

3. The performance of a selected researchers to lay down an Islamic Constitution draft and an integral modern Islamic political system.

4. The performance of a selected Islamic thought specialists to exhibit the correct Islamic picture and which is absolutely contrary to all the unjust allegations against the political freedom concept in Islam.

5. The importance of Islamic shari'as application in Modern Islamic and Arab systems.

6. The procedure of specialized studies in woman freedom subjects in Islam, Non-Muslims freedom, in the Islamic state and a comprehensive comparison between individual's freedom in Islamic and status systems.

7. The necessity of formulating Islamic Political terms that suits modern language.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

قال تعالى (يا أيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقنَاكُم مِّن ذَكرٍ وأُنثَى وَجَعَلنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لتَعَارفُوا إنَّ أكرَمَكم عِند اللَّهِ أتقَاكُم)[1] .

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بعثه الله مؤدباً للإنسانية ومُنقذاً ومُخرجاً لها من الظلمات إلى النور، (قَد جآءَكم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وكتَابٌ مُّبِينٌ، يَهدي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبعَ رِضوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخرجُهُم مِّنَ الظُّلمَاتِ إلى النُّورِ بِإذنِهِ وَيَهديهم إلى صِراطٍ مُّستَقيم)[2].

وأنزل عليه تشريعاً يحقق للبشرية أسمى آيات عزها ومجدها وحريتها واستقرارها ، وأعظم غايات سؤددها ومكانتها ورفعتها ، وأُصلي وأُسلم على آله وصحبه الطيبين الطاهرين الذين أعطوا الأجيال المتعاقبة نماذج فريدة في التربية والعطاء وتكوين الأمم، فكانوا بحق النماذج الرائعة والقدوة الحسنة لمن تبعهم إلى يوم الدين .

ومن فضل الله سبحانه وتعالى على البشرية أن جاءها بمنهاج شامل قويم في تربية النفوس وتنشئة الأجيال وتكوين الأمم وبناء الحضارات وإرساء قواعد المجد والمدنية ، وما ذلك إلا لتحويل الإنسانية التائهة من ظلمات الشرك والجهالة والفوضى والاستعباد والاستكبار إلى نور التوحيد والعلم والهدى والحرية والاستقرار .

لقد كرم الله الإنسان وفضله على كثير ممن خلق، ليضطلع بمسؤولياته ويؤدي المهمة الموكلة به، فكان شعاره في ذلك (وَلَقَد كَرَّمنَا بَني آدَمَ وَحَملنَاهُم في البَرِّ وَالبَحرِ)[3]. واعتبر الإسلام أن هذا الكون مسخرٌ للإنسان ليستعمله في خدمة العلم وخدمة الإنسانية وشعاره في ذلك (وَسخَّرَ لَكُم مَّا في السَّمواتِ وَما في الأرضِ جَميعاً مِّنهُ)[4].

ومنذ أن بزغ نور الإسلام حمل في طياته رسالة الحرية والمساواة وجاء ليخرج الناس من دياجير الظلم وعقابيل الظلام إلى حياض العزة والكرامة ، واعتبر الإسلام أن الأمة كلها واحدة لا فرق للون على لون ولا لجنس على جنس ولا لعربي

(١) سورة الحجرات ، آية ١٣ .
(٢) سورة المائدة ، الآيتان ١٥- ١٦ .
(٣) سورة الإسراء ، آية ٧٠ .
(٤) سورة الجاثية ، آية ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على أعجمي إلا بالتقوى .

سلكت الأمم السابقة طرقاً عدة في سبيل الحصول على حريتها وكان سبيلها في ذلك التضحيات الكثيرة ، أما في الإسلام فقد جاءت تعليمات هذا الدين منذ اليوم الأول لتقرر حقيقة واضحة وواحدة هي أن الناس جميعاً سواسية كأسنان المشط ، وجاءت لتبين أن الكبرياء لله وحده والعبودية لله وحده وأن الناس أحرار في ميزان الله تعالى ، وهذا ما دفع عمر بن الخطاب ليقول لأحد ولاته ، (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) .

يتصور بعض الناس أن الحرية في الإسلام في أدنى درجاتها، وقد بنوا تصورهم هذا على ضعف اطلاعهم على مبادىء هذا الدين وأصوله وأساسياته، كما أنهم لم يروا تجربة إسلامية حقيقية ليروا من خلالها كيف تكون الحرية في ظل الإسلام .

يتساءل بعض الناس هل في الإسلام حرية سياسية وإذا كانت فما هي أشكالها وما هي أبعادها وحدودها ؟. وهل كانت هناك ممارسة حقيقية لمفهوم الحرية السياسية في الإسلام ؟. هذا التساؤل سيجيب عليه الباحث من خلال بحثه إن شاء الله .

لقد جاءت أهمية هذا البحث في تناول موضوع يعتبر من أكثر المواضيع ارتباطاً بحياة الإنسان وهو الحرية السياسية، والملاحظ أن هناك فرقاً شاسعاً بين ممارسات الأنظمة الوضعية المعاصرة في الحرية السياسية وبين ما أعطاه الإسلام في هذه الحرية للفرد نظرياً وعملياً ، وعلى الرغم من ادعاءات الأنظمة المعاصرة (الشرقية منها والغربية) في مجال الحرية المعطاة للفرد، فإن واقع الحال ينبئ عن زيف هذه الادعاءات وأن المسلوب من حرية الأفراد أكثر بكثير مما هو معطى لهم ، ومن هنا أحس الباحث بضرورة إلقاء الضوء على أساسيات الحرية السياسية للفرد في الإسلام . ليتضح الفارق الكبير بين الإسلام والأنظمة المعاصرة في هذا المجال . وقد تناول عدد من الباحثين هذا الموضوع من وجهات نظر مختلفة إلا أن وجهة النظر الإسلامية لم تُعطَ حقها بشكل واسع، فكان من الضروري العمل على إبراز هذه الوجهة وتفصيل معانيها، وذلك بتوضيح مفهوم الحرية السياسية من منظورها الإسلامي .

وعليه فقد ركزت الدراسة على بيان الأهداف التالية :

١. إبراز الحرية السياسية في النظام السياسي الإسلامي كأساس ومنطلق ثابت من منطلقات السياسة الشرعية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. بيان مدى الترابط بين مفهوم الحرية السياسية في الإسلام وإمكانية الممارسة العملية لها في نظام سياسي إسلامي معاصر .

٣. الاعتبارات العامة لمفهوم الحرية السياسية ومدى علاقتها مع بعض المفاهيم العصرية مثل التعددية والمساواة بين المرأة والرجل وحرية غير المسلمين .

٤. بيان واقع التجربة السياسية في الإسلام من خلال الممارسة الحقيقية لهذه التجربة .

لقد تناولت الدراسة بإيجاز بيان مفهوم الحرية بين الماضي والحاضر وركزت على مفهوم الحرية السياسية من منظور إسلامي حتى نهاية حكم بني العباس، وأوضحت كذلك النظرة المعاصرة للحرية السياسية في الإسلام .

وقد أجابت الدراسة عن جملة من الأسئلة أهمها ما هو مفهوم الحرية بشكل عام وما هو مفهومها من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وما هي علاقة بعض المفاهيم الإسلامية (مثل الشورى والطاعة والحاكمية) بالحرية السياسية للأفراد؟.

كما بينت الدراسة موقف الإسلام من قضايا مهمة مثل التعددية السياسية، والمعارضة السياسية، وحرية المرأة وحرية غير المسلمين في الدولة الإسلامية ، وما هي أبرز مظاهر الحرية السياسية في الإسلام وما هي قيودها وضماناتها؟. كما أظهرت الدراسة التجربة السياسية لمفهوم الحرية السياسية .

إن المتتبع لحضارة المسلمين والمدقق في تاريخهم الأول وخاصة في دولة المدينة المنورة. ليلحظ أن أعلى مراتب الحرية مورست في تلك الفترة، ولم يشهد العالم نموذجاً حياً مشابهاً للنموذج النبوي ودولة الخلافة الراشدة .

إن الحرية السياسية في الإسلام حرية مسؤولة مصانة محاطة بالضوابط الربانية، فلا تخضع للهوى والشهوة وليست ملكاً لحاكم أو مسؤول ، فالحاكم والمحكوم في الإسلام سواء. والحاكم لا يملك إلا أن يحكم بما أنزل الله، وليس له سلطة استعباد أو استكبار على فرد من أفراد رعيته، وليست الحرية ملكاً له إن شاء منحها وإن شاء منعها .

لقد تطور مفهوم الحرية عبر العصور المختلفة حتى جاء الإسلام ووضع تصوره الخاص لمفهوم الحرية السياسية، وذلك من خلال النصوص الثابتة في القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية المشرفة، كما جاء مفهوم الحرية السياسية مترابطاً مع بعض المفاهيم السياسية التي أقرها الإسلام وأهمها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشورى والبيعة ومفهوم الطاعة والحاكمية لله .

وقد حدد مفهوم الحرية السياسية في الإسلام حرية المرأة، كما حدد حرية غير المسلمين في الدولة الإسلامية وهو ما بينته فصول هذه الرسالة .

جاءت التجربة السياسية الإسلامية لتعطي الدليل الحي على الممارسة الحقيقة لمفهوم الحرية السياسية، وقد بلغ هذا النموذج أوجَهُ في دولة المدينة المنورة، وبعدها في دولة الخلافة الراشدة، ولما ضعف الوازع الديني وتخلخلت بعض المفاهيم وتغيرت بعض الأصول الإسلامية في الحكم اهتز مفهوم الحرية لدى حكام بني أمية وبني العباس، وعليه فإننا نلحظ فرقاً واضحاً في مفهوم الحرية السياسية بين عهدي المدينة المنورة وعهد بني أمية وبني العباس ، كما أن التجربة السياسية لها مدلولها لدى الحركة الإسلامية المعاصرة من خلال بعض التطبيقات العملية داخل صفوفها وخارجها .

أما أنظمة الحكم المعاصرة في الرقعة العربية والإسلامية فإنها لا تمثل نموذجاً في مجال الحديث عن الحرية السياسية في الإسلام، وإن كان بعضها يدّعي الإسلام في نظامه، ففي هذه الدول تمارس بعض درجات القمع والإرهاب وتكميم الأفواه والعقول والأفكار. لقد مارست أنظمتنا العربية والإسلامية استعباداً واستكباراً على شعوبها كان من نتائجه هذا التخلف الذي نلحظه في أقطار وطننا الإسلامي الكبير كافّة .

وقد تناولت الدراسة الفصول التالية :

الفصل الأول : مفهوم الحرية، الحريةالسياسية في الإسلام ورؤيا الكتاب والسنة لذلك .

الفصل الثاني : التطبيقات السياسية لمفهوم الحرية السياسية في الإسلام .

الفصل الثالث : الحرية والتعددية السياسية في الإسلام .

الفصل الرابع : الممارسة السياسية لمفهوم الحرية السياسية في الإسلام .

الفصل الخامس : الحرية السياسية بين الإسلام والنظم الوضعية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

«مفهوم الحرية، الحرية السياسية في الإسلام ورؤيا الكتاب والسنة لذلك»

أُخذت الحرية من وصف الحر، فالحر والحريّة متلاقيان في المؤدى، والحر هو الذي تتجلى فيه المعاني الإنسانية العالية، ويضبط نفسه ، ويبتدئ الحر بالسيادة على نفسه وإطلاق عقله وإرادته من قيود شهواته . وإذا كان الحر هو الذي يضبط نفسه ولا يذل ويأنف من أن يهضم حقه وبالتالي لا يعتدي على حق غيره، فهو لا يمكن أن يكون معتدياً . لأنه يسيطر على أهوائه وشهواته ولإنه يعطي غيره ما يعطي لنفسه، ولأنه يحسُّ بالمعاني الإنسانية التي يجب أن يلتزمها بالنسبة لغيره .

وحقاً بأن الحر هو الذي يقدر الحرية في غيره كما يقدرها في نفسه، والدولة يجب أن تحيا فيها المعاني الحرة التي تحيا في أفرادها الأحرار[1].

تطور مفهوم الحرية عبر العصور المختلفة من قدماء اليونان وحتى يومنا هذا، وكان مفهوم الحرية مقترناً بحياة الإنسان ووجوده ، فالإنسان الأول عاش حرية مطلقة أشبه ما تكون بحياة الحيوانات في الغابة. غير أنه بعد أن تكاثر واصطدمت مصالح البشر مع بعضها البعض كان لابد من تنظيم حياة الناس حتى لا تصطدم المصالح بشكل يؤدي إلى دمارها ، من هنا كان تفكير الإنسان الأول بإنه لابد من تنظيم حرية الإنسان حتى تبقى هذه الحرية أولاً ، ومن ثم حتى تحفظ حرية الآخرين .

لقد لعب الزمان والمكان وطبيعة الإنسان دوراً هاماً في التعبير عن مفهوم الحرية، فكان لقدماء اليونان مفهومهم الخاص النابع من واقعهم ثم كان مفهوم الرومان وأهل الهند والصين وبلاد ما بين النهرين ، ثم جاء الإسلام الذي كان له فهمه الخاص فيما يتعلق بحرية الإنسان .

لقد غلب على مفهوم الحرية أنها الحرية السياسية، فعندما نسمع بهذا اللفظ فأول ما يتبادر لأذهاننا حرية الرأي وحرية التعبير والمشاركة السياسية، حتى أنّ الحرية في مدلولها الاقتصادي أو الاجتماعي أو الفكري غالباً ما تكون تبعاً للعقيدة السياسية والتوجه السياسي، ويجدر بنا ونحن نبحث في موضوع الحرية السياسية أن نبين مفهوم الحرية عبر العصور المختلفة، وسنتناول في هذا

---

(١) محمد أبو زهرة ، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام . بيروت : دار الفكر ، ١٩٦٨ ، ص ١٨٦-٢٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل دراسة مفهوم الحرية بشكل عام من خلال المباحث التالية :-

المبحث الأول : مفهوم الحرية في التشريعات المختلفة .

المبحث الثاني : الحرية السياسية في القرآن الكريم .

المبحث الثالث : الرؤية القرآنية والرؤية النبوية للحرية السياسية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول

مفهوم الحرية في التشريعات المختلفة

أخذت الحرية مفاهيم عدة من خلال تطور مدلولها على مر العصور ومن أهم هذه المفاهيم ما يلي :

١. تعني الحرية في مدلولها العلمي الصحيح ومفهومها الفلسفي المستند إلى المنطق والواقع (حرية التصرف والاختيار)، فهي والحق سواء، وقد ربط كثير من علماء الاجتماع الحرية بالحق وجعلوها الحد الفاصل بين مرتبة الإنسان والحيوان . فحيث لا حرية لا حق -وحيث لا حق لا حرية[١] .

٢. يقول العميد (دوجي) وهو كاتب ومؤلف غربي. في وصفه لفهم قدماء اليونان للحرية. إن مفهومهم للحرية كان يعني المساواة، فكان الفرد يعتبر نفسه حراً إذا كان تصرف الدولة إزاءَه لم يكن سوى مجرد تنفيذ أو تطبيق لقاعدة عامة وضعت جميع الأفراد على السواء. أي دونما تمييز بين الأفراد[٢].

٣. قال الرئيس الأمريكي (لنكولن) في خطاب ألقاه عام ١٨٦٤ (إن العالم لم يصل أبداً إلى تعريف طيب للحرية . فنحن وإن كنا نستعمل الكلمة ذاتها إلا أننا لا نقصد المغزى ذاته)[٣]. والحرية كما عرفها إعلان حقوق الإنسان لسنة ١٧٨٩ الصادر في بداية الثورة الفرنسية: هي حق الفرد أن يفعل كل ما لا يضر بالآخرين، وأن الحدود المفروضة على هذه الحرية لا يجوز فرضها إلا بقانون .

٤. وهناك قول للكواكبي : إن الأمة التي لا تشعر كلها أو أكثرها بآلام الاستبداد لا تستحق الحرية .

٥. يعرف (برونيسلافي مالينومنسكي) (وهو عالم اجتماعي كبير) ، الحرية بأنها تلك الأحوال الاجتماعية التي تتيح للإنسان أن يحدد غاياته بالفكر وأن يحققها بالفعل وأن ينال حصيلة تحقيقها، ويقول الفيلسوف البريطاني (لاسكي). الحرية في الحضارة الحديثة هي تلك الأحوال الاجتماعية التي تنعدم فيها القيود التي تقيد قدرة الإنسان على تحقيق سعادته[٤].

٦. فهم بعض الناس الحرية على أنها الحد من تدخل السلطة أو الحكام أو

---

(١) إبراهيم حداد ، الحرية عند العرب . بيروت : دار الثقافة ، ١٩٥٨ ، ص ١٠ .

(٢) عبد الحميد متولي ، الحريات العامة . الاسكندرية : منشأة المعارف ، ١٩٧٥ ، ص١٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩ .

(٤) منيف الرزاز، الحرية ومشكلتها في البلدان المتخلفة. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٢ ، ص ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السلاطين في الشؤون العامة والخاصة للفرد والجماعة، ولكن ليس بصورة قطعية. فلابد من تدخل السلطة ولو بشكل نسبي ، وقد وجدنا في القرن العشرين من ينادي بضرورة تدخل السلطة، حتى تلك الأنظمة التي تطبق المذهب الاقتصادي الحر مثل الولايات المتحدة الأمريكية ، وذلك من أجل العمل على استقرار العملة والمحافظة على الأسعار أو القيام ببعض الاشغال العامة التي يتطلبها الصالح العام ، كما أن بعض مظاهر النشاط العلمي والاقتصادي والاجتماعي لا يمكن تحقيقها عن طريق الأفراد وحدهم. بل لابد من دعم مادي وميزانية خاصة، وهذا يتطلب تدخل الدولة أحياناً ، فترك الحرية المطلقة للأفراد لن يكون فيه نفع للصالح العام .

٧. وعرف البعض الحرية على أنها القدرة على التصرف طبقاً لما تحدده الإرادة ، ومنهم من قال إنها الأحوال الاجتماعية التي تنعدم فيها القيود التي تقيد قدرة الإنسان على تحقيق سعادته، ومنهم من قال بأن الحرية هي الحال التي يكون فيها الإنسان سيد نفسه، وقال غيرهم هي الاستقلال الذي يملكه الفرد إزاء المجتمع الذي هو جزء منه. حيث أن هذا الاستقلال هو حق من حقوقه[1].

٨. وهناك مجموعة من الآراء حول مفهوم الحرية منها. أن الشرط الأساسي لاستمتاعك بالحرية هو ألا تعتدي على حرية الآخرين ، لك أن تمارسها دون أن تتعرض لحرية الآخرين، لك أن تقنعهم إذا أردت ، وأن تعرض عليهم قضيتك دون أن يصحب ذلك العرض والإقناع عمل من أعمال التهديد أو العنف أوالإلزام على أية صورة من الصور. ويرى طرف آخر أنّ الحرية هي غرض الإنسان في الحياة ولا تزال هواه الذي طالما قدم له القرابين وأنفق في سبيله أعز شيء يملكه .

ويرى بعض الناس بأن الحرية ليست إملاءً ولا تعليماً ولادراسة تأتي بالمعاناة ولكنها طبيعة خلقت مع الإنسان، وقد تضمحل في بعض الناس أو تُكبت ولكنها تظل أبداً سمة النوع الإنساني كمجموع . كما يرى آخرون أنّ الحرية ليست حقاً نظرياً ولا شيئاً يسجل في الكتب والقوانين والدساتير بل هي قبل كل شيء ممارسة[2].

من خلال ما تقدم نرى أن الحرية قد أخذت عدة مفاهيم اختلفت باختلاف الزمان والمكان وتأثرت بالفكر المعاصر لها، ولكنّها كانت في مجملها تدور حول مفهوم متقارب متناسق يمكن إجماله في النص التالي. (إن الحرية هي حرية التصرف بالقول والفعل ضمن إرادة منضبطة تعرف حقها وحقوق الآخرين).

---

(١) سليم ناصر بركات ، مفهوم الحرية في الفكر العربي الحديث. دمشق : دار دمشق ، ١٩٨٤ ، ص ٢٥ .

(٢) عبد الله العروي ، مفهوم الحرية . الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، ١٩٨١ ، ص ١٣- ص٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن بيان مفهوم الحرية قبل الإسلام في المطلبين التاليين :

المطلب الأول : مفهوم الحرية عبر بعض العصور .

المطلب الثاني : مفهوم الحرية عند العرب قبل الإسلام وبعده .

المطلب الأول

مفهوم الحرية عبر بعض العصور

كانت السياسة في الأزمنة القديمة ملكية مطلقة تقوم على تقديس البيوتات الخاصة كما كان في فارس، فقد كان آل ساسان يعتقدون أن حقهم في الملك مستمد من الله ولا يجوز لفرد أن ينازعهم هذا الحق، وكل من سواهم عبيد لهم، وقد عملوا ما في استطاعتهم للتأثير على رعاياهم لسلبهم حرياتهم حتى أذعنوا لهذا الحق الملكي المقدس وصارت لهم عقيدة يدينون بها .

وكان الصينيون يسمّون ملكهم الإمبراطور (ابن السماء)، ويعتقدون أن السماء ذكر والأرض أنثى، وكان الإمبراطور هو الأب الوحيد للأمة. له أن يفعل ما يشاء، وكانوا يقولون له (أنت أبو الأمة وأمها) وليس لغيره في الامة حق ، بل إن الأمة وما تملك تُعتبر ملكاً له لا يجوز منافسته فيه . فالحرية له وحده وغيره ليس لهم إلا أن يطيعوه ولا يعصوا له أمرا ، ويمكن بيان ذلك على النحو التالي :

١. مفهوم الحرية عند قدماء اليونان . يقول المؤرخ الفرنسي الكبير (فوستيل دي كولانج) بما معناه : لم تكن هناك حرية للأفراد، فالفرد عليه أن يعتنق دين الدولة وليست له ملكية فالفرد وثروته تحت تصرف الدولة . كما أنّ الحريات الشخصية لم تكن مكفولة إذ كان يجوز نفي أي فرد بموافقة جمعية الشعب دون محاكمة ودون اتهامه بجريمة معينة، وربما لسبب واحد هو أنه فرد طموح له أطماع كبيرة ويُخشى انقياد الناس له. أو أنه أصبح له نفوذ كبير، وهذا ما كان يسميه قدماء اليونان (الاستبداد المحتمل). وهذا جزء من مفهوم الحرية في زمانهم قبل الميلاد[1].

وكان المجتمع اليوناني القديم يتكون من عدة طبقات أهمها : طبقة المواطنين ، وهم الذين يحق لهم المشاركة في الحياة السياسية مثل الاجتماعات والمؤتمرات والمناقشات . وأمّا الطبقة الثانية فهي طبقة الأجانب الذين كانوا يقطنون المدن اليونانية وليس من الممكن حصولهم على الجنسية اليونانية أو المشاركة في الحياة السياسية . والطبقة الثالثة : هي طبقة العبيد وكانت تعدل الثلث تقريباً وكانت محرومة من جميع الحقوق السياسية .

٤١٦٢٨٤

(١) عبد الحميد متولي ، الحريات العامة ، ص١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالرغم من وجود المنظمات السياسية المعروفة آنذاك مثل الجمعية العامة ومجلس المدينة ومجلس الخمسماية ومجلس القيادة إلا أنها كانت مقصورة على طبقة المواطنين فقط، وكانت الحرية عند قدماء اليونان تعني الحد الفاصل بين المواطن والعبد . فالإنسان الحر في عرف الإغريق هو الشخص الذي لم يخضع للعبودية . وبالرغم من أن الحرية عندهم كانت تمتاز بمظهرين بارزين هما استقلال كامل عن كل إكراه شخصي، والخضوع والطاعة للقانون العام ، إلا أن هذه الحرية كانت فقط لطبقة المواطنين دون غيرهم . وهذا يعطي مدلولاً واضحاً على أن الحرية كان لها فهمها الخاص مثلما هي الحرية في النظم الشمولية (حرية داخل الحزب)، وليس لغير أعضاء الحزب. فبالرغم من فهم معنى الحرية. إلا أن الخطأ يكمن في ممارسة التطبيق الخاطئ لهذا المفهوم.

ولعل حادثة إعدام سقراط الذي كان يُكنى بسقراط الحكيم خير مثال على مدى الالتزام بحرية الأفراد.

لقد فهم قدماء اليونان الحرية كما حددها أرسطو بأنها الحالة التي يكون فيها الإنسان حاكماً ومحكوماً بصفة دورية. وفي عرف أرسطو: الحرية بمثابة القبول الإرادي لنظام معين [1] . وهناك قول لسقراط الذي أعدمته ديموقراطية أثينا :إن فصل الشمس عن الدنيا أهون من فصل حرية الفرد عن أنظمة المجتمع.

٢. مفهوم الحرية عند الرومان. أعطى عدد من المفكرين أهمية خاصة لمفهوم الحرية وحقوق الإنسان ومفهوم المساواة بين البشر ، وقد قام عدد من المفكرين الرومان بالمناداة بمبدأ الحرية والمساواة الطبيعية، حيث كانت الرذيلة قد عمت واقع الحياة في عهدهم، فقد انحدر النظام إلى أحط المستويات، واستعبد الإنسان أخاه الأنسان وحلّت الخطيئة بالأرض. فبدل أن يكون الإنسان أخاً للإنسان وأن لا فضل لإنسان على آخر. كان العكس هو الموجود.

لقد ولدّ فساد الروح عند الإنسان شهوة التحكم ونزوة الاستبداد، ودفعت به إلى آثام لا تغتفر. مثلما هي دكتاتوريات القرن العشرين بما تقترفه من خطايا بحق شعوب الأرض باسم الحرية والديموقراطية.

لقد اعتبر نظام الكنيسة الذي ظل ردحاً من الزمن يحكم العالم أن قيام العبودية والملكية وغيرها من النظم التي تقوم عليها المجتمعات المختلفة من أوجه العلاج الضرورية للمجتمع[2] . وزاد الأمر سوءاً بعد أن تحكم الجبابرة من ملوك وقياصرة في حكم البشر وحريات الشعوب. فقد هضمت أدنى الحقوق الضرورية

---

(١) إبراهيم اباظة وعبد العزيز الغنام ،تاريخ الفكر السياسي. بيروت :دار العباسي، ١٩٧٣ ،ص٦-ص٢٠.

(٢) ابراهيم اباظه وعبدالعزيز الغنام ، تاريخ الفكر الاسلامي، ص١٠١-ص١٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللازمة لحياة الناس، ولم يعد الناس في نظر الحكام إلا خدماً أو جنوداً أو حراساً لهم، وهذه هي الحال التي وجدها الإسلام حال وصوله أرض الروم وأرض فارس. فكانت الحالة هذه استعباداً للإنسان وبيعاً للرقيق والعبيد، وسلطة البلاد في يد حاكم واحد فقط وبقية الشعب إنما هم عبيد الحاكم والسلطان، فلم يكونوا يتمتعون بأدنى درجات الحرية من العمل والتملك والتنقل ، أما الحرية السياسية فلم يكن لها أي وجود. بل لم يجرؤ أحد على الحديث عنها. من هنا كان مجال الاستغراب عظيماً عندما رأى الفرس والروم أنّ جندياً من عامة جنود المسلمين يملك حرية التصرف والتفاوض باسم المسلمين جميعاً، وينوب عن القائد والحاكم معاً. وعندما رأوا كيف يعامل قادة المسلمين جنودهم انبهروا بهذا واستغربوه واستنكروه. لأنهم لم يعهدوا مثل هذا التعامل ومثل هذه الحرية بين صفوفهم. في وسط هذا الجو ظهر بعض المفكرين الذين دعوا إلى تحرر الإنسان ومنحه حريته، فقد نادى القديس أوغسطين بمبدأ محاربة عبادة الدولة، فقال بأنّ الدولة لا تملك الحق أن ترفع من شأنها لدرجة العبادة، وأهاب بالدولة بعدم إجبار المواطنين على اللادينية والباطل، ونادى كذلك بتخفيف السلطة الأبوية حيث قال: إذا أمرك الوالدان بعمل شيء ضد الوطن فلا تسمع لهما. وكذلك إذا أمرتك الدولة بشئ ضد الله فلا تطعها. وقد ربط أوغسطين وجود الدولة بوجود العدل بل ويخصها بذلك ، ويعتبر أنّ الأغنياء بدون عدالة ما هم إلا عصابة من اللصوص تأكل حقوق الآخرين وتهيمن عليهم[1].

حكم الرومان بلاد الشام حوالي سبعماية عام. فكان حكمهم استبداداً وطغياناً وقتلاً للنفس وقهراً للحريات العامة، فلم يحظ المواطن بأية حرية سوى خدمة سيده والقيام عليه. يقول (روبرت بريفولت) وهوكاتب أوروبي يقول، عن الدولة الرومية، لم يكن سبب انقراض دولة روما وسقوطها الأساسي الفساد الزائد (كالرشوة وغيرها) بل كان الفساد والشر وعدم المطابقة بالواقع (مما صحب نشوء هذه الدولة من أول يومها) كان سبباً في إبادتها وانهيارها . لقد رأينا الدولة الرومية كيف كانت وسيلة لرفاهية طبقة قليلة على حساب الجماهير الكثيرة التي استغلتها شر استغلال وامتصت دماءها [2] .

من خلال ما تقدم نرى كيف كان مفهوم الحرية لدى الرومان وما هو وزن الحرية التي كان يمتلكها الأفراد إن كانت لهم حرية . لقد وصل الحال بهم أن أصبحوا (فقط) عبيداً لحكامهم لا يعرفون غيرهم ، لا قيمة لهم تذكر كأفراد فكيف

---

(١) ابراهيم اباظه وعبدالعزيز الغنام ، تاريخ الفكر الاسلامي، ص١٠٨-ص١١٨.

(٢) ابو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين. الكويت: دار الانصار ،١٩٧٧، ص٧٦-٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بحرياتهم ؟.. وهذا يبين لنا البون الشاسع بين هذا المفهوم ومفهوم الإسلام لحرية الإنسان ،ولهذا كانت الشعوب التي فتح الإسلام بلادها تواقة لنسيم الحرية، وعليه فقد رحبت بالإسلام الذي فتح أبواب حريتهم قبل أن يفتح أبواب بلادهم .

٣. مفهوم الحرية عند الفرس . لم يكن حال الفرس بأفضل من غيرهم إن لم يكن أسوأ، فكانت الدكتاتورية والجبروت والطغيان . وكان الغنى لأفراد معدودين والفقر لمعظم أبناء الشعب . الحكم في عائلة الساسانيين لا ينازعهم فيه أحد . لهم الحكم ولهم أن يكنزوا من النقود ويدّخروا ما يشاؤون ، وكانت المناصب وقفاً على بعض بيوتهم ذات الجاه والثروة والنفوذ، وكانت الطبقية في المجتمع، والفرق شاسع بين طبقة وأخرى . فالطبقات المقهورة مسلوبة الإرادة والحرية تعاني من البؤس والشقاء ، وكان الترف واضحاً على طبقة الحكام والنبلاء ، وتظهر قسوتهم على من دونهم من أفراد المجتمع الآخرين. حتى شهدت الطبقات الدنيا اضطهاداً شديداً ولاقت قضاء محتوماً وصاروا في بعض أيامهم يفضلون الموت على الحياة [1] .

لقد تمثلت حياة استعباد الإنسان للإنسان بأعلى درجاتها في بلاد الفرس حتى أصبح الطاغوت إلهاً يُعبد من دون الله، ولم يكن لأفراد الشعب أية حرية يتمتعون بها بل لم يجرؤ أحد على الحديث عنها . ولهذا ظهر عجبهم من حديث ربعي بن عامر يوم أن دخل على قائدهم رستم مفاوضاً باسم قائد جيش المسلمين، وهم الذين لا يستطيع أحد منهم الحديث سوى القائد .

فكان حديث ربعي بن عامر وهو جندي عادي من جنود المسلمين ويتحدث باسم القائد وينوب عنه مثار إعجاب وإكبار. علاوة على الروح العالية التي دخل بها قيادة الجيش الفارسي. حيث دخل بأسلوب الجندي الحر الذي يملك كامل حريته ولا يخشى إلا الله، وهذا ما علمه إياه الإسلام، فقد علمه أن لا يخضع ولا يركع إلا لله سبحانه وتعالى.

وهكذا نجد أن الحضارات القديمة شرقيها وغربيها قد قامت على استبداد واضح وقهر لحرية الأفراد في غالب أحوالها . فقد قتلت هذه الإمبراطوريات وهذه الدكتاتوريات حرية أفرادها بل قتلت وجودهم ، فقد شهدت استبداداً لا مثيل له من سفكٍ للدماء ومصادرةٍ للأموال وقهرٍ للحريات وهتكٍ للأعراض، وتصامٍّ أهل الحل والعقد عن شكوى المظلومين حتى صار الناس يعدون الأوضاع الفاسدة قضاءً محتوماً. وكل ذلك كان في نفوس الأفراد، غير أنهم لمصادرة حرياتهم لم يجرؤ أي منهم أن يجاهر بقول الحق. حتى كانت النهاية بزوال هذه الإمبراطوريات

(١) أبو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ٧٨ – ٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العظمى وزوال سلطانها. ولعلّ هذا ينبئ بزوال قوى الشر والقهر والقوى المعادية لحرية الأفراد وكرامتهم مهما علت هذه القوى وامتد سلطانها. وما زوال مملكة الشاه في إيران إلا خير مثال على ذلك، وأقرب من هذا ما حصل للأنظمة الشمولية التي قهرت حرية الأفراد في آسيا وأوروبا فأين ذهب الاتحاد السوفياتي؟. إن حرية الأفراد وكرامتهم هي السائل الذي يذيب جور الطغيان والظلم والاستبداد .

٤. مفهوم الحرية في أوروبا : لعب رجال الدين في أوروبا في عصورها الوسطى دوراً فاعلاً بالاستخفاف بعقول الناس وطمس هويتهم ومصادرة حرياتهم، وكان من أعظم أخطاء رجال الدين وأكبر جناياتهم على أنفسهم وعلى الدين الذي كانوا يمثلونه أن دسُّوا في كتبهم الدينية المقدسة معلومات بشرية ومُسلّمات عصرية عن التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعة والفواجع، ووضعوا تعاليم ما أنزل الله بها من سلطان، وكفّروا كل من لم يدن لهم، ولم يكن بمقدور أي فرد معارضة الرهبان والقساوسة، وإذا ما أظهر الفرد أدنى معارضة للرهبان والقساوسة كان الحكم عليه جائراً وعنيفاً لأن الفرد لا يملك من حريته شيئاً ، ولقد قاوم رجال الكنيسة كل بارقة في مجال حرية الأفراد، حتى في العلوم البسيطة. فكفروهم واستحلوا دماءهم وأموالهم باسم الدين، وأنشأوا محاكم للتفتيش من أجل العقاب كما يقول البابا (أولئك الملحدين والزنادقة الذين هم منتشرون في المدن والبيوت والأسراب والغابات والحقول). وهكذا عوقب العالم الطبيعي الشهير (غاليليو) بالقتل لأنه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس . ويقدر عدد الذين حاكمتهم محاكم التفتيش في أوروبا بحوالي (٣٠٠) ثلاثمائة ألف أحرق منهم إثنان وثلاثون ألفاً أحياءً، وكان منهم العالم الطبيعي المعروف (برونو). واستمر الحال في أوروبا هكذا حتى عصر النهضة الذي ثار فيه العلماء والفلاسفة والحكماء على رجال الكنيسة، حيث بدأ تحرر الإنسان الأوروبي من سلطة الكنيسة وصكوك غفرانها ومحاكمها ، وكان للتحرر الذي شهدته أوروبا أثرٌبالغٌ في نهضتها الحديثة وحضارتها، وعليه يمكننا القول أنّ طمس الحرية وكتم أنفاسها كان سبباً مباشراً في انحطاط أوروبا في عصورها المظلمة ، وكان لتحرر العقلية والإرادة الأوروبية دورٌ مباشرٌ في بزوغ فجر الحضارة الأوروبية الحديثة ورقيها .

لم يكن للفرد من حريته شيء، فكانت قيمته ناقصة ومبتورة ، كان نظام الطبقات(طبقة رجال الدين) والنبلاء والأشراف وطبقة الحراس وطبقة العبيد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذين لم يكن لهم من الأمر شيء سوى ما يكلفون به من أوامر ، لقد قُتلت حرية التفكير واستحال قيام معارضة للأنظمة القائمة من الكنيسة وطبقة النبلاء ، وحيث لا توجد مساواة في مزاولة الحرية، والحكم بالإعدام على كل معارض دون سماع دفاعه عن نفسه. في تلك الظروف قامت مبادىء المعارضة للثورة على الظلم والاضطهاد وكبت الحريات فكانت بناءً على ذلك فلسفة الثورة الفرنسية التي صنعت الديموقراطية الغربية الحديثة. يقول روبسبير وهو من قادة الثورة الفرنسية (الحرية شجرة لا تروى إلا بالدماء، ودماء الري هذه ليست بداهة سوى دماء المعارضين)[1].

ويقول هذا استناداً إلى أنه هو وجماعته الذين يمثلون حرية الشعب فيما كان يعتقد، فمعارضوه يعتبرون فيما يرى معارضين بل وأعداء للحرية ، وعليه فإن الثورة الفرنسية وما تلاها من أحداث تمثل بداية التحرر في المجتمع الغربي، وقد تأثرت إلى حد كبير بالمذهب الفردي والتي يقصد منها أنّ للفرد حقوقاً كان وجودها سابقاً على وجود الدولة، وأنّ حماية تلك الحقوق كانت الغاية من الدولة كما كانت علة سلطانها .

٥. مفهوم الحرية في الحرب الأهلية الأمريكية : في الحرب التي انفجرت عام ١٨٦٠. والتي فجرتها مشكلة الرقيق، قامت الولايات الجنوبية بالحرب من أجل الإبقاء على الرقيق. والولايات الشمالية قامت بالحرب من أجل إلغائه، وكلا الفريقين المتحاربين يقول إنه يحارب من أجل الحرية فولايات الشمال كانت تعني بالحرية تحرير الزنوج في الولايات الجنوبية (أسوة بالولايات الشمالية) من الرق، أما الولايات الجنوبية فقد كانت تعني بالحرية استقلال حكوماتها وحرياتها في التصرف بشؤونها الداخلية ومنها مشكلة الرق ، وقد عبر عن ذلك الرئيس الأمريكي (لنكولن) عندما قال إن الشمال كان يحارب من أجل حرية كل إنسان في أن يصنع بشخصه ما يريد ، أما الحرية في نظر حكومات ولايات الجنوب فقد كانت تعني حرية بعض الرجال ليصنعوا ما يشاؤون بالرجال الآخرين[2].

المطلب الثاني

مفهوم الحرية عند العرب قبل الإسلام وبعده

فهم العرب الحرية في لغتهم فجاء المعنى الخلقي المعروف في جاهلية العرب، وحافظ عليه الأدب فقرأ في اللسان الحرة وتعني الكريمة . يقال ناقة حرة،

(١) عبد الحميد متولي، الحريات العامة ، ص ١٨ .

(٢) عبد الحميد متولي، الحريات العامة ، ص ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول المثل العربي (تجوع الحرة ولا تأكل بثديبها) والحر في اللغة هو الذي تتجلى فيه المعاني العالية ويضبط نفسه.

ونقرأ في تعريفات (الجرجاني) أن الحرية في اصطلاح أهل الحقيقه الخروج عن رق الكائنات وقطع جميع العلائق والأغيار وهي على مراتب، ونرى أنّ الصيغة المألوفة هي الصفة ومشتقاتها (حر، محرر، تحرير) أما المصدر الأصلي حرية فإنه يستعمل للتمييز بين من كان حراً من الولادة وبين من كان عبداً ثُمّ أعتق ، وفي اللسان يقال (حر الرجل) حرية من حرية الأصل لا حرية العتق ، والمعاني السابقة تدور جميعها حول الفرد وعلاقته مع غير ذاته سواء كان هذا الغير فرداً أم آخر يتحكم فيه من الخارج أو قوة طبيعية تستعبده من الداخل ، ومن هنا نرى أنّ هناك مجالين يعبران عن النشاط الإنساني[1] .

لقد فهم العرب الحرية على إطلاقها في بداوتهم بعمل ما يشاؤون، فكانت الحرية عندهم في الجاهلية حرية فردية قائمة على الشعور بالحرية المستقلة التي لا سيطرة لأحد عليها إلا لشيخ القبيلة أو العائلة، وبمقدار مالديك من قوة تستطيع الدفاع عن حريتك. لذلك شهدت الجاهلية حروباً مستمرة كانت تودي بحياة الكثيرين، و خير وصف لهذه الحياة ، جاء في حديث سيدنا جعفر بن أبي طالب عن حال العرب في جاهليتهم عندما قابل ملك الحبشة. حيث رد علية قائلاً عندما سأله عن قومه لمعرفة حقيقتهم قال (أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منّا الضعيف، فكُنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفته، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنّا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام). ثم تابع القول (فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا. فعدا علينا قومنا فعذّبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان عنْ عبادة الله، وأن نستحل ما كنّا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك)[2].

يقول الكاتب الألماني (هيرور) وهو كاتب فلسفي معروف ببحوثه

---

(١) عبد الله العروي ، مفهوم الحرية ، ص ١٣ .

(٢) عبد السلام هارون ، تهذيب سيرة ابن هشام. دمشق : دار الفكر العربي، ١٣٧٤هـ ، ص٨٤-ص٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفلسفية والاجتماعية يقول: لا يزال العرب محافظين على طبائع أسلافهم فهم ذوو فتوة يقدرون على القيام بجليل الأعمال، وهم أحرار كرام شُم الأنوف غضاب مقاديم يجمعون الكثير من الفضائل في نفوسهم، والعربي حر نشيط ويعود نشاطه إلى أنه يكسب عيشه بنفسه، وهو صبور ويرجع صبره إلى ما لا محيص عنه من احتمال الآلام والمحن وهو محب للحرية ، والحرية أقدس ما يطمع فيه ويحرص على التمتع به ، يقول الكاتب والباحث الأوروبي (ديفرجه). من فضائل العربي محبته للحرية وهو يفعل ما لم تسمح به أذن دفاعاً عنها[1] .

ويقول الكاتب الأوروبي المعروف (غوستاف لوبون) في كتابه حضارة العرب. (إنّ العرب البدو من سكان الجزيرة والأقطار الأخرى يحبون الحرية حباً جماً لا يقدر الأوروبي أن يتصوره ، وهم يزورون سكان المدن ويعدونهم أرقّاء). ويتضمن الارتباط بالأرض عندهم معنى توديع الحرية والخضوع للسيد ، والبدوي لا يملك سوى حريته ويراها أغلى ما في الوجود، وقد حافظ عليها بتوالي الأجيال، ولم يستطع جميع الفاتحين من الإغريق إلى الرومان والفرس وغيرهم من الأمم التي دوخت العالم وسيطرت عليه أن يستعبدوهم . ويقول كاتب أوروبي اسمه (بلغراف) وكان قد عاش عدة سنوات في الجزيرة العربية . إن العرب الحضر أنبل شعوب الأرض وأكرمهم وأشدهم تعلقاً بالحرية وهم جديرون بكل مدح وثناء[2] .

من خلال ما تقدم نرى كيف أنّ الحرية عند العرب كانت مفهومة بشكل واضح. غير أنّ تطبيقها كان في الحدود التي يفهمها البدوي في بداوته ، فكانت الحرية لفظاً من ألفاظ لغته يحرص عليها ويقاتل من أجلها، ولقد فهم العربي الحرية على أنها حرية التصرف والتعبير دفاعاً عن الكرامة والإنسانية وحماية الجار ونصرة المظلوم . لذلك نرى أن البيئة العربية فيما بعد كانت بيئة مناسبة للحرية التي أرادها الإسلام . فنشأت بحق الحرية في أعلى معانيها. تلك الحرية التي كانت موضع إعجاب وتقدير من جميع المنصفين من العرب وغيرهم . تلك الحرية التي عملت على تحرير جميع المظلومين الذين وصلهم نداء الإسلام وجنده .

مفهوم الحرية عند العرب بعد الإسلام :

مع أنّ العرب كانوا معتزين بحريتهم منذ أقدم العصور إلا أنهم لم يقوموا بأي دور في نشرها لما حولهم من الأقطار إلا بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، يقول الكاتب والمؤرخ الأوروبي المشهور (آرنست رنيان) في كتابه اللغات السامية (ليس للعرب تاريخ سياسي وثقافي وديني يذكر قبل مجيء

---

(١) إبراهيم حداد ، الحرية عند العرب . ص ٥٤-ص٥٥ .

(٢) المصدر نفسه . ص٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النبي صلى الله عليه وسلم ، فعندما وحد الإسلام القبائل العربية تحت راية الدين برزت مواهبهم وفضائلهم وكثر تعلقهم بالحرية واعتبروا بحق أعجوبة الدهر، إذ أنه في أقل من مائة عام استطاعوا أن يقيموا دولة عظيمة ويبدعوا حضارة خالدة ويعلموا الشعوب التي قهروها معاني الحرية والحق والعدل)[1].

وقد استطاع العرب نقل مفهوم الحرية الصادق إلى البلاد التي فتحوهاوخاصة في امبراطوريتي فارس وروما، وكانت الحضارة العربية الإسلامية التي نالت إعجاب الأعداء قبل الأصدقاء ثمرة واضحة من ثمار الحرية التي كفلها الإسلام للجميع مسلمين وغير مسلمين ، فكان العلماء والحكماء والفلاسفة والمخترعون في مختلف العلوم في ظل الحرية التي أعطاها الإسلام للجميع قد أبدعوا في ميادينهم وصنعوا للدنيا حضارة وثقافة وعلوماً لا تزال مصدر فخر حتى أيامنا هذه .

لقد جاء الإسلام ونظم الحرية الفردية ووضع لها الحدود اللازمة لدوامها ولكي تتفق مع حرية المجتمع، وجعل الإثنتين تعملان عملاً موحداً و نافعاً لصالح الفرد والمجتمع. من هنا انبثقت عظمة العربي في صدر الإسلام فكان أن قام هذا الدين على الإقناع لا على الإكراه ، لأن الإكراه مناف للحرية وعدو لها .

قالى تعالى (لا إِكرَاهَ في الدِّينِ قَد تَّبيَنَ الرُّشدُ مِنَ الغَيِّ)[2]. وقالى تعالى (وَقُلِ الحقُّ مِن رَّبِّكم فَمَن شَاءَ فَليُؤمِن وَمَن شَاءَ فَليكفُر)[3]. وقالى تعالى (وَلو شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن في الأرضِ كُلُهُم جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكرِهُ النَّاسَ حتَّى يكونُوا مُؤمِنِينَ)[4]. من خلال هذه الآيات نرى كيف يظهر لكل ذي بصر ولب أنَّ الإسلام لم يقم على الإجبار والإكراه وقهر الحريات كما يدعي أعداؤه، روى النسائي وأبو داوود وابن حبان وابن جرير عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية (لاإكراه) في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين، فكان له ابنان نصرانيان وكان هو قد أسلم. فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ألا أستكرهما فإنهما أبيا إلا النصرانية. فأنزل الله هذه الآيات ، وفي مكة تبين لنا كتب السيرة ألوان العذاب والأذى الذي تعرض له الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لقاء تمسكهم بدينهم الجديد. وحتى أن مشركي مكة لم يسمحوا لهم بأداء مناسك دينهم الجديد بحرية كما يريدون حيث كانوا يؤدونها خفية ، ولقاء ذلك أذاقوهم من العذاب أشده ومن القهر أعنفه لردهم عما يعتقدون . وبعد أن منَّ الله على

(١) إبراهيم حداد ، الحرية عند العرب. ص ٦١ .
(٢) سورة البقرة ، آية ٢٥٦ .
(٣) سورة الكهف ، آية ٢٩ .
(٤) سورة يونس ، آية ٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسلمين وأصبحت لهم دولة، خطر ببال بعض المسلمين الانتقام مما حصل لهم في مكة فكان من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نهاهم عن الانتقام ، ومن أجمل وأقوى قصص الحرية في الإسلام أنّ كعب الأحبار اليهودي المقيم في المدينة كان يباحث الرسول صلى الله عليه وسلم في أمور الدين ولم يرغمه أحد على الإسلام، وبقي على يهوديته حتى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

يرى الإسلام أن من الحرية أن يوافق الشعب على سيادة الحاكم ويشارك في بيعته، وانتخابه من قبل الأغلبية تعني مبايعته، ومبايعة الأكثرية له تعني ضمناً رضى الأقلية، وفي نظرة الإسلام للحرية يمكن تحديد معنيين الأول : الفقه الذي يحدد كيفية تعامل الإنسان مع الإنسان، والثاني : الأخلاق التي تصف علاقة العقل بالنفس في ذات الإنسان، ونلاحظ أن ميدان الفقه يتعرض لمسألة حرية التصرف في أبواب معروفه تعالج مسائل الرق والحجر والكفالة للمرأة والطفل، ويتضح للقارىء أن الفقه يربط مفهوم الحرية الشخصية بمفهوم المروءة. بحيث لا تكتمل الإنسانية في الفرد إلا إذا شَرُفَ بالتكليف. أي إذا أصبح قادراً على الانضباط لقواعد وأوامر سماوية، إن الطفل والمجنون تكون حريتهم واسعة لكن إنسانيتهم ناقصة لأنهم غير مكلفين[1] .

لمّا خلق الله الإنسان كرمه وشرفه بالعقل الذي يردعه عن الوقوع في الرذائل ويبعثه على الاتصاف بالفضائل، وبذلك تميز عما عداه من الحيوانات، وضابط الحرية عند الغرب. لا يوجب مراعاة مثل هذه الأمور، بل يبيح للإنسان أن يفعل ما يشاء مما تأباه الغريزة الإنسانية من إظهار الزنا والفحش وغيره .

خلق الله الإنسان وكرمه. قال تعالى (وَلَقَد كَرَّمنَا بَني آدَمَ)[2] . فالله هو العالم بخلق الإنسان وأعلم كذلك بما يُصلحه. لأنه لا يوجد في الوجود من يعرف الصنعة أكثر من صانعها، وبالتالي فصاحب الصنعة أدرى بطريقة إصلاحها. إذن فالله هو الوحيد الذي يعلم ما يصلح النفس البشرية، وعليه فإن التقيد بالأوامر الإلهية في الإسلام يعتبر من أعلى درجات الحرية وفي نفس الوقت من أقوى ضوابطها، وذلك لأن فيه صيانة لحرية النفس البشرية والحفاظ على الذات الإنسانية في الحدود التي أرادها الله سبحانه وتعالى، قال تعالى (وَلَقَدْ خَلَقنَا الإنَسانَ وَنَعلمُ مَا تُوسوسُ بِهِ نَفسُهُ وَنَحنُ أَقربُ إليهِ مِن حَبلِ الوَرِيدِ)[3].

---

(١) عبد الله العروي ، مفهوم الحرية ، ص ١٤ .

(٢) سورة الإسراء ، آية ٧٠ .

(٣) سورة ق ، آية ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنَّ المفاهيم التي يلجأ إليها الفقه وعلم الكلام والتي تقترب من مفهوم الحرية كما نتصوره تدور كلها حول الفرد وعلاقته مع نفسه وخالقه وأخيه في الإنسانية، فهي علاقة قانونية أخلاقية اجتماعية ، فالقانون فيها هو الالتزام الشرعي، ويفيد المعنى القانوني وهو المستعمل في القرآن الكريم مثل قوله تعالى في سورة النساء (تحرير رقبة مؤمنة). وقوله تعالى في سورة آل عمران (نذرت لك ما في بطني محرراً)[1]. وأما المعنى الأخلاقي. فهو أن الأخلاق تعتبر أساساً من أساسيات الإسلام وعليها تقوم معاملة الإنسان لأخيه الإنسان، بل إن تصرفات الإنسان واستعماله لحريته إنما يعطى صورة الخلق الذي يتمتع به حتى إنه يمكننا أن نعد الأخلاق من أقوى ضوابط وضمانات الحريات السياسية في الإسلام، قال تعالى في سورة القلم (وإنكَ لعلى خُلق عظيم). وفي صحيح مسلم أن عائشة رضى الله عنها قالت (ما ضرب رسول الله *صلى الله عليه وسلم* شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى) [2] .

لقد فهم العرب الإسلام واحتكموا إليه، فجاء تعريفهم للحرية على أنها الإتفاق مع ما يوحي به الشرع والعقل، والحرية حكم شرعي ولكنّه في نفس الوقت إثبات واقع مدى قدرة الفرد على تحقيق العقل في حياته، وهذا التطابق بين الشرع والعقل والحرية هو العدل الذي يقوم عليه الكون[3]. وهذا التعريف يتفق مع منطق الإسلام في تحقيق العدالة التي يهدف لتوفيرها في مجتمع الإنسانية، فهدف الإسلام هو أن يعيش الناس في عدالة تامة لا يجور أحد على أحد ولا يتعدى عليه ولايهضم حقه. قال تعالى (وَلايَجرِمَنَّكم شَنَئانُ قَومٍ على ألا تَعدِلُوا اعْدلُوا هُوَ أقرَبُ لِلتَّقوَى)[4]. وقد ورد تعريف الحرية في الإسلام على لسان الناصري في كتابه الاستقصاء (إن الحرية الشرعية هي التي ذكرها الله تعالى في كتابه وبينها رسول الله *صلى الله عليه وسلم* لأمته وحررها الفقهاء في باب الحجر من كتبهم)[5].

لقد اتضح لنا كيف صنع الإسلام بالعرب بشهادة غير العرب وكيف أصبح نموذج الحرية السياسية في الإسلام نموذجاً يحتذى به، ولعل في آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله *صلى الله عليه وسلم* خير برهان على ذلك، وهو ما سيوضحه المبحث التالي إن شاء الله .

---

(١) نعيم عطية ، النظريات العامة للحرية الفردية ، القاهرة : الدار القومية للطباعة ، ١٩٦٥ ، ص ٢٣ .

(٢) صحيح مسلم ، حديث رقم ٢٣٢٨ .

(٣) عبد الله العروي ، مفهوم الحرية ، ص ١١٥ .

(٤) سورة المائدة ، آية ٨ .

(٥) نعيم عطية ، النظريات العامة للحرية الفردية ، ص ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

الحرية السياسية في القرآن الكريم

القرآن الكريم هو دستور البشرية الذي أنزله الله إليها والسنة النبوية هي شارحة القرآن ، والدستور هو ما يحتكم إلى نصوصه في شؤون الحياة، ومن أهم متطلبات الحياة حرية الإنسان والتي هي بمثابة شريان الحياة، وآيات القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم غنية بهذه المعاني التي تبين حرية الإنسان في إبداء رأيه والتعبير عمّا يدور في خلده، وإذا أردنا أن نورد النصوص كاملة كما وردت في الكتاب والسنة، فإنها ستأخذ حيزاً كبيراً في هذا البحث، ولكننا سنقوم بعرض بعض النصوص القرآنية والنبوية معطين الجانب الأكبر لآيات القرآن الكريم ومركزين على تحليل المعنى الذي يخدم موضوع الرسالة .

إن كلمة الحرية أينما وردت فهي غالباً تعطي مدلولاً سياسياً وذلك لأن الحرية السياسية هي أساس الحريات جميعاً. فالحرية السياسية هي أساس الحريات الحديثة في الترتيب الزمني هدفاً ونضالاً وتحقيقاً، وهي أولها في الأهمية لأنها هي التي تنظم العلاقة بين الفرد والدولة، وإذا انعدمت الحرية السياسية لم تعد هناك قيمة لأي نوع من أنواع الحريات الأخرى، فكم من الأفراد والشعوب ممّن ينعمون بالحرية الاقتصادية والدينية والاجتماعية يشعرون بنقص بسبب فقدانهم لحرياتهم السياسية، والمتمثل في الاستبداد والطغيان والدكتاتورية التي تعكر صفو الحريات جميعاً .

والقرآن الكريم هو دستور البشرية كما أسلفنا، والآيات القرآنية الدالة على حرية الإنسان أكثر من أن نحصرها في هذه الدراسة، وسوف نتناول نماذج محددة من كتاب الله تعالى وسنقوم بتحليلها بعونه تعالى .

١. قال تعالى (وإذْ قَالَ ربُّك لِلْمَلائِكَةِ إنّي خَالِقٌ بَشَراً مِن صَلْصَالٍ مِنْ حَمَاءٍ مّسنون، فإذَا سوّيْتُهُ ونفَختُ فيه من رُّوحي فقَعُواْ لهُ ساجدينَ ، فَسَجَدَ الملائكةُ كُلُّهم أجمعُونَ ، إلا إبليسَ أبي أن يكونَ مع السّاجِدينَ ، قَالَ ياإبليسُ ما لك ألا تكون مع السّاجدينَ ، قالَ لَمْ أكن لأسجدَ لبشرٍ خَلقتَهُ من صلصال من حماءٍ مّسنونٍ ، قالَ فاخرجْ منها فإنَّكَ رَجيمٌ ، وإنَّ عَليكَ اللّعنَةَ إلى يومِ الدينِ ، قالَ رَبِّ فأنظِرني إلى يومِ يُبعَثُون، قالَ فإنَّكَ من المُنظَرينَ ، إلى يومِ الوقتِ المعلومِ ، قَالَ رَبِّ بما أغْويتَني لأُزيّنَنَّ لهم في الأرضِ ولأُغوينهمْ أجمعينَ ، إلا عبادكَ منهمُ المُخلصينَ قالَ هذا صراطٌ عليّ مُستقيمٌ ، إنَّ عِبادي ليس لك عليهم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سُلطانٌ إلا من اتبعكَ من الغَاوينَ)[1].

لن نذهب إلى تفسير هذه الآيات فالمعنى الإجمالي لها واضح تماماً، وهذا من ضرب القرآن الواضح التفسير، ولكن يمكننا بعد قراءة النص القرآني أن نلحظ بوضوح أهمية الحوار بين جانبين. الجانب الأول هو الله سبحانه وتعالى وهو صاحب القرار وأمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، والطرف الثاني هو إبليس-المطرود من رحمة الله، ومع إدراكنا للبون الواسع بين الطرفين إلا أننا ندرك حكمة الله سبحانه وتعالى والتي أرادت أن تبين للبشرية درساً عظيماً يظل مثلاً لها حتى يرث الله الأرض ومن عليها. ومن ناحية أخرى فإن الآيات القرآنية قد بينت كيف أن الله تعالى قد ترك حرية الاختيار لإبليس وهو قادر على إجباره على فعل الأمر. لقد صدر الأمر من الله تعالى بعد خلقه لآدم بسجود الملائكة له، فكان أول الرافضين إبليس، ومع أنّه بمقدورالله إكراهه على السجود غير أنه لم يكرهه على ذلك. تاركاً له حرية الاختيار، فسأله ربه وهو أعلم بحاله عن سبب رفضه للسجود، فبرر إبليس رفضه بأنه خلق آدم من طين وخلقه من نار وهذا رأيه واعتقاده، وفي رأي إبليس أنّ هذا الاختلاف في الخلق هو الذي دفعه للرفض . ولأنّه أيضاً يملك حريته في الإجابة أو الرفض ، وفي هذا درس عظيم فالله هو ربُّ الخلائق أجمعين يقابله إبليس إمام الغاوين وهو مخلوق له ومع ذلك يجري بينهما هذا الحوار، ويكون الرفض من إبليس لأوامر خالقه، ومع ذلك لم يكرهه ربه على السجود ، فلنتصور مثل هذه الحادثة بين فرعون وأحد أتباعه برفضه للسجود فماذا تكون النتيجة؟. وفي المقابل لنتصور أيضاً مثل هذه الحادثة بين أي من زعماء القرن العشرين وأحد حراسه فماذا سيجري له؟. .

إنّ في كتاب الله من أمثلة حرية الرأي والتعبير ما إن لو اقتدت به شعوب القرن العشرين لكان سراً عظيماً من أسرار حل عقدها ومشاكلها، ولعاشت حياة هانئة هادئة مباركة. ومع أنّ إبليس رفض أمر ربه فقد طلب من ربه أن يمهله إلى يوم البعث، وكانت الإجابة من الله تعالى بالموافقة على طلبه، وفي سؤال لإنسان عادي، هل يمكن حصول مثل هذا الأمر في واقع حياة الناس وبنفس المستوى؟. لا أظن ذلك، لقد كان جواب الله تعالى أعلى من تصور الإنسان وإدراكه. فالإنسان أصغر وأضعف من أن يصل إلى إدراك كل حكمة يريدها الله تعالى، فالله سبحانه وتعالى يريد للإنسان أن يتعلم درساً واضحاً في حرية الرأي والقدرة على التعبير، ولا يريده أن ينفذ أمراً قبل الاقتناع به، وفوق رفض

---

(١) سورة الحجر ، آية ٢٨ - ٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إبليس لأوامر ربه وتماديه في الباطل فهو يطلب من ربه ويحاوره في سبيل إبقائه إلى يوم البعث، وتأجيل العقاب له إلى يوم الدين، وتأتي الموافقة من الله له على طلبه، ومع الموافقة يزداد العناد والمغالاة في الباطل، ومع ذلك فإن الله قد وفّى له بوعده إلى يوم البعث، إن المتأمل في هذه القصة وكيف أن حواراً يدور بين الله سبحانه وتعالى الكبير المتعال وبين إبليس أدنى الخلائق المطرود من رحمة الله. ليدرك حكمة الله في مثل هذا القصص القرآني وهذا التعليم الربّاني وهذا الارتفاع العظيم في مستوى التعليم للخلائق. بأن يحكم تعاملها حرية الرأي وصدق التعبير. فهل فهمت البشرية هذه المعاني؟. وأين نحن من هذا الحوار الذي يحمل بين ثناياه أعلى درجات الأدب الرباني والتعليم الرحماني. أين نحن من هذا في حضارة القرن العشرين؟. أين هي حرية الرأي وأين هي حرية التعبير بين زعماء الأرض والشعوب التي لا تطالب بمثل هذا المستوى من الحوار فهي مطيعة رغم أنفها ولكنها قد تطالب بتحسين مستوى من مستويات حياتها؟. إننا ونحن نقارن بين هذه الآية فقط من كتاب الله وبين الواقع الذي نعيشه لندرك تماماً أهمية الإسلام في حياة الناس، وأن الناس بغير إسلام ستبقى حريتهم ناقصة، وستبقى قدرتهم على التعبير دون المستوى المطلوب.

٢. قالى تعالى (واذكر في الكتاب إبراهيم إنَّهُ كان صِدّيقاً نَّبياً ، إذ قالَ لأبيهِ يا أبتِ لم تعبدُ ما لا يسمعُ ولا يُبصرُ ولا يغني عنك شيئاً ، يا أبتِ إنّي قد جاءني من العلم ما لم يأتِكَ فاتَّبعني أهْدِكَ صراطاً سوياً، يا أبتِ لا تعبدِ الشَّيطانَ إنَّ الشَّيطانَ كانَ للرَّحمن عصياً ، يا أبتِ إني أخافُ أن يمسكَ عذابٌ من الرَّحمن فتكون للشيطان ولياً، قال أراغبٌ أنتَ عن آلهتي يا إبراهيمُ لئن لم تنتهِ لأرجُمنّكَ واهجرني ملياً ، قال سلامٌ عليكَ سأستغفرُ لك ربي إنّهُ كان بي حفياً ، وأعتزلُكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربي عسى ألا أكون بدعاءِ ربي شقياً)[1] . في الآيات الأولى كان الحوار بين الله سبحانه وتعالى وواحد من الخلائق، والحوار الآن من نوع آخر فهو بين أب وابنه، فالأب يمثل خطاً فكرياً يتمثل في خط الشرك، والابن يمثل خطاً فكرياً آخر يتمثل في خط الإيمان بالله سبحانه تعالى، ومن تحليل النص القرآني السابق يمكننا أن نستخرج الحقائق التالية :

أ. أنَّ الحوار يتم بين والد وولده، وواضح تماماً الأسلوب المستخدم من كلا الفريقين.

ب. أسلوب الحوار واضح في الآيات الكريمة فهو يسير في اتجاهين، الاتجاه الأول وهو أسلوب سيدنا إبراهيم مع والده حيث أسلوب الإقناع الفكري

(١) سورة مريم، الآيات ٤١ - ٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمناقشة الهادئة وتقديم الحجة والبرهان ، والاتجاه الثاني هو أسلوب الوالد الذي يصر على الشرك ولا يعرف إلا لغة القوة والتهديد، وفي هذا الصدد يقودنا الحديث إلى تذكر الطواغيت على مر العصور والأيام وحتى يومنا هذا، فهذا أسلوبهم لم يتغير، فكم يريد الإسلام وأتباعه مناقشة الناس بالهدوء والمنطق ويكون الرد على ذلك بالفتك والقتل والتشريد والتدمير، بل إنّ الأنظمة القائمة لَتختلق من الحجج الواهية والواهنة لِتُقنع بها الرأي العام بأن الديموقراطية في خطر، ومن أجل ذلك لا بد من تشديد القبضة للحفاظ على مصلحة الوطن والأمة، وما علم هؤلاء المتنطعون أن الخطر يكمن في وجودهم. لأنهم هم قتلة الإرادة وحرية التعبير لدى الشعوب .

جـ. الحوار الذي نلحظه في الآيات السابقة يبين بوضوح حجة سيدنا إبراهيم المعتمدة على الحجة والواقع والمنطق، ويبين حجة والده المعتمدة على الصلف والجهل، فهو يعبد حجارة لا تسمع ولا تبصر وأقل ما يقال فيها أنها جماد لا يضر ولا ينفع ، وقد ورد في موقع آخر من كتاب الله كيف أنّ سيدنا إبراهيم كسر هذه الأصنام فلو كانت آلهة كما يدّعون لدافعت عن نفسها مما ينفي الزعم عنها بأنها آلهة .

د. حجة الابن النبي تعتمد على العلم الذي أطلعه الله عليه وقام بتوضيحه لوالده بكل صراحة ووضوح، فهذا يعطي مدلولاً بأنّ حرية الرأي لا بد لها من العلم، وأن الشعوب في ظل الجهل يصعب عليها أن تتمتع بالحرية والإرادة الحرة .

هـ. كان واضحاً حرص الابن على إنقاذ والده من النار، وهذا الأمر بدَهيٌ فأهل الحق في حوارهم إنما يبتغون الخير والنجاة للآخرين، بينما أهل الباطل والإلحاد لا يقصدون من حوارهم إلا الشر والذلة للشعوب ، فحرص إبراهيم عليه السلام بالأسلوب الذي رأينا يمثل خطاً فكرياً واضحاً هو الإسلام بعينه، وخط والده أيضاً يمثل خطاً آخر تمثل في الجواب الصريح البعيد عن احترام إرادة الإنسان وفكره وحريته،فكان جوابه بالطلب منه أن ينتهي عن الحديث أولاً وهذا بعينه قتل لأدب الحوار ، وكان الرجم ثانياً وهذا أسلوب الضعفاء الذين لا يملكون من الحق شيئاً ثم القطيعة. إنه أسلوب الطواغيت الذي يتمثل بالسجن والنفي والقطيعة، ترى هل يختلف هذا الأسلوب عن أساليب الطواغيت في القرن العشرين، أنه نفس الأسلوب هو المستعمل؟. تكميم الأفواه وقتل الحريات وعدم السماح بأي لون من ألوان الحرية، ثم القتل والتعذيب والتجريح والسجن والإعدام أو النفي، إنه الأسلوب نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي المقابل رأينا الأدب الإسلامي في الحوار رغم صلف الطرف المقابل، فأدب الإسلام يقوم على فتح باب الحوار بين مختلف الأفكار دونما شتم أو ذم أو تجريح أو حتى مقابلة الإساءة بالإساءة ، فتعاليم الإسلام تريد للإنسان أن يكون حراً في إرادته وقراره وحريته سواء كان مسلماً أو غير مسلم، فإبراهيم عليه السلام كان يمثل الإسلام ووالده كان يمثل الكفر، ورأينا كيف كانت طبيعة الحوار بين الطرفين، ومع أن والد سيدنا إبراهيم كان شديداً في حديثه مع ابنه إلا أن أدب الإسلام دفع سيدنا إبراهيم إلى أن يقابل الإساءة بالإحسان فقال (سَلام عليك ساستغفر لك ربي إنّه كان بي حفيا). وهكذا يمضي الأدب الإسلامي في مثل هذا النوع من الحوار، يقول تعالى (وَإِذَا خَاطبهُمُ الجَاهلونَ قَالُواْ سَلاماً)[1]. ويقول تعالى (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغوَ أعرَضُواْ عَنهُ وَقَالُوا لنَا أعمَالُنَا ولكم أعمَالُكم سَلامٌ عَلَيكم لا نَبتَغي الجَاهِلِينَ)[2] .

٣. قال تعالى (أَلمْ تَرَ إلى الذي حَاجَّ إبَراهيمَ في رَبِّهِ أنْ آتاهُ اللَّهُ المُلكَ إذ قَالَ إبَراهيمُ ربِّي الذي يُحيي وَيُميتُ قَالَ أنَا أُحيِ وأُميتُ، قَالَ إبَراهيمُ فإنَّ اللهَ يأتي بِالشَّمسِ مِن المشْرقِ فَأتِ بِها مِن المغربِ فَبُهتَ الذي كَفَرَ واللهُ لا يَهدي القَومَ الظالِمِينَ)[3].

الحوار هنا أيضاً بين الكفر والإيمان، والمبدأ واحد كما هو في الحوار السابق. رغم أن الحوار هنا هو بين نبي الله إبراهيم وبين ملكٍ ملَكَ الدنيا في عهده، فالإسلام كما نرى يكشف الحقيقة في حواره والكفر يخفيها، ولقد أثبتت التجربة أن حرية الكلمة هي الطريق السليم لكشف الحقيقة وبيان الحق للناس، وأن تكميم الأفواه لا يزيد السواد إلا سواداً وسوءاً، وتكون نهايته العنف والقوة في مقاومة أهل الحق، وهذا هو أسلوب الباطل في مواجهة الحق ، بينما يرى الإسلام أسلوباً مغايراً لهذا تماماً فهل لنا أن نسأل المسلم الذي يعتز بإسلامه هل كان الإسلام سيبلغه لو لم تنتصر حرية الكلمة التي أعلت مبادئه وشرائعه، ولنسأل النصراني واليهودي وكل ذي دين هل كان معتقده سيرى النور لو لم تظفر حرية الكلمة بحقها في الظهور ؟.

إن الآيات الكريمة توضح حواراً بين سيدنا إبراهيم وبين (النمرود بن كنعان بن كوش بن سام ابن نوح)، والذي ملك الدنيا من مشرقها إلى مغربها، وقد أراد نبي الله إبراهيم محاورة النمرود بالحسنى والحجة والبرهان وبيان الحقيقة. غير أن الطغاة والظالمين لا يقبلون ذلك، وحال الطغاة واحد في قهر

---

(١) سورة الفرقان ، آية ٦٣ .

(٢) سورة القصص ، آية ٥٥ .

(٣) سورة البقرة ، آية ٢٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأفراد ومصادرة حرياتهم، حتى أنهم إذا ما ووجهوا بالحقيقة والبرهان سرعان ما زينوا لأتباعهم أن هذا هو الباطل بعينه وأن الحق ما هم عليه ، فحال النمرود هو حال فرعون الذي قال (مَا علمتُ لكُم مِن إلهٍ غيري). وما حال النمرود عن فرعون ببعيد[1]. وقد جاءت القرون المتأخرة لتعيد إلى ذاكرتنا أمثلة كثيرة كحال فرعون والنمرود. وأمثلة هؤلاء. أولئك الذين يريدون قلب الحقائق وإخفاءها وتصوير أنفسهم على أنهم إنما يمثلون إرادة الشعوب التي ذاقت منهم أصناف الأذى والطغيان والعذاب،وصودرت حرياتهم،وهذا أمر ملحوظ في حضارة القرن العشرين وخاصة في دول العالم الثالث .

والإسلام إذ يؤكد حرية الإنسان لا لشيء إنما لإنسانية الإنسان التي أرادها الله للناس جميعاً، فهو يعيد لذاكرتنا مثل هذا القصص القرآني ليؤكد لنا أهمية حرية الإنسان في إبداء رأيه وفي التعبير عن صدق إرادته، ويبين لنا كذلك الصلف والطغيان الذي يواجه به الطغاة أهل الحق والحقيقة ، قال قتادة ومحمد بن إسحق والسدي وغير واحد (قال النمرود في رده على إبراهيم إني أوتى بالرجلين وقد استحقا القتل فآمر بقتل أحدهما فيقتل وآمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل، فذلك معنى الإحياء والإماتة)[2]. وعلى الرغم من الشعور الواضح باستخفاف النمرود بعقول أتباعه. إلا أن سيدنا إبراهيم سايره فيما يقول. حيث يطلب منه بأن يأتي بالشمس من المغرب وهذا عين الحق في مواجهة الباطل. حيث يخرس الباطل ويعمد بعدها إلى استخدام العنف والقوة في مواجة حرية الرأي والحق، وهذا دليل آخر على أن الإسلام هو دين الحق. دين حرية الرأي الذي لا يعتمد على الإكراه في إقناع الخصوم، بل يعتمد على الحجة والإقناع، ويعطي الإنسان حريته في اتباع ما يريد .

٤. قال تعالى في شأن سيدنا موسى مع فرعون (اذْهبْ أنتَ وأخُوكَ بِآياتِي وَلاتَنيا فِي ذِكرِي ، اذهَبَا إلى فِرعَونَ إنَّهُ طغَى ، فَقُولا لهُ قولاً لَّيِّناً لعَلهُ يَتذَكرُ أو يَخشَى ، قَالا رَبَّنا إنَّنا نَخَافُ أن يَفرُطَ عَلينَا أو أن يَطغَى ، قَال لا تَخافَا إنَّني مَعكما أسْمعُ وأرَى، فَأتِياهُ فَقُولا إنَّا رَسُولاً ربِّك فَأرسِل مَعَنا بني إسرائيلَ وَلا تُعذِّبهُم قَد جِئناكَ بِآيةٍ مِّن رَبِّكَ والسَّلامُ عَلى مَن اتَّبعَ الهُدى ، إنَّا قَد أُوحي الينَا أنَّ العَذابَ على مَن كذَّبَ وَتَولَّى، قَال فَمن ربُّكُمَا يا مُوسَى، قَالَ ربُّنا الذِّي أعطَى كُلَّ شَيءٍ خَلقَهُ ثُم هَدى ، قَالَ فَما بَالُ القُرُونِ الأولى، قَالَ عِلمُهَا عَندَ ربِّي في كتَابٍ لا يضلُّ رَبِّي ولا يَنسَى، الذِّي جَعلَ لكمُ الأرضَ مَهداً

(١) إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم. دمشق : دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٩، ج١، ص٣١٣.

(٢) اسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص ٣١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسَلكَ لكم فِيها سُبُلاً وأنزَلَ من السَّماءِ ماءً فأخرجنَا بِهِ أزوَاجاً مِّن نَّباتٍ شتَّى ، كلُوا وارعَوا أنعامَكُم إنَّ في ذَلك لأياتٍ لأُولي النُّهى ، مِنهَا خَلقنَاكُم وفِيهَا نُعيدكُم وَمنهَا نُخرجُكم تَارةً أُخرَى ، وَلَقَد أريناهُ آيَاتنَا كُلَّها فكذَّبَ وأبَى ، قَالَ أجِئتَنا لتُخرجَنَا مِن أرضِنا بِسحرِكَ يا مُوسَى، فَلنَأتينَّكَ بِسحرٍ مِّثلِهِ فَاجعَل بَينَنا وَبَينكَ مَوعداً لا نُخلفُهُ نحنُ ولا أنتَ مكاناً سُوى ، قَالَ مَوعِدكُمْ يَومُ الزِّينةِ وأن يُحشَرَ النَّاسُ ضُحى، فَتَولَّى فِرعَونُ فَجَمَعَ كيدهُ ثُم أتَى ، قَالَ لهُم مُّوسَى وَيلكُم لا تَفتروا عَلى اللَّهِ كَذِباً فَيُسحتَكم بِعذابٍ وَقَدْ خابَ مَن افتَرَى ، فَتَنَازعُوا أمرَهُم بَينهُم وأسَروا النَّجوَى، قَالُوا إنْ هَذانِ لسَاحِرانِ يُريدَانِ أن يُخرِجَاكم مِّن أرضِكم بِسِحرِهِمَا ويذهَبَا بِطريقَتِكم المُثلَى ، فَأجمعُوا كيدَكمْ ثُم ائتُوا صفّاً وَقَد أفلحَ اليَومَ مَن استَعلَى، قَالُوا يا مُوسى إمَّا أن تُلقِي وإما أن نكونَ أوَّلَ مَن ألقَى ، قالَ بلْ ألقُوا فإذا حِبالهُم وعِصيُّهم يُخيلُ إليهِ من سِحرهم أنَّها تَسعى ، فأوجَسَ في نَفسِهِ خِيفةً مُّوسى ، قُلنا لا تِخف إنَّكَ أنتَ الأعلَى، وألقِ مَا في يمينكَ تَلقفْ مَا صَنَعُوا إنما صَنَعُوا كيدُ ساحرٍ ولا يفلحُ السَّاحرُ حيثُ أتَى، فأُلقِى السحرةُ سُجداً قَالوا آمنَّا بِربِّ هارونَ ومُوسى ، قالَ آمنتُم لهُ قبلَ أن آذنَ لكم إنهُ لكبيرُكُمُ الذي عَلمكم السِّحرَ فلأقطعنَّ أيديكُم وأرجُلكم مِّن خلافٍ ولأصلبنَّكم في جُذوعِ النخلِ ولتعلمنَّ أينا أشَدُّ عَذاباً وأبقَى ، قَالوا لن نُّؤثرَكَ عَلَى مَا جَاءنا مِن البيناتِ والذي فَطَرنا فاقضِ ما أنتَ قاضٍ إنما تَقضي هذهِ الحياةَ الدُّنيَا)[1].

هذه صورة أخرى من صور الحوار الهادىء الذي ينتهجه الإسلام، فالحوار بين سيدنا موسى والطاغية فرعون دام سنوات طويلة، وما هذا الملخص القرآني إلا صورة لهذا الحوار، وهي صورة دقيقة تتمثل فيها حرية الرأي في أعلى معانيها، كما يتمثل فيها الطغيان والظلم في أعلى درجاته أيضاً، فسيدنا موسى وهو المؤيد بالوحي من عند ربه ، والله هو الذي أرسله وأيده بالوحي وهو كليم الله، والله قادر على أن ينتقم من فرعون بصورة تخالف هذه الصورة المتميزة بالرحمة والشفقة والحوار الهادىء واللطيف، ولكن الله سبحانه وتعالى (والذي رأينا كيف كان أسلوبه في التعامل مع إبليس مباشرة). أمر أنبياءه أن يكون حديثهم مع أقوامهم على نفس النمط من الحوار والهدوء، ويمكننا أن نخلص إلى التحليل التالي من خلال النص القرآني السابق .

١- لقد جاء أمر الله لإثنين من أنبيائه عليهما السلام بالذهاب إلى فرعون وعلى وجه السرعة، وذلك لأن الأمر يتعلق بالعبودية والطغيان، فسبب إرسالهما هو طغيان فرعون والعمل على تحرير بني إسرائيل من طغيانه .

---

(١) سورة طه ، الآيات ٤٢ - ٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- مع أنَّ الأنبياء على حق، ومؤيدون من الله، والله قادر على نصرهم. إلا أن الله سبحانه وتعالى أمرهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وحسن العرض والمجادلة واحترام الرأي الآخر، وهذا هو طريق الإسلام في الحوار. فعلى عظيم طغيان فرعون إلا أن الله أمر أنبياءه بمحاكاته ومجادلته باللين والرحمة حتى وإن أغلظ عليهم القول .

٣- أسلوب القرآن الكريم يعطي الأمل للدعاة بإمكانية استجابة الطرف الآخر للحجة والبرهان والإقناع وهذا هو طريق الإسلام .

٤- بالرغم من علم الله بحال فرعون وماذا تكون إجابته إلا أنه أمرهما باللين واستخدام الحوار الصادق والبناء معه، وذلك لأن القرآن الكريم هو طريق الحياة ومنهجها الواضح أمام المسلمين في التعامل مع كل طاغية وليس مع فرعون وحده، فالمثل خاص ولكن الحكم عام .

٥- من أجل الحق وفي سبيل تحرير الإنسان تكون التضحية من قبل أهل الحق، فكانت استجابة الانبياء لنداء الله رغم خطورة الموقف الذي يتوقعونه .

٦- يظهر من خلال النصوص القرآنية السالفة موقفان واضحان: الموقف الأول هو موقف سيدنا موسى، وهو مؤيد بالوحي وغني عن مداراة فرعون بهذا الأسلوب، ولكن من أجل الحق وفي تأكيد حرية الكلمة والصراحة في التعبير ، ومن أجل تحرير إرادة الإنسان وهي الإرادة التي يسعى الإسلام إلى تحريرها وعدم تقييدها ، من أجل هذا كله نجد الإسلام ممثلاً بدعاته وعلى رأسهم الأنبياء يتحملون الأذى ويصبرون على الاضطهاد في سبيل إبلاغ هذه الرسالة ، ونجدهم كذلك تتسع صدورهم ويطرحون رأيهم ويسمعون الرأي الآخر في سبيل الوصول إلى الحقيقة .

وأما الموقف الثاني وهو موقف فرعون الذي يدعي الألوهية، فواضحٌ أنه على الباطل، ففي سبيل تعميق الدكتاتورية والاستبداد والاستعباد واسترقاق الناس، نجده يصر على الباطل ولا يقبل الحق، وهذا هو حال الطغاة في كل زمان ومكان .

ومع هذه المواجهة الساخنة مع فرعون يجيبه سيدنا موسى بكل ثقة وصدق وكامل حرية، وهو ما لم يعتدْ عليه فرعون في التعامل مع أتباعه وهم عبيده. (تقول الروايات أن سيدنا موسى مكث عامين وهو يستأذن على فرعون ولم يجرؤ أحد على الدخول عليه لإبلاغه بطلب سيدنا موسى الدخول عليه . وهذا يصور لنا شدة العبودية التي كان يعاني منها قوم فرعون، وهو أمر مخالف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لفطرة الإسلام الذي يستطيع فيه أصغر فرد في الرعية مراجعة الحاكم وسؤاله في أي وقت يريد). ويدخل سيدنا موسى فيضرب الباب بعصاه فيسمعه فرعون فيغضب ويقول. من يجترئ على فعل ذلك، فيخبره السدنة والبوابون أن رجلاً مجنوناً يقول أنه رسول الله)[1] .

لننظر إلى فعل أولئك الذين لا يعرفون معنى الحرية كيف تكون إجابتهم، هذا ما تعلموه فهم لا يعرفون غير ذلك لأنهم تربوا عليه، كم من سدنة الطغاة وبطانتهم من طُمس على قلوبهم وعقولهم فلم يعودوا يفهمون إلا ما يحلو لرؤسائهم، فالحرام عندهم حلال إذا أحله السادة،والحلال عندهم حرام إذا حرمه السادة، والحرية عبودية، والعبودية حرية، كما رآها سادتهم، فإذا كانت بطانة فرعون في زمن قد مضى تفعل وتفكر هكذا، فإن لفراعنة القرون المتأخرة الذين رموا بتعاليم الإسلام وراء ظهورهم بفعل بطاناتهم أن يفعلوا ما هو أشد من بطانة فرعون، حقاً إن الإنسانية إذا أفرغت من الأخلاق أصبحت أسوداً كاسرة، وهل هناك من أخلاق أطيب من أخلاق الإسلام التي يصورها القرآن الكريم في محاورة أعتى ما عرفته البشرية في الظلم والاستعباد والطغيان؟.

٧- يتضح لنا كيف أن أنبياء الله قد استنفذوا جميع السبل وأتوا بكل حجة لإقناع فرعون، ومع ذلك كذبهم وسفه أحلامهم وصبروا عليه .

٨- لقد صبر سيدنا موسى على فرعون. وقبل التحدي الذي أبرزه فرعون بوجود السحرة. ووافق سيدنا موسى على اللقاءيوم الزينة ، مثل هذا يمثل الأسس الثابتة للحوار وحرية الرأي .

٩- توضح الآيات الكريمة كيف تتجمع قوى الشر في وجه الحق، ومع ذلك يوافق سيدنا موسى على شروطهم إيذاناً منه بحرية الرأي واحترام الكلمة .

١٠- تمثل الآيات الكريمة معركة الفكر والعقل. حيث ظهر الذين يتلاعبون في عقول الناس وحرياتهم على حقيقتهم بعد أن ظهرت آية الله في عصا موسى عليه السلام.

١١- لقد انتهت معركة الفكر بانهزام فرعون، وظهر الحق واليقين، ولكن هل قبل فرعون باحترام حرية الرأي؟.

لقد كان في سجود سحرة فرعون وإيمانهم بالله دلالة قاطعة على أن أتباع الطغاة عندما يسمح لهم بحرية وإرادة أن يروا نور الإيمان فلا بد أن يؤمنوا، ولكن الحجر عليهم من قبل طغاتهم يفسد عليهم معاشهم وحياتهم ويفقدهم أقل مؤهلات وجودهم ، من هنا كانت دعوة الإسلام حريصة على أن تخلي بين هؤلاء

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٣ ، ص ١٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطغاة والشعوب المقهورة الواقعة تحت عبوديتهم حتى يترك لها وبحرية تامة أن تميز بين الحق والباطل، ولها أن تختار بعد ذلك الطريق الذي تريده دونما إكراه أو إجبار .

١٢- لقد بينت الآيات الكريمة حجم الصلف والجبروت والدكتاتورية التي مارسها فرعون عندما هدد بقطع الأيدي والأرجل والصلب من خلاف مع أولئك الذين آمنوا برب موسى رغم أن سيدنا موسى لم يرغمهم على ذلك.بل دخلوا في الدين الجديد دونما إكراه،وهذا الأسلوب من الطغاة منافٍ للحرية التي ينبغي صيانتها لكل فرد في الوجود.

إن الذين يعيشون على دماء الضعفاء والمساكين ويصادرون حرية الآخرين لا يهمهم أن يفعلوا ما يشاؤون في غيرهم، لأن حريتهم موت لحرية الآخرين وقهر لوجودهم واستبداد في مصيرهم. فقد اعتادوا على ذلك وأصبحت دماء الشعوب وإرادة الشعوب رخيصة في نظرهم من أجل إرضاء رغباتهم وإشباع شهواتهم، فمهما جادلتهم بالحق وحاورتهم بالاحسان فلن يعرفوا إلا الظلم لأنه العدل في نظرهم، ولن يقروا إلا بالباطل فهو الحق عندهم ، ولم يروا إلا الاستعباد فهو التحرر في عقيدتهم، وما اعتادوا إلا رؤية الرقيق فخيل لهم أنهم أحرار، استخفوا قومهم فأطاعوهم، نسوا الله فأنساهم أنفسهم، وهكذا تكون نهاية الظلم والاستكبار والاستعباد ، تمادياً فيه إلى الحد الذي لا يرجى إصلاحه. ومع ذلك يتجلى التصوير القرآني في بيان أهمية الحجة والبرهان والإقناع ومحاورة العقل إلى نهاية المطاف، وعليه يتبين لنا أن الإسلام يحترم العقل ويجاهد في سبيل تحرير النفس الإنسانية ، ومن أجل ذلك اختار الله سبحانه وتعالى لهذه المهمة أصفى خلقه وأحبهم إليه وهم الرسل والأنبياء، وألهمهم أن يتحملوا في سبيل ذلك المشقة والأذى والعذاب والنفي والاضطهاد، وذلك لأن النفس البشرية لها قيمة كبرى عند الله سبحانه وتعالى، فهو القائل في كتابه (مِن أجلِ ذلكَ كَتَبنَا عَلى بَني إسرائيلَ أنَّهُ مَن قَتلَ نَفساً بغيرِ نفسٍ أو فَسادٍ في الأرضِ فكأنما قَتلَ النَّاسَ جَميعاً وَمَن أحيَاهَا فكأنما أحيَا النَّاسَ جَميعاً) [١] . وحياة النفس البشرية تكون بحفظ حريتها وكرامتها قبل أن تحيا بروحها وجسدها. قال تعالى (ولَقَد كرمنَا بني آدم) [٢]. وقال تعالى (لقَدْ خَلقنَا الإنسانَ في أحسنِ تَقويمٍ) [٣] .

---

(١) سورة المائدة ، آية ٣٢ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٧٠ .

(٣) سورة التين ، آية ٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥. كما أسلفنا فإن آيات القرآن الكريم التي تبين أصول الحوار الصريح وأسلوب التعبير عن الرأي كثيرة جداً، ويكاد الجواب أن يكون موحداً في الرد من قبل الأطراف التي تربت على غير الأسلام، وجوابهم هذا يعبر عن الصورة الحقيقية للواقع الذي تربوا فيه. فهم الذين أسلموا أمورهم لغير الله وسلّموا حرياتهم لسادتهم، واحتكموا لغير الله تعالى، فلا غرابة أن يكون ردهم واحداً. لأن جوابهم من صنف الواقع الذي تربوا فيه. قال تعالى في وصف حالهم (إنَّا وَجدنَا آبَاءَنا عَلى أُمَّةٍ وإنَّا عَلى آثَارهم مُقتدُونَ)[1]. لعل سيدنا نوح عليه السلام يعتبر النبي الوحيد الذي مكث مع قومه قرابة ألف سنه يدعوهم ويحاورهم، ومع ذلك لم يصل إلى نتيجة. لقد صبر على أذاهم وبذل كل جهد من أجل تحريرهم وأبوا إلا أن يظلوا عبيداً لسادتهم وشهواتهم ومعتقداتهم. يقول الله تعالى (وَلَقَد أرسَلنا نُوحاً إلى قَومِهِ إني لكُم نَذيرٌ مبينٌ ، أن لا تعبُدُوا إلا اللهَ إني أخافُ عليكُم عَذابَ يومٍ أليمٍ ، فَقالَ الملأُ الذينَ كفرُوا مِن قومِهِ ما نراكَ إلا بشراً مِّثلنا وما نراكَ اتَّبعكَ إلا الذين هم أراذِلُنَا بَاديَ الرأي ومَا نَرى لكم عَلينَا من فَضلٍ بل نَظنّكم كاذبينَ، قالَ يا قومِ أرأيتُم إن كنتُ على بَيِّنةٍ من رَّبي وآتاني رحمةً من عندهِ فَعُمِّيتْ عَلَيكم أنلزِمُكمُوهَا وأنتُم لها كارِهُونَ ، ويا قومِ لا أسألُكم عَليهِ مَالاً إن أجريَ إلا على اللهِ ومَا أنا بطاردِ الذين آمنُوا إنهُم مُلاقُوا ربِّهم ولكنّي أراكم قَوماً تجهَلونَ ، ويا قومِ مَن ينصُرني من اللهِ إن طَردتُّهُم أفَلا تَذَكّرونَ ، ولا أقولُ لكُم عِندي خَزائنُ اللهِ ولا أعلمُ الغَيبَ ولا أقولُ إني مَلكٌ ولا أقولُ للذين تَزدري أعيُنُكم لن يُؤتيَهُم الله خيراً اللهُ أعلمُ بما في أنفسِهم إنّي إذاً لَمِنَ الظالمين ، قالوا يا نوحُ قدْ جادلتَنا فأكثرْتَ جِدالَنا فأْتنا بما تعِدُنا إنْ كنتَ منَ الصّادقين ، قال إنما يأتيكُمْ بِهِ اللّهُ إنْ شاءَ وما أنتُم بمُعْجِزين ، ولا ينفَعُكمْ نُصْحي إنْ أردتُ أنْ أنْصَحَ لَكُمْ إنْ كَانَ اللّهُ يُريدُ أنْ يُغْوِيكُم هُوَ ربُّكُمْ وإلَيْهِ تُرْجَعُون)[2] . من خلال النص القرآني السابق يمكننا إستخلاص الحقائق التالية:

أ. سيدنا نوح أبو الأنبياء. بعثه الله سبحانه وتعالى إلى قومه حيث جاءهم لغاية نبيلة تتمثل في تحرير الإنسان، والتحرير الذي أراده الله سبحانه وتعالى يمكن فهمه من ناحيتين. الناحية الأولى هي تحرير الإنسان في الدنيا من الأوهام والجهل والعبودية، والناحية الثانية هي تحريره في الآخرة من نار جهنم. لقد جاء سيدنا نوح إلى قومه لينذرهم من عذاب الله ولينقذهم من الظلمات إلى النور، ومن الجور إلى العدل، ومن الاستعباد إلى السيادة ، من هنا كانت نقطة الخلاف

(١) سورة الزخرف ، آية ٢٣ .

(٢) سورة هود ، الآيات ٢٥-٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرئيسية بين سيدنا نوح وقومه، فسيدنا نوح يريد أن تكون الحاكمية لله، وهو في سبيل ذلك يستخدم الحجة والإقناع ولا يكره أحداً على رأيه. أما الطرف المقابل فهو يصر على الشرك ويأبى إلا الاستعباد وعبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع . دونما حجة أو برهان. إن سيدنا نوح في حواره يدفعه الإشفاق على قومه والخوف عليهم، فهو يحاورهم بالحجة والبرهان والدليل الواضح ويبين لهم سوء العقاب إن هم استمروا على ماهم عليه، وفي المقابل يقف الملأ من قوم نوح (والملأ هم السادة والكبراء) فلم يسمحوا له بالوصول إلى أتباعهم لكي يوضح لهم طريق الصواب .

وتظهر هنا صورة الكبرياء صورة الطاغوت المعهودة الذي لا يريد الخير لنفسه ولا يريده لغيره، لقد حجروا على رعاياهم واستعبدوهم وسلبوا حرياتهم، ولم يعد للأتباع رأي في حياتهم، تقول كتب التفسير أنه لم يؤمن مع سيدنا نوح إلا القليل رغم طول الفترة التي عاشها مع قومه، ومع ذلك بقي صابراً على أذاهم وعلى قساوة قلوبهم ولم يحاورهم إلا بالحسنى .

ب. نلاحظ وبشكل جلي معركة الحق مع الباطل ، الباطل أساسه السادة والكبراء ، كما قال تعالى (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا)[1]. وحال السادة والكبراء واحدة من لدن سيدنا نوح وحتى يومنا هذا ، يغلقون الأبواب على أتباعهم ولا يسمحون لهم برؤية النور بل لا يُسمح لهم باستخدام حرياتهم في اختيار ما يريدون ، إن الطرف المعاند ليست له حجة سوى الإكراه، وهذا هو سلاحهم الوحيد (استخدام العنف والقوة) والسبب في ذلك هو أنهم يعلمون علم اليقين أن المقابل على حق وليس عندهم دليل أو بيان على ما يعتقدون ، ونظراً لفقدانهم سلاح الحجة والعقل.والبرهان فهم يستخدمون سلاح القوة لقهر الناس على اتباعهم والإيمان بهم .

لقد اتهم قوم سيدنا نوح نبيهم بالكذب وازدروه وحقروه لأنه ليس بملك ولا زعيم ولا شريف، وهنا تظهر نظرة الطبقية الواضحة في تصور الطواغيت، فهم يرون أنفسهم شيئاً وغيرهم شيئاً آخر ، وهم الذين ينظرون إلى من تحرروا من نير استعبادهم بأنهم أراذل، حيث يقولون (وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا). وقالوا أيضاً : ليس لك علينا أدنى فضل ، إن الذي نرى هو أسلوب الطغاة، فهم لا يتورعون عن إلصاق التهم بغيرهم واستخدام العنف والقوة في وجه من يعاندهم. رغم أنَّ سيدنا نوح لم يصدر عنه أي رد من هذا القبيل، وهذا هو الأسلوب الربَّاني في الحوار ، فلا تقابل الإساءة بالإساءة .

---

(١) سورة الاحزاب ، اية ٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ. ومع شدة قومه معه نرى أن سيدنا نوح لم يحد عن المنهج القرآني في حوار قومه ومخاطبة عقولهم ومقابلتهم بالحجة والبينة، ومع أنه يملك الحجة والدليل الواضح على صدق ما يقول فهو يخاطبهم بقول الله تعالى (أَنُلزِمُكُموها وأَنتُم لَها كارِهون). فهو يترك لهم حرية الاختيار بدون إكراه لايمانه بأنَّ الإكراه والإجبار ليس من صفة الأحرار، ويستمر سيدنا نوح في حواره الهادف والبناء بإقناعهم بالحق بأنه لا يبتغي من وراء دعوته لهم مالاً ولا أجراً، ولو كان يبتغي المال والجاه والسلطة ما آمن به الضعفاء والمساكين، وهو لن يطردهم لأنه يخشى الله سبحانه وتعالى، ويحترم إرادتهم وفي هذا إشارة إلى أنهم طلبوا منه أن يطرد هؤلاء الضعفاء .

د. وفي غير كبرياء بل بكل تواضع يبين سيدنا نوح لقومه بأنه لا يملك خزائن الله، وليس بزعيم أو ملك يملك شيئاً يعطي الناس منه ، فلن يعدهم بمنصب ولا مال ولا جاه ، كما أنه يحترم هؤلاء الضعفاء والمساكين ويحترم إرادتهم. بل يرى بأنه سيكون من الظالمين إن هو وافقهم على فعلهم .

هـ. إن الذين حجروا على عقول الناس وقيدوا حرياتهم بالباطل لم يعد عندهم النفس اللازم لمقابلة الحجة بالحجة والبينة، فاستكثروا على سيدنا نوح هذا النقاش المقنع الطويل فقالوا (قد جادلتنا فأكثرت جدالنا). ويتحدون سيدنا نوح بأن يأتيهم بما يعدهم من العذاب منكرين لهذا الأمر أن يكون، ومع ذلك تكون الإجابة من سيدنا نوح بكل هدوء وروية ومنطق ، حيث يكل أمرهم إلى الله هو ربهم إن أراد أن يغويهم فإليه مرجعهم .

و. لقد أدى العناد والإنكار من قبل قوم سيدنا نوح إلى زوال ملكهم، بل زالوا من الوجود، فهذا مصير الطغاة الذين آذوا شعوبهم وصادروا حرياتهم فلن يفلتوا من عذاب الله .

إن احترام إرادة الإنسان واجب إنساني أراده الله لخلقه وبعث الأنبياء من أجل إحقاقه، وعليه فإن واجب الحكومات أن تحترم حرية الإنسان، وحظ الحكومات في دوام سيادتها يكون دائماً مساوياً لقدرتها على احترام الرأي الآخر وحرية الإنسان، وإدراكها أن حرية الكلمة ليست سيفاً مصلتا عليها. بل هي نور يهديها ومهماز يوقظها وصديق يشدُّ أزرها ويُثبت على الطريق المستقيم خطاها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث

الرؤية القرآنية والرؤية النبوية للحرية السياسية

بينت لنا الآيات السابقة صورة واضحة لأدب الحوار في الإسلام -كما أوضحت قيمة الإنسان كما أرادها الله سبحانه وتعالى ، وتوضيح الرؤية لمفهوم حرية الإنسان في القرآن الكريم جاء في غير آيات الحوار، وهو ما سوف نعرضه من خلال بعض آيات القرآن الكريم وأحداث السنة النبوية المطهرة وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول : الرؤية القرآنية للحرية السياسية .

المطلب الثاني : الرؤية النبوية للحرية السياسية .

المطلب الأول

الرؤية القرآنية للحرية السياسية

١. قال تعالى (قُلْ لَسْتُ عليْكُم بِوَكِيل)[١]. وقال تعالى (لَيْسَ عليْكَ هُداهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يهْدي مَن يَشاء)[٢]. وقال تعالى (إنَّكَ لا تَهْدي مَن أحبَبْتَ وَلَكنَّ اللّهَ يُهدِي مَن يَشاءُ وَهُوَ أعْلَمُ بالمُهتَدين)[٣]. وقال تعالى (أُدْعُ إلى سَبِيلِ ربِّكَ بالحِكْمَةِ والموْعِظَةِ الحَسنةِ وجَادِلْهُمْ بالتي هِيَ أحسنُ إنَّ ربَّكَ هُوَ أعلمُ بمَنْ ضلَّ عنْ سبيلِهِ وهُوَ أعلمُ بالمهتَدِين)[٤] . هذه الآيات وآيات كثيرة (وأخص بالذكر ما ورد في سورة هود، يونس، يوسف، الحج، النمل، مريم، طه، الإسراء، يس، الأحزاب، المائدة، البقرة، الأعراف، والتوبة)[٥] . تعطي دليلاً واضحاً على التوجيه القرآني في موضوع الحوار الحر واحترام حرية الإنسان. وبنفس الروح التي رأينا في الآيات السابقة يواجه الإسلام الأفراد والجماعات في أهم قضية تواجه الإنسان وهي قضية الكفر والإيمان، ومع ذلك فإنه ينهج أسلوباً بعيداً عن الإكراه لحرية الأفراد والجماعات، وهو في نفس الوقت توجيه في سياسة الحكم للناس فيما يصلح أمور دينهم ودنياهم بعيداً عن الضغط على حرياتهم وإجبارهم على سياسة معينة، فأسلوب التوجيه والحوار البناء والإرشاد وبيان الحقيقة وترك الاختيار للأفراد هو الأسلوب الذي انتهجته الدعوة الإسلامية منذ بداية عهدها ، إذن ففي

---

(١) سورة الأنعام ، آية ٦٦ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٧٢ .

(٣) سورة القصص ، آية ٥٦ .

(٤) سورة النحل ، آية ١٢٥ .

(٥) يوجد في هذه السور دلالات كبيرة وواضحة عن مفهوم الحرية السياسية في الإسلام .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نظر الإسلام فقد قام المجتمع على أساس من الإرادة الحرة المطلقة ، وهي تتمثل في المشيئة التي قبل بها الإيمان بالله استجابة لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، هذه الدعوة التي قبلها بإرادة حرة أوجبت عليه أن يدافع عنها وعن الوطن والمجتمع الذي يعيش فيه لأنه رمز الإنسانية ومظهر الكرامة التي يتميز بها الإنسان .

٢. إن الإسلام لا يمنع الإختلاف في الرأي حتى بين المسلمين أنفسهم. لأن ذلك أمر تقتضيه الفروق الشخصية بين الأفراد وهي فروق قائمة لا ترد، ولكن إذا وصل الاختلاف في الرأي إلى حالة من النزاع، فإن الإسلام يأمر المختلفين بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى (يا أيُّها الذينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللّهَ وأطيعُوا الرّسولَ وأُولِي الأمْرِ مِنْكُمْ فَإنْ تنازعتُمْ في شَيءٍ فَرُدّوهُ إلى اللّهِ والرّسولِ إنْ كنتُم تؤمِنونَ باللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ ذلكَ خيرٌ وأحْسَنُ تأويلا)[1] .

٣. والإسلام يعلن المساواة التامة بين الجميع. حيث لا فرق في الإنسانية فالكل لآدم وآدم من تراب وليس في الإسلام استعباد ولا استكبار. بل إن الكل سواسية كأسنان المشط، قال تعالى (يا أيُّها النّاسُ إنّا خَلقْناكُمْ منْ ذَكرٍ وأُنثى وجَعلْناكُم شُعوباً وَقَبائِلَ لِتعارَفُوا إنّ أكْرَمَكُم عندَ اللّهِ أتْقاكُم)[2]. وقال تعالى (ولَقدْ كرّمنا بَني آدمَ). فالإسلام يحافظ على حرمة الاشخاص وكيانهم ويصون حرياتهم، ومن هذه الحرمات حرمة النفس، حرمة المال، حرمة التملك ، حرمة العرض وحرمة المسكن ولنقرأ قوله تعالى في مواقع من كتابه العزيز حيث يقول تعالى:

(ولا تَقْرَبوا مالَ اليتيمِ إلا بالتي هِيَ أحسنُ حتّى يبْلُغَ أشُدَّه). الأنعام ١٥٢ .

(ولا تقْتُلوا أوْلادَكم منْ إمْلاقٍ نحنُ نرزُقكمْ وإيّاهُمْ ولا تقْرَبُوا الفَواحِشَ مَا ظَهَرَ منْها وَما بَطَن). الأنعام١٥١ .

(وَلا تقْرَبوا الزّنا إنّهُ كانَ فاحشةً وَساءَ سَبيلا) . الإسراء ٣٢ .

(وَلا تقْتُلوا النّفسَ التي حَرّمَ اللّهُ إلا بِالحَقّ) . الإسراء ٣٣ .

(منْ أجْلِ ذلكَ كتَبْنا على بَني إسْرائيلَ أنّهُ منْ قَتلَ نفْساً بِغَيْرِ نفسٍ أوْ فَسادٍ في الأرْضِ فكأنّما قَتلَ الناسَ جميعاً ومَنْ أحياها فكأنّما أحْيا الناسَ جَميعاً). المائدة ٣٢ .

(يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تَدْخُلوا بُيوتاً غَيرَ بُيوتِكُمْ حتّى تَسْتأنِسوا وتُسلّموا على أهْلِها). النور ٢٧ .

وفي هذا الباب يحرم الإسلام السخرية والاستهزاء من الآخرين أو تحقيرهم أو تحقير

---

(١) سورة النساء ، آية ٥٩ .

(٢) سورة الحجرات ، آية ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آرائهم. قال تعالى (يا أيُّها الذين آمَنوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَومٍ عَسى أن يكونُوا خيْراً مِنْهُم ولا نِساءٌ منْ نِساءٍ عَسى أن يكُنَّ خَيْراً منْهُنَّ ولا تَلْمِزوا أنفُسكم ولا تَنابَزُوا بِالألْقابِ بِئْسَ الاسْمُ الفُسوقُ بعدَ الإيمانِ ، ومَن لمْ يَتُبْ فأولئِكَ هُمُ الظّالِمون)[1]. فالإسلام دين يحرص على كرامة الإنسان ويدعو للابتعاد عن إهانته كما يحرص على عدم إيذاء الإنسان للإنسان بما يجرح إنسانيته أو يقلل من إعتباره الإنساني، وكل ذلك في مؤداه يحافظ على تماسك المجتمع ويبعث المودة بين فئاته المختلفة. وتحرص كل الحكومات على إقرار الأمن والاستقرار والوحدة الوطنية بين جميع فئات المجتمع .

٤. ليس هناك ضمان بعدم وقوع الأخطاء في توجه الإنسان وتصرفاته وخاصة عندما يستقل فيها برأيه. لأن رأي الإنسان مع المجموعة قد يخطيء فكيف برأيه وحده، وهذا الرأي قد لا يخلص للمصلحة العامة لأنه قد لا يتخلص من العوامل التي كونت الإنسان، وقد تضغط عليه حين يبدي رأيه أو حين يتصرف، فالإنسان مجموعة من الأحاسيس والانطباعات تتفاعل مع بعضها، وعليه فإن رأيه سيتأثر بهذه الأحاسيس وهذه الإنطباعات والإنفعالات إما سلباً أو إيجاباً تبعاً للأحداث السارة والضارة على السواء، ومن أجل تفادي محدودية الرأي في التوجيه والتفكير وإبعاد أثر المحدودية في أخطاء التصرف بقدر الإمكان. ينكر القرآن الكريم أن يحتكم الرسول والمؤمنون في توجيه أنفسهم وأمتهم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام. التي جاءت مفصلة وواضحة على نحو ما تعبر عنه الآية الكريمة على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يأمره ربه ، قال تعالى (أفَغَيْرَ اللّهِ أبْتَغي حكَماً وهُو الذي أنْزلَ إليْكُمُ الكِتابَ مُفَصّلاً)[2] .

٥. لقد تبين لنا كيف أن الله سبحانه وتعالى قد أذن لإبليس وهو ممثل الباطل وأعطاه حريته في مباشرة غوايته وفتنته للناس وتزيينه لهم الانحراف عن السبيل، كما منحه حريته في طلبه بإستمرار نشاطه الهدام حتى يوم البعث. قال تعالى: (وإذْ قُلْنا للمَلائِكةِ اسْجُدوا لآدمَ فَسَجدوا إلا إبْليسَ قالَ ءأسْجُدُ لِمنْ خلقْتَ طيناً ، قالَ أرأيْتَكَ هذا الذي كَرَّمتَ عليَّ لَئِنْ أخَّرتَنِ إلى يومِ القِيامةِ لأحْتَنِكنَّ ذُرِّيَتَهُ إلا قليلاً ، قالَ اذهَبْ فمَنْ تَبِعكَ منْهم فإنَّ جهنّمَ جزاؤكُم جزاءً مَوْفوراً ، واسْتَفْزِزْ من استطعتَ منْهم بصَوْتِكَ وأجْلِبْ عليهم بِخَيلِكَ ورَجِلِكَ وشارِكْهُم في الأمْوالِ والأولادِ وعِدْهُم وما يَعِدُهُمُ الشّيطانُ إلا غُرُوراً)[3] .

---

(١) سورة الحجرات ، آية ١١ .

(٢) سورة الأنعام ، آية ١١٤ .

(٣) سورة الإسراء ، الآيات ٦١ - ٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦. قال تعالى: (ولَوْ شاءَ ربُّك لآمَنَ منْ في الأرضِ كلُّهم جميعاً أفأنْتَ تُكْرِهُ الناسَ حتّى يكونوا مُؤمنين)[1]. إن الإكراه على الدين يضاد طبيعة الإنسان. لأن هذه الطبيعة كرمت في خلقها وتصويرها. قال تعالى: (وصوَّرَكُم فأحْسنَ صُوَرَكم)[2]. وقال تعالى: (إنّا خلقْنا الإنْسانَ منْ نُطفةٍ أمشاجٍ نبتَليهِ فجعلناهُ سَميعاً بَصيراً)[3].فلو أكره هذا الإنسان على الإيمان لكان هذا الإكراه مصادرة لفطرته وحريته ومتعارضاً مع الخصيصة والميزة التي خصّه الله بها في خلقه وتصويره وهي ميزة الإدراك والترجيح ، والتعبير القرآني الموجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين. لا يبين تعجباً واستغراباً أو إنكاراً لمحاولة الإكراه على الإيمان فحسب، بل نفياً لهذا الأسلوب لأن فيه اعتداء على حرية الإنسان وإرادته، إن الإكراه بوسيلة أو بأخرى هو مخالف لإنسانية الإنسان وهو وسيلة مخالفة لحرية الإنسان. وبكل أسف فقد أدى التقدم العلمي والحضاري إلى التوسع والتفنن في صور الإكراه على الإيمان بدلاً من التقدم في مجال احترام النفس البشرية ، مما يدل على حاجة هذه النفس إلى الروح قبل حاجتها إلى العلم والمادة ،فالقرآن الكريم عندما يؤكد حرية الفرد في اعتقاده على الصورة التي بينتها آياته مثل قوله تعالى: (لا إكراه في الدين). إنما يريد أن يعلم الأمم جميعها قيادة وشعوباً أن احترام حرية الإنسان واجب محتوم تقتضيه إرادة الله ومن ثم الفطرة التي فطر الله الناس عليها والتكريم الإلهي لهذه النفس البشرية. إن احترام القيادة والتوجيه بالإبقاء في دائرة الممكن وعدم تجاوزه إلى ما يصطدم مع القوانين الفطرية والاجتماعية. وبتلك التي تنظم الوجود الأرضي للإنسان وتحافظ على حريته هي من أهم مطالب الفطرة الإنسانية .

٧. إن دعوة الإنسان للتحرر تكون في أعلى معانيها عندما تكون دعوة للتحرر من الأنانية والطمع والجشع والشح، ودعوه للتحرر من الخوف على الرزق والأجل، والمسلم يتربى على الإيمان بالله وعلى أساس من كلمة التوحيد، وينبثق عن كلمة التوحيد ثلاثة أسس[4] . الأساس الأول : الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له هو الخالق الرازق، المحيي، المميت الذي يملك النفع والضرر، والذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، قال تعالى (مالَكُم لا تَرجُونَ لِلّهِ وَقاراً ، وقد خلقَكُم أطْواراً)[5] .

---

(١) سورة يونس ، آية ٩٩ .

(٢) سورة التغابن ، آية ٣ .

(٣) سورة الإنسان ، آية ٢ .

(٤) محمد أبو فارس ، أسس في التصور الإسلامي . عمان : دار الفرقان ، ١٩٨٢ ، ص٤١-ص٥٠ .

(٥) سورة نوح ، آية ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو الرازق (إنَّ الله هو الرزاق ذو القوة المتين). وهو المحيي والمميت (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم). وهو الذي يملك الضرر والنفع (وإن يمسَسْك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير) .

الأساس الثاني : إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة والطاعة والحاكمية والإستعانة والاستعاذة والرجاء والخوف والرهبة والإنابة والحب، فالله وحده هو المعبود (إيّاكَ نَعبدُ وإياكَ نَستعينُ). وهو المستعان في الشدائد (إذْ تَستغِيثُونَ ربَّكم فَاستَجابَ لَكم)[1]. والله وحده يُخشى (وَيخشونَهُ ولا يَخشَونَ أحَداً إلا اللهَ وكفَى باللهِ حَسيباً)[2]. ولله وحده الحكم في الأولى والآخرة (إنِ الحُكمُ إلا للهِ أمرَ ألا تَعبُدُوا إلا إيَّاه)[3] .

والمسلم مأمور بالتمرد على الطاغوت وعلى كل شرع يخالف شرع الله سبحانه وتعالى (وَإن جَاهدَاكَ عَلى أن تُشرِكَ بي مَا ليسَ لكَ بِهِ عِلمٌ فَلا تُطِعهُمَا)[4] .

والأساس الثالث : يقتضي الإيمان بأسماء الله وصفاته وأن نؤمن بها كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية، مع الاعتقاد بأنها لا شبيه لها في صفات الآدميين (ليسَ كمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصِيرُ)[5] .

هذه الحصيلة الإيمانية عليها يتربى المسلم ومنها يعرف المعنى الحقيقي للحرية. فالذي لا يخشى إلا الله ولا يؤمن إلا بالله ويكون إيمانه على أساس من كلمة التوحيد بأسسها الثلاثة السابقة. لا يخشى إلا الله ولا يخشى قوة في الأرض مهما علت، فالمؤمن يؤمن بأن الرزق والأجل وكل شيء من عند الله ، فعلى أي شيء يخاف؟. من هنا نلمس في ذات المسلم الحرية الحقيقية في قول كلمة الحق ولو على نفسه، وهذا من أعلى درجات الحرية السياسية، وبالتالي لن تجد قوة في الأرض يمكن أن تحد من حرية الإنسان، ويمكن بيان آثار الأسس الثلاثة السالفة الذكر على حرية الفرد من خلال تأثيرها على أخلاقه وسلوكه فيما يلي[6] :-

أ. <u>تحرر النفس الإنسانية من الخوف على الحياة</u> : تقرر الأسس الثلاثة أن الخالق هو الله، وأن الأجل بيد الله وأن هذا الأجل محدود لا يزيد ولا ينقص (وَلن

---

(١) سورة الأنفال ، آية ٩ .
(٢) سورة الأحزاب ، آية ٣٩ .
(٣) سورة يوسف . آية ٤٠ .
(٤) سورة لقمان ، آية ١٥ .
(٥) سورة الشورى ، آية ١١ .
(٦) محمد أبو فارس ، أسس في التصور الإسلامي ، ص٦١-ص٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يُؤخِّرَ اللَّهُ نَفساً إذَا جَاءَ أجَلُهَا)[1]. (وَمَا كانَ لِنفسٍ أن تَمُوتَ إلا بِإذنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤجَلاً)[2]. مثل هذه العقيدة إذا استقرت في قلب الإنسان فلا نظنه يعرف الذل والهوان ولا نظنه يستكين للاستعباد والاسترقاق، بل إنه لن يرضى أن يعيش إلا حراً رجلاً . لأن الإسلام دين الحرية والرجولة. فالمسلم يعلم أن الذل والهوان لن يزيد في عمره لحظةً واحدة، وأن الشجاعة والرجولة لن تنقص من عمره لحظة واحدة أيضاً . من هنا فإن الإسلام لا يرضى لأتباعه إلا أن يكونوا أحراراً. انطلاقاً من فهمهم لكتاب الله سبحانه وتعالى، وقد ترجم السلف الصالح هذه الحقائق الفكرية في مواقف رجولية فعاشوها تطبيقاً وواقعاً لا نظريات. فها هو بلال بن رباح يأبى أسياده إلا أن يظل عبداً مملوكاً أسيراً في أيديهم بفكره وعقيدته وحريته ولكن هيهات، فبعد أن علمته عقيدته معنى الحرية تحمل في سبيلها أشد أنواع العذاب. وها هي زنيرة المرأة البسيطة بعد أن إعتنقت الإسلام وعرفت معنى العقيده نراها تتعرض لأشد أنواع العذاب حتى فقدت بصرها، ومع ذلك صبرت واحتسبت أمرها لله تعالى. أمام هذه النماذج المجاهدة هل نجد في التاريخ الحديث من يسجل معنى كريماً من معاني الحرية كما سجله سيد قطب رحمه الله الذي سجن وعُذّب وحكم علية بالإعدام، ويأتي أعوان السلطان ليطلبوا منه كلمة واحده. إعتذاراً لحاكم مصر. فيكون رده عليهم بكلمته التي لا تزال قوة تدفع ملايين الشباب للثبات على عقيدتهم والدفاع عنها بأغلى ما يملكون. هذه الكلمة التي لا تزال مثال الرجل الحر المؤمن الذي عاش حراً وأبى إلا أن يموت حراً، وكان بإمكانه أن يعيش ذليلاً. فقال رحمه الله (إن كنت حكمت بالحق فأنا أرتضي حكم الحق، وإن كنت حكمت بالباطل فأنا أكبر من أن استرحم الباطل، وإنّ إصبعي السبابة التي تشهد لله بالوحدانية خمس مرات في اليوم لترفض أن تكتب كلمة واحدة تقرّ بها حكم طاغية). هكذا يكون الرد ممن حررتهم العقيدة من عقدة الخوف على الأجل أو الرزق أو المنصب، إن عقيدة الإيمان تعلم أتباعها أن يؤمنوا أحراراً، وأن يعيشوا احراراً، وأن يموتوا أحراراً، وقديماً قال الشاعر :

لا تسقني كأس الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

من هنا كانت هذه الأجيال أهلاً لتغيير وجه التاريخ، فخرجت شعباً حراً شهماً كريماً مؤمناً لم يخشَ في الله لومة لائم .

ب. <u>تحرر النفس الإنسانية من الخوف على الرزق</u> : لقد عمقت الأسس الثلاثة في قلوب أصحابها أن الرزق بيد الله، وأن أحداً في الدنيا مهما علت مرتبته

(١) سورة المنافقون ، آية ١١ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ١٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومهما بلغت منزلته وعظم جبروته لا يملك أن ينقص من رزق مخلوق شيئا. (إنَّ اللَّهَ هُو الرَّزَّاقُ ذُو القُوةِ المتِينُ)[1]. وقال تعالى (وَمَا من دابَّةٍ في الأرضِ إلا عَلى اللَّهِ رِزقُهَا)[2]. وقال تعالى (وَفي السَّماءِ رزقُكُم وما تُوعَدون، فوَربِّ السَّماءِ والأرضِ إنَّهُ لَحَقٌّ مثلَما أنَّكُم تنطِقون)[3]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن روح القدس نفث في روعي إنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم إستبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فإن ما عند الله لا يطلب إلا بطاعته). كم من الأفراد يحرمون حرياتهم وتنخرس ألسنتهم عن الحق حرصاً على لقمة العيش؟ ظانين أن جبنهم وتقاعسهم عن مناصرة الحق وأهله سيضمن لهم هذه اللقمة، والأمثلة في عالمنا العربي على هذا الأمر كثيرة جداً، فكم هي الأفواه المكممة من قبل أجهزة المخابرات خوفاً على فصل من وظيفة أو عدم تعيين؟. لقد نسي هؤلاء أن الأرزاق بيد الله وأن الذين يخشونهم لا يملكون من الرزق إلا ما قرره الله لهم، فالأسس الثلاثة تقرر أن الشجاعة وقول كلمة الحق ومقاومة الظلم والتحرر من الخوف لا تنقص من الرزق مثقال حبة من خردل، وأن الجبن والتقاعس والاستعباد والاسترقاق لا يزيد في الرزق قطميراً. ولله در الشافعي حين قال:

أنا إن عشت فلست أعدم قوتاً ... وإن متُ فلستُ أعدم قبراً

همتي همة الرجال ونفسي ... نفس حر ترى المذلة كفراً

وقد تأبى السلف الصالح على سيرة الصحابة الأولين في فهم هذه المعاني، فلم يضرهم يوماً استدراج الحكام لهم في رفع حاجتهم إليهم، عن أنس رضي الله عنه قال: (كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بردٌ نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذةً شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبيِّ عليه الصلاة والسلام وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال يا محمد: مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء)[4]. وتروي كتب السيرة أنّ الشيخ سعيد الحلبي كان جالساً، في الجامع الأزهر ذات يوم ماداً رجله عند أحد أعمدة المسجد، فدخل إبراهيم باشا حاكم مصر، فهرع الناس لإستقباله وبقي الشيخ لم يتحرك حتي مر به ووقف على رأسه ولم يلتفت إليه، فانصرف إبراهيم باشا وأرسل إليه مع رسول صرةً من ذهب، فلما قدمها الرسول إلى الشيخ سعيد الحلبي وأبلغه تحيات الباشا نفر به الشيخ وكان ثعباناً قد لدغه

(١) سورة الذاريات، آية ٥٨.

(٢) سورة هود، آية ٦.

(٣) سورة الذاريات، الآيتان ٢٢-٢٣.

(٤) صحيح مسلم، حديث رقم ١٠٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال للرسول: قل لإبراهيم إن الذي يمد رجله لا يمد يده. مَنْ مِن علمائنا يمكن أن يفعل هذا ؟. فذاك رحمه الله ربته العقيده أن يكون حر النفس مرهوب الجانب فلم يعرف الذلة والهوان . أما أولئك الذين رخصت نفوسهم وذلوا وهانوا، باعوا حريتهم ورضوا بالعبوديه لاسيادهم، فرخصت نفوسهم مقابل دريهمات بسيطه، وفقدوا كرامتهم وحريتهم لقاء ذلك .

ج . تحرر النفس الإنسانية من الأنانية والشح والجشع . الإنسان بطبعه محب للمال (وتُحبّونَ المالَ حُبّاً جَماً)[1]. وقال تعالى (وإنّهُ لِحُبّ الخيْرِ لَشَديد)[2]. والإنسان يبخل بالمال على أخيه الإنسان وربما على نفسه أحياناً قال تعالى (وكانَ الإنسَانُ قَتُوراً)[3] . ويصور لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مدى إفراط الإنسان في حبه للمال واستزادته منه حيث يقول (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب). هذه هي طبيعة الإنسان الطيني بلا مبدأ ولا عقيدة، طبيعته الجشع والطمع والأنانية، ولكن الأمر يختلف تماماً عندما تتغلغل العقيدة في نفسه وتصل إلى أعماق قلبه، عندما نجده يضحي بالمال من أجل غيره، ويتقدم في المغرم، ويتأخر في المغنم، ولا يزاحم إخوانه مزاحمة تفسد الأخوة والمودة بينهم، فالمسلم الذي يخف تعلقه بالمال يخلو قلبه من الطمع والجشع والأنانية، وذلك لأن حب الدنيا هو رأس كل خطيئة كما ورد في تعاليم الرسول عليه السلام.

ويصبح حال المسلم مع عقيدته وتحرره من جشع نفسه وطمعها حال الذين قال الله فيهم (ويُطعِمونَ الطّعامَ على حُبّهِ مِسكيناً ويَتيماً وأسِيراً إنّما نُطعِمُكم لِوَجْهِ اللّهِ لا نُريدُ مِنكُم جَزاءً ولا شُكوراً، إنّا نَخَافُ مِن ربّنا يوماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً، فوَقاهُم اللّهُ شرَّ ذلِكَ اليومِ ولَقّاهُم نَضْرَةً وسُروراً، وجَزاهُمْ بِمَا صَبرُوا جَنّةً وحَريراً)[4] .

إن هذه العقيدة تعلم صاحبها الإيثار، وأي إيثار، أعظم من أن يجود الإنسان بنفسه من أجل أخيه، فكان مثل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الرجل الذي أطعم ضيفه قوت عائلته وأولاده ، حيث نزل فيه قول الله تعالى (ويُؤْثِرونَ على أنْفُسِهِم ولَوْ كانَ بِهِم خَصاصَة)[5] . مما تقدم نرى كيف تحرر أسس الإيمان الإنسان من الجشع والطمع والأنانية، والنفس الحرة لا بد لها أن تحرر ذاتياً قبل

---

(١) سورة الفجر ، آية ٢٠ .
(٢) سورة العاديات ، آية ٨ .
(٣) سورة الإسراء، آية ١٠٠ .
(٤) سورة الإنسان ، آية ٨ – ١٢ .
(٥) سورة الحشر ، آية ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن تطلب الحرية من غيرها ، هكذا يتربى جيل العقيدة ويصان من كل شائبة، حيث تتسلح النفس الحرة بعد سلاح الإيمان بالإيثار ونكران الذات .

إن تحرر النفس داخلياً يكون في المقام الأول للتحرر، لا كما نراه في حضارة القرن العشرين، حيث زُخرفت لنا سبل الحياة فظننا السراب ماءاً ، فهل حقاً أن ديموقراطية القرن العشرين تعني حقيقة تحرير الإنسان وتملكه لحرية نفسه ؟. أم أننا نرى الجو مختلف تماماً، فالشعوب لا تزال مستعبدة وحكم الطواغيت قائم وحرية الكلمة مخنوقة .

ما أحوج الإنسانية اليوم إلى عقيدة صافية مثل عقيدة السماء. تعنى بتحرير وجدان الإنسان ونفسيته وتبعد عنه شبح الرق والاستعباد والإهانة ، إن العالم اليوم بحاجة إلى رجل كمحمد بن عبد الله عليه السلام. يعيد للنفس كرامتها وللأمة مجدها وللإنسان حريته ، يقول الفيلسوف الانجليزي المشهور (برناردشو) (لقد كان دين محمد موضع تقدير سام ، وإنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة ،وإن رجلاً كشاكلته لو تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته)[1].

المطلب الثاني

الرؤية النبوية للحرية السياسية

حفلت السنه النبوية الشريفة والحديث النبوي بنصوص واضحة في الحرية السياسية، وقبل العرض لهذا الموضوع لا بد لنا من أن نبين مكانة السنة النبوية في التشريع والفكر الإسلامي .

من المعروف أن القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر الفكر الإسلامي، وهو الكتاب المعجز في آياته وكلماته ومقاصده وغاياته ، وقد يسره الله تعالى للذكر والتلاوة، ونزل هذا الكتاب ليكون دستوراً للبشرية ، فاحتوى المقاصد والكليات وقلت فيه التفاصيل والجزيئات ، فاقتضت حكمة الله تعالى أن يكل لنبيه عليه السلام مهمة البيان والتفصيل ، فكانت هذه المهمة كرامة وتشريفاً للجنس البشري ، يقول تعالى (هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُم يَتلُو عليْهِم آياتِهِ ويُزَكِّيهِم ويُعلِّمُهُمُ الكِتابَ والحِكمةَ وإنْ كانُوا مِنْ قبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِين)[2] . وكما يقول الإمام

---

(١) عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام. بيروت: دار السلام للطباعة والنشر، ١٩٨١ ، ج١ ، ص٦-ص٧.

(٢) سورة الجمعة ، آية ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشافعي فإن الحكمة هي السنة[1] .مستدلاً بقوله تعالى(وَاذكرنَ مَا يُتلَى في بُيُوتكنَّ من آياتِ اللَّهِ والحِكمَةِ)[2]. فالقرآن الكريم هو ما يتلى من آيات الله والسنة هي الحكمة التي أمر الله تعالى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بذكرها .

وقد عرف العلماء السنة بأنها كل ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية من لدن بعثته حتى وفاته، وقد تأتي السنة قولاً أو فعلاً من الصحابة باعتبارهم شهود عصر النبوة المقتبسين من مشكاتها ، أو من التابعين بإعتبارهم شهود عصر الصحابة وأقرب الناس إلى عصر النبوة .

وأما الحديث فهو أعم من السنة من حيث المفهوم. إذ أنه يزيد على السنة في تناوله لكل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى ولو كان منسوخاً ليس عليه العمل، ويتناول صفات النبي صلى الله عليه وسلم الخلقية من حيث لونه وجسمه وشعره وطوله وصفاته الجبلّية . وقد وضح علماؤنا هذا التفريق بين الحديث والسنة، فقد روى ابن مهدي أنه قال (سفيان الثوري إمام في الحديث وليس إمام في السنة والأوزاعي إمام في السنة وليس بإمام في الحديث). ونخلص إلى القول أن الحديث أعم من السنة فكل سنة حديث وليس كل حديث سنة ، والسنة هي غاية الحديث وثمرته، ومن السنة ما يفيد الوجوب أو الحرمة ومنها ما يفيد الندب أوالكراهة ، ومنها ما يفيد الإباحة، وهذا مدلول السنة عند المحدثين، وأما الفقهاء فالسنة عندهم نوع من الأحكام الشرعية وهي ما أفاد الاستحباب والندب[3] . والسنة هي شارحة القرآن فكل ما في السنة من المعنى لا بد أن يكون له أصل قرآني.

لقد رفعت السنة النبوية من قيمة الفرد واهتمت بحريته، وكانت نظرية يعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، وتمثلت سلوكاً واقعياً في حياته. فالرسول يدعو لسلوك الشورى لكنه لم يكتف بها نظرية بين أصحابه، بل مارسها سلوكاً وتطبيقاً بين صحابته حتى أصبحت ممارسة حية في حياتهم. لقد جاءت النظرية وجاء روح التطبيق والعمل سلوكاً في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياة أصحابه، وسنعرض في هذا المطلب السنة النبوية في مجالها النظري، أما المجال العملي فسوف نعرض له في باب لاحق إن شاء الله .

١. لقد رفعت السنة النبوية من قيمة الفرد واهتمت بحريته الشخصية، كيف لا والسنة النبوية هي شارحة القرآن، والإسلام لا يكتفي بإقرار حرية

---

(١) ابراهيم زيد وآخرون، دراسات في الفكر العربي الإسلامي. عمان الشركة الجديدة، ١٩٨٩، ص٨٧.

(٢) سورة الأحزاب ، آية ٣٤ .

(٣) ابراهيم زيد وآخرون ، دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ص٩٠-ص٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفرد فقط بل يأمر بوجوب التصريح بها إذا ما تعلقت بها مصلحة مؤكدة للفرد والجماعة .

لقد جاء اهتمام السنة النبوية بالحرية السياسية في مجالات تفوق ما تطالب به الأنظمة الحديثة ، فقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم في أوامره وتعليماته أن يذكر ليس فقط بحرية الإنسان بل تعدى ذلك للتذكير بحرية الحيوان، فقد ورد في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (عُذبت أمراة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي اطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من حشائش الأرض)[1]. هذا المعنى العظيم في التعامل مع حيوان أصم لا يعقل ، يعطي مؤشراً كبيراً ومعنى عميقاً يهدف إليه الإسلام. فإذا كان الإنسان وهو أكرم مخلوقات الله عليه ، والله قد سخر كل ما في الوجود لخدمته فكيف تكون النظرة إليه؟. إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر من إيذاء الحيوان ويبتديء حديثه بتقرير العذاب لامرأة قامت بحبس هرة، ومعروف أن السجن قتل للحرية وهو من الأساليب التي استخدمها الطغاة قديماً وحديثاً، وحتى مع الحبس فقد قرر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يؤمن للسجين الطعام والشراب والحياة الحرة، هذا مع الحيوان فكيف مع الإنسان؟. .

إن من يتأمل مثل هذه المعاني وينظر في أحوال الناس خاصة في أيامنا هذه، ويسمع ويقرأ بعض التقارير الصادرة عن منظمات حقوق الإنسان. ليرى البون الواسع بين معاني الإسلام السمحة مقارنة مع ممارسات الأنظمة الحديثة ، بعض السجون في عالمنا العربي مليئة بالمظلومين الذين سجنوا لقاء أفكارهم وما هي أفكارهم؟. في غالبهم يطالبون بتحكيم شرع الله. وهو مطلب حق يأتي نتيجة القناعة المطلقة بهذا المبدأ ، ومع ذلك امتلأت بهم السجون ، وعذبوا وأهينوا ودفن البعض منهم أحياء، وقد أبى الطواغيت أن يعاملوهم فقط مثلما طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعامل الحيوان، إذا كانت المرأة قد عُذبت في هرة حبستها، فما عسى أن يكون العذاب للطواغيت؟. وفوق ذلك فقد أعد الله النار للمرأة على فعلتها، فماذا أعد الله سبحانه وتعالى لأولئك الذين قتلوا حريات شعوبهم وأذاقوهم سياط العذاب؟. .

ودعوة الرسول صلى الله عليه وسلم المرأة أن تترك الهرة وتطلق سراحها تأكل من حشائش الأرض دعوة إلى تحريرها واحترامها كمخلوق ، وإنه لمن باب أولى أن تحترم حرية الإنسان ويطلق سراحه يتبوأ في الأرض ما قسمه الله له .

---

(١) صحيح مسلم ، حديث رقم ٢٢٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن المبادئ العظيمة التي أقرها الإسلام في احترام حرية الإنسان بل في احترام حرية كل مخلوق. هي نماذج فريدة نجد عالمنا اليوم بأمس الحاجة إليها لضمان أمنه واستقراره ووجوده .

٢. عرفت الجاهلية الرقيق، فجاء الإسلام والرقيق عادة وواقع يصعب التخلص منه دفعة واحدة، وقد عالج الإسلام هذه الظاهرة تدريجياً حتى قضى عليها قضاءً تاماً، وتعتبر تجربة الإسلام في هذا الباب تجربة فريدة استطاع من خلالها أن يقضي على عادة سيئة وأن يضع لها حلاً جذرياً عجزت الأنظمة الحديثة عن علاجه والتخلص منه .

وقد جاءت السنة النبوية بمعان عظيمة في مجال احترام العبد (حيث كان هذا في بداية الإسلام). فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي *صلى الله عليه وسلم* قال : (من ضرب غلاماً له حداً لم يأته أو لطمه فإن كفارته أن يعتقه)[١] . هكذا تحترم حرية الإنسان، فالعبد الذي كان سلعة تباع وتشترى جعل الرسول *صلى الله عليه وسلم* له احتراماً، فجعل جزاء الاعتداء عليه بدون سبب أمراً بعتقه وتحريره، وهذا أعظم جزاء لهذا المخلوق وأكبر عقاب لمن أراد أن يعتدي على حرية الآخرين ، وفوق ذلك جاءت الآيات القرآنية التي تقرر عقوبة على بعض المذنبين بعتق رقبة.

قال تعالى (وَمن قَتلَ مُؤمناً خطأً فَتحريرُ رقبةٍ مُؤمنةٍ وَديةٌ مُسلمةٌ إلى أهلهِ). وقال تعالى (إنَّما الصَّدقاتُ للفُقراءِ والمسَاكينِ وَالعَاملينَ عَليها وَالمُؤلفةِ قُلوبُهم وَفي الرِّقَابِ)[٢]. كما أن الإسلام أقر عقوبة على حلف اليمين وعدم تنفيذها بعتق رقبة، وكانت في الترتيب الأول قبل الصيام وإطعام المساكين .

لقد أقر الرسول *صلى الله عليه وسلم* مبدأ عدم الضرب والذي هو نوع من الجزاء على الذنب. وجعله ضرباً غير مبرح حال تنفيذه ، كما أقر الرسول *صلى الله عليه وسلم* قاعدة فريدة من أجل تحرير الإنسان في جعل كفارة هذا العبد هي عتقه ومنحه حريته .

وقد ورد في حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلاما بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي (اعلم أبا مسعود)، فلم أفهم الصوت من الغضب ، فلما دنا منّى إذا هو صوت رسول الله *صلى الله عليه وسلم* فإذا هو يقول (إعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام، فقلت: لا أضرب مملوكاً بعد)[٣].

(١) صحيح مسلم ، حديث رقم ١٦٥٧ .

(٢) سورة التوبة ، آية ٦٠ .

(٣) صحيح مسلم ، حديث رقم ١٦٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه التعاليم النبوية وهذا الأسلوب في التعليم وهذا الحرص من رسول الله *صلى الله عليه وسلم* على تقدير الذات الإنسانية وحفظ كرامتها. يعطي صورة الهدي النبوي في احترام حرية الإنسان وإقرارها. أليست حضارة اليوم بحاجة إلى مثل هذه المعاني في احترام حرية الإنسان؟. أليست أميركا وأوروبا وجنوب أفريقيا بحاجة إلى مثل هذا؟. أليس اليهود فوق أرض فلسطين والذين يدعون الحرية والديموقراطية بحاجة لمثل هذا؟. أليس الحكام في عالمنا العربي بحاجة إلى تذكر هذه المعاني؟. نعم إن العالم اليوم تواق لمثل هذه المعاني في معاملة الإنسان واحترام حريته ووجوده .

٣. روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله *صلى الله عليه وسلم* قال (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسّسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولاتباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا)[1] . يحرم الإسلام الظن وذلك لما يُبنى على الظن من ظلم للآخرين والظلم فيه اعتداء على حرية الإنسان وكرامته. كما جاءت تعليمات رسول الله *صلى الله عليه وسلم* بتحريم التحسس والتجسس على عورات الناس، كما يحرم التنافس الذي يكون فيه اعتداء على حرية الإنسان، ويحرم الحسد ويعتبره من الصفات المذمومة الخارجة عن صفات الإنسانية التي أرادها الله، كذلك يحرم البغضاء. لأن الإسلام يريد المجتمع مجتمعاً متحاباً متراصاً يحب بعضه بعضاً، وتأتي الدعوة الإنسانية التي تدعو إلى إعلان المساواة التامة بين بنى البشر في قول رسول الله *صلى الله عليه وسلم* وكونوا عباد الله إخوانا، هذه الدعوة التي تنظر إلى الناس جميعاً بمنظار الأخوة وتعتبرهم جميعاً سواء، إن الأخوة تنفي أي تمييز بين الأخ وأخيه أو استعلاء أحدهم على الآخر. من هنا جاءت رسالة الإسلام رسالة إنسانية عالمية تنظر للإنسان كإنسان وتحرم استعباد الإنسان لأخيه الإنسان. وعليه كانت الدعوة للأخوة ، كما جاء في الحديث (وكونوا عباد الله إخوانا). وكما ورد في قوله تعالى (وَاذْكُرُوا نِعمَتَ اللّهِ عَلَيكم إذ كُنتُم أعَداءً فَألفَ بينَ قُلوبكُم فَأصبَحتُم بِنعمتِهِ إخوَاناً)[2]. هكذا كانت دعوة الرسول *صلى الله عليه وسلم* دعوة إلى حسن الظن بالآخرين، واحترام كرامتهم وإنسانيتهم وعدم الاعتداء عليها .

٤. جاء في هديه عليه الصلاة والسلام تأكيداً مقروناً بالتهديد، هذا التأكيد يتعلق بضرورة أن يصدع المؤمن بكلمة الحق دون أن يخش لومة لائم. والتهديد من الله بعقاب الأمة إن هي تقاعست عن قول كلمة الحق . فقد اعتبر الرسول *صلى الله*

---

(١) صحيح مسلم ، حديث رقم ٢٥٦٣ .

(٢) سورة ال عمران ، آية ١٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليه وسلم تقاعس المسلم عن الإدلاء برأيه وسكوته عن الصدع بكلمة الحق سبباً في عقاب الله للأمة وعدم استجابة الله للدعاء منها، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه فتدعونه فلا يستجاب لكم)[1].

يعتبر الإسلام قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أولى متطلبات الحرية الفردية لكي يقوم المسلم بواجبه تجاه دينه ودنياه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي دعوة الخير في حقيقتها، فهي إقرار لكل خير ونبذ لكل شر ومكروه ، و ما لم تتحقق حرية الفرد المنضبطة فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يصبح عملاً خيالياً .

٥. يعتبر الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، ويتخذ الجهاد أشكالاً عدة. منها قتال الأعداء ومنها جهاد النفس ومنها الجهاد بالقلم والكلمة وغير ذلك ، غير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتبر أفضل أشكال الجهاد كلمة حق يقولها المرء أمام سلطان جائر. حتى ولو أدى ذلك إلى قتله. ورسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يقرر ذلك فإنما يكون بعيد النظر في قراره وذلك أن الجهاد الحقيقي في قتال الأعداء لا يمكن أن يتحقق في ظل الظلم والاضطهاد وقتل حرية الكلمة، من هنا جاء إقراره عليه الصلاة والسلام باعتبار أفضل الجهاد كلمة حق أمام السلطان الظالم .

والإسلام إذ يعتبر حرية الفرد هي الأساس وذلك لأن مصلحة الأمة لا تتحقق إلا بها ، بينما في ظل ظلم السلطان تتعطل مصالح الأمة ، وبقتل حرية الأفراد تقتل الأمة بكاملها، ورد في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر)[2]. وفي رواية للنسائي عندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الجهاد أفضل قال (كلمة حق عند سلطان جائر) .

إن الأمة في ظل الجور والظلم لا يمكن أن يتحقق بين أفرادها العدل . والمساواة والحرية يتصلان بقناة واحدة ، والأمة في ظل الظلم والجور لا يمكن أن يتحقق فيها جهاد الأعداء إذ كيف للمظلوم أن يجاهد؟. إن الأمة الحرة المتحررة من القيود هي الأمة المطيعة لقيادتها وهي التي تبني جسور الثقة مع القيادة، وهي الأمة القادرة على قتال أعدائها وتبذل في سبيل ذلك أعلى تضحياتها، إنها تدافع عن وجودها، تدافع عن حريتها والحرية هي أغلى ما تملك. لكن الأمة

(١) تُحفة الأحوذي ، بشرح جامع الترمذي ، الحديث رقم ٢٢٥٩ .

(٢) المصدر نفسه، الحديث رقم ٢٢٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسلوبة الإرادة، فاقدة الحرية لا نجد فيها أية إرادة لقتال أعدائها، كيف تقاتل وفي ظل من تقاتل؟. هذا الحال هو حال أمتنا في ظل الهيمنة الصليبية واليهودية العالمية عليها ، وقد نجد ولا حرج في ذلك من يقول ما هو الفرق بين اليهود وبعض الأنظمة الظالمة، ونجد من يقول قد تكون الحرية في ظل حكم اليهود أفضل من الحرية في ظل حكم معظم أنظمتنا، نقول هذا بكل صراحة ونحن نرى كيف يعبر المواطن عن حريته في ظل الحكم الصهيوني البغيض، وكيف لا يستطيع المواطن العربي في ظل النظم الدكتاتورية أن يقول كلمة حق واحدة، لقد بلغ عدد المهجرين من عالمنا العربي إلى خارج وطنهم ما يعادل عدد المهجرين من أبناء فلسطين خارج وطنهم ، كيف نقول وماذا نقول ونحن نرى الملايين من أبناء أمتنا يحرم عليهم وطء أوطانهم لا لشيء إلا لاعتقادهم وولائهم السياسي .

من هنا نرى أهمية الحرية التي أرادها الإسلام وكيف أن الإسلام أعطى للفرد أعلى درجات الحرية، فأوجب على المواطن أن يقف في وجه الحاكم وأن يصدع بكلمة الحق. لأن ذلك ليس فقط تعبيراً عن رأيه بل فيه حياة للأمة جميعاً .

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: (يا أيها الناس إنكم لتقرأون هذه الآية (يَا أَيُّها الذينَ أمنوا عَليكم أنفُسكم لا يَضركم من ضلَّ إذا اهتديتم). وإني سمعت رسول الله *صلى الله عليه وسلم* يقول. (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده)[1].

٦. حرص رسول الله *صلى الله عليه وسلم*في بيعته للأنصار على إرساء مبدأ ثابت منذ البداية، وهو الذي أراد أن يؤسس مبادئ ثابتة لا تتغير، وعلّم الأمة أن تكون حرة في إرادتها وقرارها دونما خوف من أحد ، واعتبر رسول الله *صلى الله عليه وسلم* قول كلمة الحق دونما خوف من أحد من شروط المواطنة الحقّة ، فعن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال (بايعنا رسول الله *صلى الله عليه وسلم* على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثره علينا، ولا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان، وعلى أن نقول الحق أينما كان لا نخاف في الله لومة لائم)[2]. فرسول الله *صلى الله عليه وسلم* يقرر منذ البداية أن من أراد الدخول في دولة الإسلام يجب أن يكون حراً قادراً على إبداء رأيه، وألا يذل إلا لله لأن العبودية لله وحده. من هنا كان هذا العهد شرطاً من شروط البيعة بين رسول الله *صلى الله عليه وسلم* والأنصار .

---

(١) رياض الصالحين ، حديث رقم ١٩٧ .

(٢) عبد السلام هارون ، تهذيب سيرة ابن هشام ، ص١٢٢ – ص١٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال، (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يحقرنَّ أحدكم نفسه ، قالوا يا رسول الله وكيف يحقر أحدنا نفسه ، قال يرى أن عليه مقالاً ثم لا يقول به - فيقول الله عزوجل يوم القيامة - ما منعك أن تقول في كذا وكذا فيقول خشية الناس ، فيقول (فإياي أحق أن تخشى)[1].

لقد اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن ترك المسلم لرأي أو كلمة حق كان عليه أن يقولها اعتبرها سبباً لتحقير المرء لنفسه، بل اعتبره أمراً محتقراً، فالإسلام يريد المسلم حراً قوياً في قول كلمة الحق، يريده مرفوع الرأس لا يخشى إلا الله، وفي المقابل فإن سكوت المسلم عن قوله الحق فيه ضررٌ كبير للأمة ، ففيه طمس الحق والحقيقة وفيه ذل للمرء والأمة ، وفيه تربية النشء على الخنوع .

وهذا ما لا يريده الإسلام لأتباعه ، فإقرار حرية الرأي وحرية الكلمة والتعبير السياسي هي من الأساسيات التي أرسى الإسلام مبادئها منذ اليوم الأول لقيامه .

٨. ويصف الرسول صلى الله عليه وسلم الساكت عن الحق بأنه شيطان أخرس وإمعه مهلهل الشخصية لا إرادة له ولا حرية، ومعروف أن الشيطان عدو الأمة، ففي ظل تغييب المرء لنفسه وبعده عن حلبة الصراع بين الأمة ووجودها وحريتها يعتبر موقفه كموقف الشيطان، فهل هناك من تقريع أشد من ذلك حيث يعتبر حكمه كحكم الشيطان الأخرس؟.

والإسلام يرفض أن يكون المسلم إمعة لا رأي له بل يريده فرداً واعياً له رأيه في كل قضية، وعدم إعطاء المسلم لرأيه يعتبر ظلماً للأمة وانتقاصاً لمقدراتها. لأن الرأي الواعي الحر له وزنه في الإسلام، والإسلام يحرص على الرأي الحر لما له من فائدة كبرى للأمة والدين .

في الحديث الذي يرويه حذيفة بن اليمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يكن أحدكم إمعة - يقول أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤا أن لا تظلموا)[2].

٩. كما أسلفنا فإن الجهاد هو ذروة سنام الإسلام والشهادة الناتجة عن الجهاد هي أعلى مرتبة يصل إليها المسلم في دنياه وأخرته، والأهم من ذلك عندما نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر أن أكرم الشهداء على الله عزوجل رجلٌ يقول كلمة الحق أمام سلطان جائر فيجترئ عليه السلطان فيقتله. ورد في الحديث عن رسول

---

(١) رواه ابن ماجة ، في الترغيب ج٤ ، ص ٦ .

(٢) جامع الأصول ، ج١١ ، ص ٦٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله)[1].

وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن على كل عضو من أعضاء الجسد صدقة، واعتبر الكلمة الطيبة صدقة، وكلمة الحق تعتبر أطيب كلمة يتلفظ بها المسلم أمام الوالي الجائر، وعليه فهي من أعظم الصدقات عند الله سبحانه وتعالى .

١٠. أوجب الإسلام على كل مسلم إسداء النصيحة لنفسه وللأمة والدين والحاكم بل جاء الأمر في ذلك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعتبر الدين النصيحة ، ففي النصح إبداء للرأي وفيه النقد الهادف البناء وفيه الشورى بين أبناء الأمة وبين الحاكم ، وفيه جلب الخير ونفي الشر، وفي النصيحة يتجلى مفهوم الحرية المعبرة، الحرية الصادقة التي يعم خيرها وينتفي شرها، والإسلام يعتبر النصيحة واجبة، ومن لم ينصح للأمة والإسلام فهو مخطئ ضارٌ لأمته. لأن الحرية التي وفرها الإسلام له توجب عليه النطق بكلمة الحق مهما كانت قاسية .

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (الدين النصيحة قالها ثلاثاً، قال -قلنا لمن - قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلين وعامتهم)[2] .

١١. وروى ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال (أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير، أوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مراً). وفي هذا تأكيد على أهمية الصدع بكلمة الحق وأن لا يخشى المرء إلا الله ، وهذه هي القاعدة الأساسية التي تربى عليها المسلم بأن لا يخشى إلا الله، وكلمة الحق لا يمكن لصاحبها أن ينطق بها إلا في ظل الخشية من الله. فكم هي الحقوق المدفونة في أيامنا هذه؟. فبعد أن خشيناالناس وتركنا خشية الله سبحانه وتعالى قل طرح الحق والصدع به بين الناس، فعم الباطل واستأسد أهله، وتمرد الطواغيت لأنهم لا يرون نصحاً إلا بالباطل ولا يرون متكلماً إلا المنافق، وما عساك أن ترى عندما يعم الباطل وأهله ويستشار المنافق وجنده ، ستطمس كلمة الحق وستذوب حرية الأفراد وسيعم الشر وهذا ما لا يريده الإسلام .

١٢. ورد في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيدهُ -فلما فعلوا ذلك ضرب الله

(١) محمد نعيم ياسين ، الجهاد ميادينه وأساليبه . عمان : مكتبة الأقصى، ١٩٧٨ ، ص ١٧٥ .

(٢) رواه مسلم ، الحديث رقم ٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال (لعَنَ الذينَ كفَروا من بَني إسرائيل عَلى لسان داوود وَعيسى ابن مريم ذلك بما عَصوا وَكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم). إلى قوله: (فاسقون)، ثم قال: كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم)[1] .

هذا الحديث يقارن بين حالتين، الحالة الأولى تبين حال بني إسرائيل وماذا حصل لهم عندما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حيث يعتبر الإسلام أن هذا الأمر في غاية الأهمية ، لذلك جاء قول الرسول *صلى الله عليه وسلم* بأن الأمة تستحق العقاب عندما يخنع أفرادها للذل ويركنوا إلى الهوان .

واعتبر الرسول *صلى الله عليه وسلم* عقاب الله للأمة بضرب قلوبهم بعضها ببعض واستحقاقها اللعن من الله بسبب سكوتها على الظالمين، وعدم ردعهم والأخذ على أيديهم، بل زاد في ذلك بإجبار الحاكم على الرجوع إلى الحق والسير عليه . لقد فهم الصحابة هذا القول كما أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم، من هنا كان ردهم على قول أبي بكر عندما تولى الخلافة وطلب من الناس أن يقوموه إن لم يستقم، فقام أحد الصحابة وقال والله إن لم تستقم لقومناك بحد سيوفنا .

فهل في دول العالم اليوم (الديموقراطية منها والدكتاتورية) من يرضى بذلك؟. هل حكام الديموقراطية الزائفة اليوم يسمحون بنقدهم ولو بكلمة بسيطة عدا عن تقويمهم أو تنحيتهم عن مناصبهم والكراسي العزيزة على قلوبهم؟.

١٣. لقد أقر الإسلام حرية الرأي على نطاق واسع، فمنح كل فرد حق النظر والتفكير وإبداء الرأي في كل ما يفيد وينفع ويحقق مصلحة مشروعة، وقد التزم بهذا المبدأ الجليل الذي رسمه رسول الله *صلى الله عليه وسلم* خلفاؤه من بعده، وهو ما سنبينه في فصل لاحق إن شاء الله .

لقد أباح الإسلام للرعية حق الثورة على الحاكم وتنحيته بالقوة إن هو لم يستجب للنصح والمشورة، وحرم الإسلام مجاملة الحاكم والسكوت على أخطائه. روى النسائي في كتاب البيعة قال: قال رسول الله *صلى الله عليه وسلم* من أرضى سلطاناً بما يسخط ربه خرج من دين الله .

وروى أيضاً في كتاب البيعة أن رسول الله *صلى الله عليه وسلم* قال (إنه سيكون

---

(١) رياض الصالحين ، الحديث رقم ١٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعدي أمراء من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه) .

لقد جاءت رسالة الإسلام مخاطبة للعقل داعية إياه للتفكير، فكانت معجزته عقلية وليست معجزة حسية، فالمعجزة القرآنية تقوم على البيان والمعاني والتشريع والنظر والتدبر والتفكر، وإن حظ العقل في هذا الفكر أوفر من حظه في أي مذهب عقلي خالص[1].

إن الحرية ككل معنى كريم . ومع ذلك فهي عرضة للتلاعب والتحريف والاستغلال . هذه الحرية هي الحرية السياسية التي لا تزال كثير من شعوب الأرض تناضل من أجلها، وبعد هذه الحرية حريات كثيرة تسعى الأمم الواعية من أجل تحصيلها.

لقد أرسى الإسلام مبادئ الحرية السياسية من خلال كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وعلى هذه المبادئ تربى الجيل الأول الذي مارس الحرية السياسية المسؤولة، ويوم أن حادت أمتنا عن طريق الإيمان، (طريق الإسلام) نراها اليوم تبحث عن ديموقراطية زائفة ، وما علمت أن الخير كل الخير هو في الإسلام ،وأن الحرية الحقيقية، الحرية المسؤولة، الحرية المنضبطة هي في هذا الدين .

قال تعالى (قَدْ جَاءَكم مِّن اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ، يَهدي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتبَعَ رِضوَانَهُ سُبلَ السَّلامِ وَيُخرجهُم مِّنَ الظلمَاتِ إلى النُّور بِإذنِهِ وَيهديهِم إلى صِراطٍ مُّستَقيم)[2] .

---

(١) ابراهيم زيد واخرون ، دراسات في الفكر العربي الإسلامي . ص ٤ .

(٢) سورة المائدة ، الايتان ١٥-١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

التطبيقات السياسية لمفهوم الحرية السياسية في الإسلام

مبدأ الحرية من المبادئ التي دعا إليها الإسلام ضمن مختلف الأحكام المتعلقة بشؤون الناس. فاتخذ الإسلام الحرية الفردية كدعامة أساسية ومحور ارتكاز لكل ما سنّه للناس من عقائد ونظم وتشريع. وقد عمد الإسلام إلى كل نظام يخالف ذلك فأزاله . يقول الله تعالى : (وَيَضَعُ عَنهُم إِصرَهُمْ والأَغْلالَ الّتي كانَتْ عَلَيْهِم)[1]. وقد اهتم الإسلام بحرية الإنسان في مختلف نواحي الحياة المدنية والسياسية والدينية والاجتماعية واعتبرها أساساً لكرامة الإنسان، واعتبر الإسلام إقراره لحرية الإنسان إقراراً منه لإنسانية الإنسان. بدليل أنه أقر التمتع بالحريات للمسلمين وغير المسلمين الذين كانوا يقيمون في دار الإسلام. مما يؤكد أن الإسلام هو دين الحرية ، وأن الحرية لم تعرف معناها الإنساني إلا في كنف الإسلام وواقع تطبيقه [2]. جاءت دعوة التوحيد دعوةً للحرية وبعقيدة التوحيد وحدها تتحقق الحرية للإنسان. لأن المعبود هو الكمال المطلق والكمال المطلق لايتعدد في ذاته . فالله الغني القادر القوي المسيطر القاهر لايجوز عليه الظلم . لأن الظلم أثر من آثار الضعف والله هو القوي العادل المنزه عن كل نقص سبحانه، وأما الذين عبدوا من دون الله آلهة أو عبدوا معه شركاء وخضعوا لهم وذلوا وأطاعوهم من دون الله إنما أفقدوهم حريتهم عندما اعتقدوا أنهم الوسطاء لله سبحانه وتعالى، فأطاعوهم وتركوا طاعة الله لطاعتهم ، فوجد الأحبار والرهبان والكهان فرصتهم للتحكم برقاب هؤلاء الجهلة واستغلالهم لمصالحهم الخاصة، ثم حرفوا الكتب المنزلة على رسلهم وأدخلوا فيها ما ليس منها حتى انتهى بهم الأمر بادعاء صلاحيتهم لمنح الثواب وإنزال العقاب، فأخذوا يبنون صكوكاً سميت (صكوك الغفران)، فطغت طاعة الرهبان على طاعة الله فعبدوهم من دون الله. لأن طاعةالتسليم عبادة . ومن هنا كان مبدأ سلب حريات الناس . عن عدي بن حاتم أنه سمع النبي عليه الصلاة والسلام يقرأ هذه الآية (اتَّخَذوا أَحْبارَهُم ورُهْبانَهُم أَرْباباً مِنْ دونِ اللّه) فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. قال: أليس يحرمون ما

(١) سورة الأعراف آيه ١٥٧.

(٢) محمد الشيرازي، الحريات الإسلامية، صحيفة بريد الشرق الالمانية: العدد الخامس،أيار ١٩٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه فقلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم.

بالتوحيد بدأ الإسلام يرفع كل رهبة بغير حق عن أعناق البشر، ويحطم الطواغيت التي تطغى وتتجبر وتملأ بالذل والرهبة أفئدة البشر، وكان ذلك هو العاصم الحق والضمان الأكيد لحماية الحرية أن تزول. لأنه لا يرتفع للطغيان والتسلط صرح إلا ويُدك للحرية صرح آخر . ومن هنا كانت الدعوة إلى التوحيد في الإسلام دعوة لإقامة صرح الحرية في مجتمعه ورفعاً لقيود الظالمين عن أعناق البشر ، فالعقيدة الإسلامية عقيدة واضحه مقبولة تتسم بالترابط والوحدة [1].

والعقل السليم دائماً يطلب الترابط والوحدة، ولا يرضى إلا بالحرية والإرادة الحرة . والإسلام عندما يدعو لإفراد الله سبحانه وتعالى بالعظمة والجبروت والكبرياء، فلأنه سبحانه يملك كل شيء وهو وحده المستحق للخضوع والخشوع قال تعالى (إنّهُم كانُوا يُسارِعونَ في الخَيْراتِ ويَدْعونَنَا رَغَباً ورَهَباً وكانُوا لَنا خَاشِعين)[2].

وأما البشر فليس لهم من ذلك شئ لأنهم عاجزون لا قدرة لهم وهم الفقراء لله تعالى. لقد ضمن الإسلام حرية الإنسان من التطاول عليها من أولئك المتطاولين والمغرورين من البشر، وحرم على المسلم أن يطأطئ رأسه أو تذل هامته أو أن يصبر على سلب حريته من قبل إنسان أياً كان على الإطلاق. لأنها بذلك تصبح عبودية وذلاً وخضوعاً للباطل، وقد جاء القرآن الكريم في سرده لقصص الظالمين حيث جعلها الحق سبحانه عبرة وتدريباً للمسلمين على سلوك طريق الحرية ورفض قيود العبودية الباطلة وإعلان المذلة والهوان[3] .

احتكم الإسلام إلى العقل في أعظم قضاياه من الإيمان بعقائده وقيمه العليا وحقياته ، فإن يحتكم إليه في التصرف في مقررات التشريع إجتهاداً واستنباطاً وتطبيقاً بما يحقق مفاهيمها وغاياتها في المجتمع الإنساني من باب أولى ، ويعتبر الإسلام أن المنطلقات الإنسانية للنشاط الحيوي للأفراد والأمم والشعوب هي في ثقة الإسلام العظمى التي أولاها العقل من حيث أن هذه العقائد والمقررات التشريعية التي إحتكم إليه فيها استدلالاً واعتقاداً أو تعرفاً واجتهاداً . ولا يمكن للمجتمع الإنساني عامة والمجتمع الإسلامي خاصة تحقيق السيادة والقيادة وأن يستقيم الأمر في أداء مهامه الكبرى دون تحقيق منطلقاته الأساسية . من هنا نرى أن الإسلام يحذر الإنسان من الخضوع في تصرفه لطبائع النفوس ونوازعها وغرائزها المطلقة كما يحصنه من الاستهواء والمحاكاة والظن

(١) يوسف القرضاوي، الإسلام بين شبهات الضالين وأكاذيب المفترين. القاهرة: مطبعة الأزهر ، ١٩٦٠، ص١٥ .

(٢) سورة الأنبياء ، آية ٩٠ .

(٣) مصطفى عبدالواحد ، المجتمع الإسلامي . مصر : مطبعة دار التاليف ، ١٩٧٠ ، ص ٨٨ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في العقائد [1]. قال تعالى (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عن سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعونَ إِلا الظَّنَّ وإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصون)[2] .

إن حرية الإرادة الإنسانية أصل عتيد لا يتنافى مع عقيدة القدر الإلهي، وفي هذا يبقى التمييز بين عقيدة القضاء والقدر من حيث أنها سنة إلهية عامة ثابتة بمقتضى تصرفه تعالى وبين المقضي به أثراً لتلك السنة وعملاً بموجبها، بمعنى التفريق بين الشيء وأثره، فالقضاء والقدر سنة إلهية ثابتة لا يملك أحدٌ لها تغييراً لأنها من أصول العقائد. لكن أثرها هو ما يطلب من الإنسان السعي لتغييره قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حتّى يُغَيِّروا ما بِأَنْفسِهِم)[3]. فمبدأ التغيير يعتمد على الإرادة الحرة وعليه يقوم مبدأ تقرير المصير . والإسلام يحذر أتباعه من عدم السعي لتغيير السلبيات إلى إيجابيات ففي قوله تعالى (والّذينَ إذا أَصَابَهُمُ البَغْيُ هُمْ ينْتصِرون). وقوله تعالى (ولا تَركَنوا إلى الّذين ظَلَمُوا فتَمَسَّكُمُ النّار). وقوله تعالى (فَمنِ اعتَدى عليْكُم فاعْتدوا عليْهِ بِمِثْلِ ما اعتَدى عليْكُم). ففي هذا تأكيد على مبدأ حرية الإرادة في تغيير الواقع والأثر الجديد في حياة الناس. فشأن الإسلام في عقائده أنه لا يعرف السلبية تجاه الوقائع والأحداث، بل الإيجابية البالغة القوة. وذلك بأن يكون للمسلم موقف حاسم تجاه أحداث عصره. بل هذا هو المضمون الإيجابي للتقوى في قوله تعالى (الصّابِرينَ فِي البَأْساءِ والضّرّاءِ وحينَ البَأْسِ أولئِكَ الّذينَ صَدَقُوا وأولئِكَ هُمُ المتّقُون)[4]. إن الإسلام إذ يعتبر القضاء والقدر عقيدة يجب الرضا بها لكنه في المقابل يعتبر أن المقضي به أمر يحرم الرضا به والاستكانة له إذا كان شراً أو ظلماً أو عدوانا. وذلك في قوله تعالى (ولا تَهِنُوا وتَدْعُوا إلى السّلم وأنْتُم الأعْلَوْن). وقوله تعالى (وللّهِ العِزّةُ ولِرسولِهِ وللْمؤمِنين) .

من هنا كانت قواعد الإسلام وأساسياته في العقيدة والسياسة واضحة المعالم في بيان حرية الفرد وإعطاء مفهوم البيعة والطاعة والحاكمية أعظم المعاني لحرية الإنسان. وفي الشورى تتجلى عظمة الإسلام في بيان حرية الفرد السياسية. كذلك في بيان حقوق المرأة وحقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية. وكان الإسلام سباقا قبل جميع الأنظمة العالمية في بيان ذلك

(١) محمد الدريني ، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٢، ص ٢٥/٢٦ .
(٢) سورة الأنبياء آية ١١٦ .
(٣) سورة الرعد ، آيه ١١.
(٤) سورة البقرة ، آية ١٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتوضيحه.

وسوف نتناول في هذا الفصل المباحث التالية .

المبحث الأول : الشورى والحرية السياسية .

المبحث الثاني : مبادئ النظام السياسي في الإسلام والحرية السياسية .

المبحث الثالث : حرية غير المسلمين وحرية المرأة في الدولة الإسلامية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول

الشورى والحرية السياسية في الإسلام

أثناء الفتح الإسلامي لأرض فارس طلب قائد جيش الفرس أن يلتقي بالقائد العربي المسلم قبل المعركة ليتفاوض معه في حقن الدماء، وبعد أن عرض الفارسي مقالته قال القائد: (أمهلني حتى أستشير القوم) فدهش القائد الفارسي وقال: ألست أمير الجند؟. قال نعم . فرد عليه القائد الفارسي (إننا لا نؤمّر علينا من يشاور) فقال القائد المسلم: ولهذا فنحن نهزمكم دائما، أما نحن فلا نؤمّر علينا من لا يشاور[1].

يعرف البعض الشورى بأنها استطلاع الرأي من ذوي الخبرة فيه للتوصل إلى أقرب الأمور للحق والصواب. حيث يقول الله تعالى(فاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُون)[2] . يقول ابن كثير (أي اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف) [3]. وقال ابن العربي. المشاورة هي الاجتماع على الأمر ليشير كل واحد منهم صاحبه ويستخرج ما عنده في جميع جوانب الحياة [4]. والشورى تعني تداول الآراء المختلفة ووجهات النظر المطروحة بحرية تامة في أية قضية من القضايا ومن ثم مناقشة هذه الآراء ووجهات النظر والتوصل إلى الصواب منها أو إلى أصوبها برأي الأغلبية وقناعتهم لكي يعمل بها حتى تحقق النتائج المرجوة والمطلوبة،والشورى من أهم مظاهر الحرية السياسية في الإسلام. وسوف نتناول في هذا المبحث المطالب التالية :

المطلب الأول :أهمية الشورى في الإسلام وفوائدها .

المطلب الثاني: حكم الشورى ونطاقها .

المطلب الثالث : الشورى السياسية وأهلها .

المطلب الرابع : الشورى والولاية العامة .

المطلب الاول

أهمية الشورى في الإسلام وفوائدها

تلعب الشورى دوراً كبيراً في أي تنظيم أو جماعة أو دولة. حيث تساهم

---

(١) أحمد شوقي الفنجري ، الحرية السياسية في الاسلام . الكويت : دار القلم ، ١٩٨٣، ص٢٠٩-٢١٠ .

(٢) سورة الأنبياء ، اية ٧.

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم . ج٣ ، ص١٧٤ .

(٤) محمد عبدالله العربي ، أحكام القرآن . مصر : مطبعة الحلبي ، ١٩٦٧، ص٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في بعث الأمن والاستقرار والنجاح لأنها تؤدي إلى تحصيل أجود الآراء والأفكار عن قناعة وحرية تامة، وتراعى فيها مصلحة الأفراد والجماعات والدول .ونظام الشورى في الإسلام أكبر تعبير على احترام حرية الإنسان، إذ تتيح الشورى لكل فرد في الأمة الإدلاء برأيه وفكره بكل حرية وصراحة. و يتم تداول هذه الآراء بحرية تامة حتى يتم التوصل إلى القرار السليم، وعليه فإن الرأي الناتج أو القرار المتوصل إليه سيكون حتماً في مصلحة الأمة والجماعة. واهتمام الإسلام بالشورى جاء من كتاب الله في وصفه المؤمنين حين نعتهم وبين صفاتهم حيث يقول تعالى (وأمْرُهمْ شُورى بينَهُم). هذا على مستوى الجماعة والدولة، وأما على مستوى الفرد والأسرة فالقرآن الكريم لم ينس ذلك فقال تعالى (فَإنْ أرادا فِصَالاً عنْ تَراضٍ مِنْهُما وتَشاوُرٍ فلا جُناحَ عليهِما)[1] .

والإسلام إذ يركز على الشورى ليعتبرها مبدأ أساسياً من مبادئه في الحكم على مستوى الدولة والفرد، وهو يعتبر الشورى ميداناً من الميادين التي يعبر فيها الأفراد عن حرياتهم وآراءهم .

والقرآن الكريم يتحدث عن الشورى كفريضة واجبة على رسول الله *صلى الله عليه وسلم* في شؤون الحكم والسياسة والعمران الدنيوي لأنه يعتبر الرسول *صلى الله عليه وسلم* في هذا الميدان غير معصوم . فما بالنا بالحاكم وهو ليس بنبي ولا مرسل؟. يقول الله تعالى (فَبِما رحْمةٍ منَ اللّهِ لِنْتَ لهُم ولَوْ كُنتَ فظّاً غَليظَ القَلبِ لانْفَضّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عنْهُم واسْتَغْفِرْ لهُم وشَاوِرْهُم في الأمْرِ)[2]. من هنا يتبين لنا أن في الشورى احتراماً لحرية الإنسان وتقديراً لرأيه وحريته في التعبير، مما جعل بعض المفسرين يقول (إن الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب وهذا مما لا خلاف فيه)[3]. ومفهوم الشورى من المعاني العظيمة التي ميز الله بها المؤمنين قال تعالى (والّذينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإثْمِ والفَواحِشَ وإذا مَا غَضِبُوا هُم يغْفِرُون ، والّذينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وأقَامُوا الصّلاةَ وأمْرُهُم شُورى بينَهُم ومِمّا رزقْناهُم يُنْفِقُون)[4]. فالآيات الكريمة تعدد صفات المؤمنين وتجعل من بينها (وأمْرُهُمْ شُورى بينَهُم). فهي ليست حكراً على فرد أو فئة تستبد بها وتنفرد بها من دون

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢٣٣ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ١٥٩.

(٣) محمد بن أحمد، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: طبعة دار الكتب المصرية ،١٩٦٧،ج٤ ،ص٢٤٩.

(٤) سورة الشورى ، آية ٣٧ -٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الناس، والقرآن الكريم وهو يتحدث عن مصطلح الشورى يعطي فلسفة أعمق في هذا المعنى، فهو عندما يتحدث عن أولي الأمر في قوله تعالى(وأَطيعُوا اللّهَ وأَطيعُوا الرَّسُولَ وأُولي الأَمْرِ مِنْكُم)[1]. وفي قوله تعالى (وَإذا جَاءَهُم أَمْرٌ منَ الأَمْنِ أَوِ الخَوفِ أذاعُوا بِهِ ولَوْ رَدّوهُ إلى الرَّسولِ وإلى أُولي الأَمْرِ منْهُم لَعَلِمَهُ الّذينَ يَستَنبِطُونَهُ منْهُم)[2]. فمن خلال هاتين الآيتين نجد القرآن الكريم لم يتحدث عن ولي الأمر كفرد وإنما تحدث عنه بصيغة الجمع وفي ذلك تزكية للجماعة ولقيادة الشورى والبعد عن الفردية والاستبداد المعاكس للحرية والإبداع في الرأي. ونجده أيضاً قد اشترط لطاعة ولي الأمر أن يكون من الأمة بمعنى أن يكون موضع اختيارها ومصدر ثقتها وأهلاً لقيادتها. وفي هذا تأكيد على وجوب إشتراك الرعية في الشورى في اختيار أولي الأمر بحريتهم وكامل إرادتهم ، يقول تعالى في بيانه لموضع الشورى (قالَتْ يا أَيُّها الملأُ إنّي أُلْقِيَ إلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ، إنَّهُ مِنْ سلَيْمانَ وإنَّهُ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ).إلى قوله تعالى: (قالَتْ ياأَيُّها المَلأُ أَفْتُوني فِي أَمْري مَا كُنْتُ قاطِعَةً أَمْراً حَتّى تَشْهَدُون)[3]. وهكذا نجد القرآن الكريم يتحدث عن الشورى كفريضة شرعية واجبة لسياسة المجتمع والدولة من خلال الجماعة بعيداً عن الفردية والاستبداد.

وقد حفلت السنة النبوية المطهرة بممارسات واقعية في الشورى على مستوى الفرد والجماعة والدولة، ففي غزوة بدر يقف الرسول الله *صلى الله عليه وسلم* منادياً (أشيروا علي أيها الناس). ويفتح المجال أمام جميع الأفراد للإدلاء بآراءهم وأفكارهم . حتى أن بعض المسلمين ممّن قلت أعمارهم عن خمسة عشر عاماً راجع الرسول *صلى الله عليه وسلم* في أمر الإجازة في القتال. وكذلك كان أمر الشورى بشأن أسرى بدر، فقد أخذ الرسول *صلى الله عليه وسلم* بالشورى وجاء القرآن الكريم مخالفاً لأمر الشورى الذي أخذ به الرسول *صلى الله عليه وسلم*، واستشار عليه السلام في أموره الخاصة فاستشار أسامة ابن زيد وعلي بن أبي طالب بشأن حادثة الإفك مع زوجته السيدة عائشة. لقد كان الرسول *صلى الله عليه وسلم* يرى أن الخطأ مع المشورة أصلح من الصواب مع الانفراد والاستبداد، ورسول الله *صلى الله عليه وسلم* يعلم أصحابه من خلال أحاديثه أن الشورى تكليف وفريضة وليست مجرد حق يجوز الالتزام به أو التنازل عنه. فقد ورد في هديه *صلى الله عليه وسلم* (إذا استشار أحدكم

---

(١) سورة النساء ، اية ٥٩ .

(٢) سورة النساء ، اية ٨٣ .

(٣) سورة النمل ، الآيات ٢٩-٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخاه فليشر عليه)[1] .

وروي عن أبي هريرة أنه قال مارأيت أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]. والرسول صلى الله عليه وسلم ينزل لرأي الأغلبية حتى ولو خالف رأيه، وهذه دلالة على أهمية الشورى في حياته حيث يقول عليه السلام لأبي بكر وعمر (لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما) [3]. ويروي علي بن أبي طالب بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينفرد وهو رئيس الدولة بتعيين الأمراء والولاة دونما استشارة، فكان يستشير في ذلك الصحابة وكانت قاعدته في ذلك هي الشورى حيث هي سبيله لتعيين الأمراء والولاة في دولة الإسلام. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لو كنت مؤمراً أحدا منهم من غير مشورة لأمرت عليهم ابن أم عبد)[4]. وهكذا تمضى السنة النبوية لتنبئنا بشورى رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب ويوم الحديبية وغيرها من غزواته وقراراته، فكانت الشورى فريضة واجبة ونهجاً التزمه الرسول صلى الله عليه وسلم في شؤون الحرب والسياسة وأمر القيادة والولاية وتعيين الأمراء. لقد سار رسول الله صلى الله عليه وسلم معلماً في الشورى. علمها لأصحابه فساروا عليها وجعلوها منهج حياتهم في سلمهم وحربهم في دولتهم وفي بيوتهم فجاءت النظرية موافقة للتطبيق .

لقد مضت دولة الخلافة الراشدة على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت الشورى قاعدة ثابتة في سياسة خلفائهم، فكانت سبيل اجتماع كلمتهم على القرار العبقري بمحاربة المرتدين، وكانت السياسة التي يقضي بها أبو بكر حيث إن لم يجد حلاً في كتاب الله وسنة رسوله خرج في الناس سائلاً إياهم في المسأله. هل علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في مثل ذلك قضاء، فإن لم يجد جمع رؤوس القوم وخيارهم واستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به. وهكذا مضت الشورى وتوسع نطاقها حتى فتحت الدواوين وأصبح للدولة جيش نظامي واستغلت الأراضي في البلاد المفتوحة بمشورة المسلمين.

فوائد الشورى[5].

يذكر لنا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فوائد الشورى فيقول في المشورة سبع خصال: استنباط الصواب، واكتساب الرأي، والحصن من

---

(١) المعجم الفهرس لألفاظ الحديث ، ج٣ ، ص ٢١٢ .

(٢) محمد أبو فارس ، النظام السياسي في الإسلام . الكويت: دار القران الكريم ، ١٩٨١، ص٩١ .

(٣) رواه ابن حنبل ج٤ ص ٢٢٧ .

(٤) جامع الأصول ج ٩ ، ص٤٦ .

(٥) محمد أبو فارس، النظام السياسي في الإسلام . ص٨٦-٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السقطة وحرز من الملامة ونجاة من الندامة وألفة القلوب واتباع الأثر. وقد ورد في كتاب العقد الفريد للملك السعيد لمحمد بن طلحة القرشي من الحكم المعقولة في الشورى وفوائدها :

١. لا معين أقوى من المشورة ولا عون أنفع من العقل، فالمشورة تقوي العزم وتمنح النجاح وتوضح الحق وتبسط العذر وتزحزح عن مواقف الندامة، والعقل يهدي صاحبه إلى اجتناء ثمرة الشورى .

٢. من استشار ذوي الرأي والمعرفة في فعل ما عناه فقبل المشورة منهم واقتدى بآراءهم فيها ولم يعدل عنها وعن قويم نهجها قل أن يخفق مسعاه ويفوت مطلبه، فإن أعجزه القدر فهو معذور غير ملوم .

٣. من ترك المشورة وعدل عنها فلم يظفر بحاجته صار هدفاً لسهام الملام ورضفة في أفواه العاذلين .

٤. من فضل الشورى أنها تكشف لك طباع الرجال فمتى طلبت إختبار رجل فشاوره في أمر من الأمور. يظهر لك رأيه وفكره وعدله وجوره وخيره وشره .

٥. من أكثر الاستشاره لم يعدم عند الإجابه مادحاً وعند الخطأ عاذراً .

المطلب الثاني

حكم الشورى ونطاقها

الشورى في الإسلام ليست من الأمور التنفلية التي تترك لرغبة الحاكم إن شاء استشار وإن شاء ترك، فالشورى في الإسلام واجبة على كل حاكم أو مسؤول أو أمير، وهذا الحكم مستنبط من قوله تعالى (وَلَوْ كُنْتَ فظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عنْهُم واستَغْفِر لهم وشَاوِرْهُم فِي الأَمْرِ). فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم والمؤيد بالوحي قد أمره الله بالشورى، فالشورى في حق غيره من الحكام والأمراء أوجب، وتكاد الشورى أن تكون من الأمور التي تجمع الأمة على وجوبها. جاء في تفسير القرطبي (قال ابن عطية الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب هذا ما لا خلاف فيه) .

وقد قرن القرآن الشورى بالصلاة قال تعالى (والّذينَ استَجابُوا لِربِّهِم وأقَامُوا الصَّلاةَ وأمْرُهُم شُورى بينَهم). يقول صاحب الظلال (والتعبير يجعل أمرهم كله شورى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يصبغ الحياه كلها بهذه الصبغة)[1] . وجاءت الأحاديث النبوية التي تؤكد على موضوع الشورى حيث جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال(مارأيت أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم) . وروى ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه). إنّ الشورى تناقض الاستبداد ، فالاستبداد طمس لحرية الإنسان بينما الشورى نور لحرية الأفراد. وقد حرم الإسلام الاستبداد. قال تعالى (لَسْتَ عليْهِم بِمُصَيْطِرٍ)[2] . والاستبداد في حقيقته طغيان وتجبر. قال تعالى (وَمَا أَنتَ عليْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بالقُرآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ)[3] . يقول الشيخ أبو الأعلى المودودي رحمه الله (لوتدبرنا اهتمام الإسلام بالشورى لاتضحت أمامنا أمور ثلاثة)[4].

الأول :

أن فعل أي إنسان برأيه الشخصي دون اعتبار الآخرين في مسأله تتعلق بشخصية أو أكثر ظلم وإجحاف، فلا حق لأ حد أن يدبر الأمور المشتركة ويقضي فيها بطريقته الخاصة ورأيه الفردي . فالإنصاف يقتضي إذا أريد الفصل في أمر ما أن يؤخذ رأي جميع من يتعلق بهم هذا الأمر، وإن كان يتعلق بقطاع عريض من الناس فلا بد من التشاور مع ممثليهم الحقيقيين .

الثاني

إن محاولة الإنسان الفصل في الأمور المشتركة وتصريفها وفق ما يراه هواه والتعدي على حق الآخرين في سبيل الأغراض الشخصية وتعظيم النفس واحتقار الآخرين كلها صفات أخلاقية قبيحة لا يمكن أن توجد في المؤمن أدنى ذرة منها. فالمؤمن ليس بالذي في نفسه غرض يتعدى من أجله على حقوق الآخرين لينال فائدة غير مشروعة، ولا بالمتكبر الذي يعتبر نفسه العقل المدبر والعليم الخبير .

الثالث

إن الفصل في المسائل التي تتعلق بحقوق الآخرين مسؤولية جسيمة، فمن يخشى الله ويعرف كم سيكون حسابه وعبؤه عظيماً ثقيلاً أمام ربه لا يمكن أن يجترئ على حمل هذا العبء الثقيل القاصم بمفرده، ومن لا يخاف الله ولا يؤمن بالآخرة هو وحده الذي يجرؤ على فعل هذا. أما من يستشعر خشية الله

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القران، بيروت : دار الشروق . ١٩٨١، ج٥٢٥، ص ٣١٦ .

(٢) سورة الغاشية، آية ٢٢ .

(٣) سورة ق ، آية ٤٥ .

(٤) ابو الأعلى المودودي، الحكومة الاسلامية. ترجمة أحمد ادريس، القاهرة: المختار الاسلامي، ١٩٧٧ص٩٢-٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحساب الآخرة فلا مفر له من أن يشاور الناس وممثليهم بشأن الفصل فيما يتعلق بهم من أمور حتى يتسنى له الحكم فيها حكماً سليماً أساسه الإنصاف دون تحيز. وحتى لا يتحمل وحده مسؤولية أي خطأ يقع جهلاً أو سهواً .

هذه الأمور الثلاثة إذا تأملها الإنسان علم علم اليقين أن الشورى في المقتضى الحتمي لما يُعلمه الإسلام للإنسان من أخلاق وشمائل، وأن الحيدة والانحراف عنها خلق ذميم لا يقره الإسلام أو يبيحه أبداً. إن اتباع الشورى والعمل بها في كل صغيرة وكبيرة هو الإطار المميز لنظام الحياة في الإسلام.

إن الأرجح في موضوع الشورى هو الوجوب بالرغم من ذهاب بعض الفقهاء إلى الندب. غير أن غالبية الفقهاء اعتبروها من عزائم الأحكام التي لا بد من نفاذها، ورتبوا على ذلك أن من ترك الشورى من الحكام فعزله واجب دون خلاف[1]. وهذا الوجوب الذي أقره الفقهاء هو مفهوم آيات القرآن الكريم التي تقدم ذكرها ... وفعل الرسول عليه السلام إذ يبدو ذلك واضحاً إذا تذكرنا أنّ الرسول *عليه الصلاة والسلام* كان في واقع الأمر مستغنياً عن المشاورة إذ يأتيه الوحي بحل ما قد يبدو مشكلاً من الأمور. بينما لا سبيل أمامه في أن يستشير في الأمور التي لا وحي فيها، ولا سبيل أمام من بعده من الحكام إلا أن يستفيدوا من خبرات وآراء أولي الرأي في الأمة، والرأي الراجح بين الفقهاء هو أنه يجب على الحاكم مشاورة الأمة في الأمور العامة بحيث إذا تركها الحاكم كان للأمة أن تطالبه بها، وأن تبدي رأيها ولو لم يطلب منها فيما قد يكون لها فيه رأي[2] .

نطاق الشورى :

أما نطاق الشورى، فالشورى اجتهاد الآراء في دائرة الإسلام وليس كل الأمور يستشار بها ، فهناك أمور نص عليها الشارع فهذا مما لا يستشار به لأن آراء الرجال لا تقدم على الوحي. وللناس أن يستشاروا بالامور ما لم تصطدم بنص شرعي فقد ورد الأمر بالشورى في الأمر وفي هذه الكلمة من العموم والإطلاق ما يجعلها تشمل كل شؤون الأمة المسلمة في جميع نواحي حياتها .

فإذا تمشينا مع الإطلاق والعموم في كلمة (الأمر) فإننا نستطيع القول بأن جميع الشؤون العامة للأمة المسلمة يمكن أو (يجب) أن تكون محلاً للشورى، غير أن مثل هذا الإطلاق -في الواقع- لا يمكن أن يكون مراداً من النصوص التي تأمر بالشورى . ذلك أنه يوجد قيدان يجب التقيد بهما في هذا الخصوص . أولهما: أن الشورى لاتكون في أية مسألة ورد فيها نص في القرآن الكريم

(١) محمد سليم العوا، النظام السياسي للدولة الإسلامية . الإسكندرية: المكتب العربي الحديث ، ١٩٧٥، ص١٠٩ .

(٢) عبدالقادر عودة ، الإسلام وأوضاعنا السياسية . بيروت : دار المعرفة ، ١٩٦٧ ، ص١٢٠ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أوالسنة النبوية التي تعد تشريعاً عاماً. فهذه الأمور بالضرورة خارجة عن نطاق الشورى، وثانيها: هو أنه حين تعرض مسألة ما على الشورى فإنه لا يجوز أن ينتهي رأي المشيرين أو المستشارين إلى نتيجة تخالف نصاً من النصوص التشريعية الواردة في القرآن الكريم أو السنة النبوية. إذ أن مثل هذه المخالفة تمنع الأخذ بالرأي الذي تنتهي إليه الشورى. وتجعلها من ثم لا قيمة لها [1] . أما خارج هذين القيدين فإن المسائل العامة مما يجب الشورى بها فعلى الحاكم أولاً والمحكومين ثانياً أن لا يفقدوا الشورى حقيقتها في الدولة المسلمة. وكلا الفريقين مؤاخذ على تركه للشورى، فالحاكم مطالب أن يطلب الشورى والرعية مطالبة أن تقصر الحاكم على الشورى .

وجاء منهج الإسلام بعدم تحديد وتعيين الموضوعات التي تعرض للشورى تحديداً قاطعاً وهو الأليق بمنهج الإسلام في التشريع من تقرير الكليات والقواعد العامة، وترك الجزئيات والتفصيلات ليوائم المسلمون بصددها بين النصوص وبين متطلبات الأزمان والأمكنة التي تطبق فيها شريعة الإسلام . ومعروف أن الأمور التي سوف تعرض للشورى ستكون من الأمور الدقيقة والملحة مما يحتاج الوصول إلى قرار بشأنها. أما أمور الإدارة اليومية التي تشغل الأجهزة التنفيذية والإدارية للدولة فإنها بطبيعتها وبحكم حاجتها إلى حسم سريع لا تحتمل العرض على الشورى . إلا إذا كانت ذات مساس بالأمور العامة للأمة والأفراد[2] .

أسلوب الشورى :

قال تعالى (مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)[3]. لم يرد في كتاب الله ولا سنة رسول الله *صلى الله عليه وسلم* نص صريح في أسلوب ممارسة الشورى. كما أن الإسلام لم يحدد عدداً معيناً أو نسبة معينة لعدد من المستشارين. وقد ترك الإسلام الأمر لأهل كل زمان ومكان أن يتشاوروا فيما يصلح أمر زمانهم ومكانهم، فما يصلح لزمان ومكان قد لا يصلح لزمان ومكان آخر، وقد ثبت أن الرسول *صلى الله عليه وسلم* قد مارس الشورى بأساليب مختلفة، فشاور الواحد وشاور الاثنين والثلاثة وشاور القوم وشاور الممثلين وشاور الأمة وقد حصل كل هذا. يتضح مما سبق أن الإسلام لم يلزم المسلمين بكيفية الشورى أو بعدد أهلها. بل ترك الأمر لأهل الزمان والمكان أن يجتهدوا لما فيه صلاح دينهم

(١) محمد سليم العوا ، النظام السياسي للدولة الاسلامية ص١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ١١١ .

(٣) سورة الحج ، آية ٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودنياهم، وهذه من ميزات هذا الدين العظيم. ويرى بعض أهل العلم أن تمارس الشورى من خلال مجلسين للشورى وهو أمر مناسب في نظرهم للمجتمع الإسلامي الحديث)[1]. مجلس ينتخب انتخاباً حراً مباشراً من قبل الشعب ومجلس آخر يعينه الحاكم من أهل العلم وأصحاب التخصص الفني في الشؤون العامة للبلاد دون أن تكون له صفة الإلزام أو التدخل في شؤون الدولة .

ويرى طرف آخر أن يكون المجلسان منتخبين من قبل الشعب. يكون انتخاب المجلس الأول من عامة الشعب ويكون انتخاب المجلس الثاني من أصحاب الاختصاص والأمور الفنيه والتخصصية في الأمة . هذا وقد حصل في تاريخنا الإسلامي أن الرسول *صلى الله عليه وسلم* طلب ممن بايعوه في العقبة الثانية أن يختاروا من بينهم اثني عشر نقيباً، فاختاروا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس. مراعين في انتخابهم النسبة العددية للفريقين .

المطلب الثالث

الشورى السياسية وأهلها

الشورى حق ولكنه حق ذو وظيفة تؤدى من أجل الغير فرداً كان أم مجتمعاً، وباعتبار السياسة إنما تعني القيام على الأمر بما يصلحه أو تدبير الأمة داخلاً وخارجاً، فإن الشورى السياسية في جوهرها ليست إلا مبدأ عاماً يوجب على الصفوة المختارة اختيار الصالح المناسب من أبناء الأمة للقيام بمهام سياسة الدولة وشؤونها تحقيقاً لمصلحتها العليا . واختيار الرجل المناسب كما يشير الماوردي أصل مقرر في الإسلام لاختلاف نوعية الأعباء الجسام التي تحددها ظروف الوقت، وضرورة وجود الخبرة والمؤهلات الكافية وموهبة الفطرة والحنكة السياسية التي تؤهل صاحبها للإضطلاع بمهام السلطة والحكم. ومثل هذا الاختيار من خلال الشورى لن يكون إلا بتوفير الحرية السياسية التامة للأفراد للإدلاء بمشورتهم بمحض اختيارهم وكامل إرادتهم دونما ضغط أو هوى أو إكراه [2].

والشورى في الإسلام أصل مشروعية الولاية العامة على الأمة وهي الشورى السياسية، وفي هذا المعنى يقول عمر رضي الله عنه (من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فإنه لا بيعة له ولا الذي بايعه) . ويقول ابن تيمية موضحاً أساس شرعية الولاية العامة وأنها الشورى العامة بقوله (وكذلك عمر لما عهد إليه أبو بكر إنما صار إماماً لما بايعوه وأطاعوه ولو قدر أنهم لم ينفذوا عهد

(١) محمد ابو فارس ،النظام السياسي في الاسلام . ص ١١٠-١١١ .

(٢) محمد الدريني ، خصائص التشريع الإسلامي. ص ٤١٢ ، ٤١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبي بكر ولم يبايعوه لم يصر إماماً). أي بحكم الشرع واعتباره ، وعلى هذا فإن مبدأ الشورى يدل على أمور[1].

الأول :- النزعة الجماعية في التشريع الإسلامي. أي أن السياسة مادة مشتركة بين الحاكم والمحكوم ينشأ عنها علاقة وطيدة بينهما وتكامل سياسي لتسيير شؤون الدولة.

الثاني :- تحقيق الأفراد لذاتيتهم. وذلك من أجل الاستفادة من مواهب الأفراد لصالح الأمة والدولة .

الثالث :- مصدر الطاعة في الإسلام ليست فكرة الحق الإلهي وهذا ما كان سائداً في أوروبا في العصور الوسطى. فالسلطة في الإسلام تعني القيم العليا في الحركة والتنفيذ وهذا يعني أن الحاكم ليس مطاعاً لذاته ولو كان رسولاً مصطفى قال تعالى (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ). إنما أن يكون هو مطيعاً أولاً ومن ثم الرعية. قال أبو بكر رضي الله عنه (أطيعوني ما أطعت الله).

الرابع: الدولة في الإسلام دستورية شورية . وهذا يعني انفصال شخصية الحاكم الأعلى في الدولة عن شخصيتها المعنوية، فالحاكم لا يمثل إلا سلطة الدولة فقط وينوب عن الأمة في تنفيذ شرعها. ولهذا عليه أن يكون مطيعاً مثلما أن يكون مطاعاً لأن السيادة للشرع لا للحاكم .

الخامس : الشورى في الإسلام تعني إسناد الأمر إلى أهله من أهل الكفاءات التي تتعلق بجميع شؤون الدولة ومجالات الحياة. والشورى التشريعية هي السلطة التشريعية باستنادها لكتاب الله وسنة رسوله، وما يبنى عليها من الأحكام الاجتهادية بمعايير تشريعية معروفة بالاستعانة بأهل الخبرة والتخصص في سائر الشؤون وفي مقدمتهم الفقهاء المجتهدون .

من خلال ما تقدم نلاحظ أن الشورى بما تعني وما تدل عليه من أمور تعطي دليلاً أنها تمثل الحرية السياسية للأفراد في التعبير عن آراءهم واجتهاداتهم وأفكارهم، وأن الحرية السياسية للأفراد ينبغي أن يتمخض عنها رأي شورى سديد يحظى برأي الأغلبية ويكون فيه مصلحة الفرد والجماعة والأمة.

إن الإسلام يحترم الشورى ونتيجتها، فالحاكم المسلم ملتزم بالشورى بالنص القرآني والذي لا يقبل التأويل. والحاكم الذي لا يعمل بالشورى يصبح حكمه غير شرعي، والشورى في الإسلام تلزم الأمة بانتخاب ممثليها وليس لأمة أخرى حق التدخل فيها، ولا لحاكم مهما علا أن يتدخل في نتيجة الشورى التي

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أفرزتها إرادة الامة .

ومبدأ الشورى في الإسلام يترتب عليه وجود المعارضة الهادفة المنظمة إذ لا معنى للشورى ولا قيمة لها إن لم تكن هناك آراء متضاربة ومختلفة، ولا بأس إذا حاول كل فريق أن يأتي بالحجج والبراهين لإثبات صحة رأية. فاختلاف الآراء هو الذي يظهر الحقيقة ويعطي الفرصة لتمحيص الأمور والقرارات [1].

أهل الشورى وصفاتهم

للشورى أهمية كبرى في أية جماعة من الجماعات، وترتكز عليها كل دولة راقية تريد لرعاياها الأمن والاستقرار والنجاح، فتحقيق مصلحة الأمة والأفراد لن يكون إلا من خلال أجود الآراء، والرأي الصائب لابد له من صاحب مميز في عقله ورأيه وعلمه وتخصصه، ولا غرو إذا رأينا الشريعة الإسلامية تهتم بالشورى وتعتبرها فريضة من فرائض الدين وقاعدة من قواعد الحكم في الإسلام. ولقد شرع الإسلام الشورى لما فيها من فوائد جمة وحكم جليلة تعود بالنفع على الفرد والمجتمع. إنها تسعد المجتمعات وتولد الثقة بين الحكام والمحكومين .وحتى تؤدي الشورى دورها فلا بد لها من أهل أكفياء، والأمة المُرباه الصالحة لا بد لها من خلال مدرستها التربوية أن تحقق مطلبها بانتخاب رجال أكفاء لكي يقوموا بواجب الشورى للحاكم والأمة . فمن هم الذين يصلحون ليكونوا أعضاء مجلس الشورى وما صلاحياتهم؟. إن ما يمكن أن يستنبط في هذا المجال أن المقصود بأهل الشورى هم أهل الحل والعقد وهم أصحاب الرأي ، قادة الفكر وأرباب السياسة وأمراء الجيش، وهم أصحاب الاختصاص والخبرة في كل فن من الفنون كالزراعة والصناعة والتجارة والاقتصاد وشؤون الحرب[2] .

إن الإسلام يمنع أيا من أعضاء مجلس الشورى الوصول لمنصبه عن طريق تزكية نفسه بالدعاية المحرمة والرياء والكذب. وإنما يصل هؤلاء لمجلس الشورى بناء على تزكية الأمة لهم وثقتها بهم شريطة أن تتوفر في المرشح الشروط التالية، وانتقاص أي شرط منها يسحب الأهلية من المرشح للترشيح[3] .

١. التكليف : لابد أن يكون المرشح لمجلس الشورى مسلماً بالغاً عاقلاً وعليه فلا يصلح الصغير أو السفيه أو المجنون .

٢. الحرية : يجب أن يكون المرشح حراً مالكاً لحريته سيداً على نفسه .

٣. الذكورة : فلا تكون المرأة من أهل الشورى لأن الرجال أكفأ من النساء ولا

---

(١) أحمد شوقي الفنجري، الحرية السياسية في الإسلام. ص٢٣٢-٢٣٦ .

(٢) محمود حلبي، نظام الحكم في الإسلام . القاهرة : دار الاتحاد العربي للطباعة ، ١٩٧٥، ص ١٥٥ .

(٣) محمد أبو فارس، النظام السياسي في الإسلام ، ص١١٦- ١٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقدم المرأة في أمر من الأمور العامة للأمة وفيها رجال يقومون عليها ، وبالرغم من وجود بعض الآراء التي تتيح عمل المرأة في مجلس الشورى غير أن الأرجح والله أعلم هو عدم كفايتها لذلك .

٤. العلم : ينبغي أن يكون المرشح لمجلس الشورى من أهل العلم المشهود لهم، والذين يمكن أن ينتفع بعلمهم .

٥. العدالة الجامعة لشروطها : المقصود بها أن يكون قائماً بالفرائض والأركان لا يتحكم به هواه. مأموناً وقت الرضى والغضب ، بعيداً عن مواقع التهم .

٦. المواطنة : يجب أن يكون المرشح مواطنا مسلماً داخل دار الإسلام. وللحديث عن إمكانية قبول أهل الذمة في مجلس الشورى فسوف نعرض لذلك عند حديثنا عن أهل الذمة .

٧. ألا يزكي المرشح نفسه : وهذا يعطي الفرصة للأمة لاختيار الأكفاء وينبذ الأنانية عن الأفراد .

اختصاصات أهل الشورى : من دراسة السوابق التاريخية في حياة الرسول *صلى الله عليه وسلم* وحياة الخلفاء الراشدين والأمراء والحكام المسلمين يمكننا أن نحدد أهم الاختصاصات المطلوبة من مجلس الشورى[1] .

١. اختيار رئيس الدولة وترشيحه. حيث يقوم أعضاء مجلس الشورى بانتخاب الرئيس العام للدولة ويبايعونه البيعة الخاصة، وبعدها يقدمونه للأمة من أجل البيعة العامة .

٢. مساعدة رئيس الدولة في إدارة شؤون البلاد وعلاج القضايا العامة كإعلان الحرب وعقد المعاهدات ووضع القوانين الاجتهادية وأسلوب تنفيذ الأحكام الشرعية .

٣. محاسبة رئيس الدولة وغيره من كبار الموظفين كالأمراء والولاة والوزراء والمدراء .

٤. عزل رئيس الدولة أو أي موظف يقره مجلس الشورى. حيث أن الذي اختار رئيس الدولة هم مجلس الشورى حيث بايعوه بناء على عقد تمّ بين الطرفين بحرية تامة دونما إكراه أو إجبار، ومجلس الشورى هو ممثل الأمة بموجب عقد بينه وبينها. فاذا أخل رئيس الدولة بواجباته تقدم أهل الشورى بإسداء النصيحة له، فإن استقام فبها ونعْمت، والا فعلى مجلس الشورى عزله بحيث يعلنون ذلك للأمة كلها . وقد يكون بأسلوب آخر بحيث يقدم استقالته

(١) محمد ابو فارس، النظام السياسي في الإسلام ، ص١٢٥-١٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لمجلس الشورى، والأمير أمير مادام قوياً بثقة الأمة واعتمادها. أما إذا فقدها وأضاعها فلا بد له أن يتخلى عن منصبه .

المطلب الرابع
الشورى والولاية العامة

جاء في قوله تعالى (وَالَّذينَ استَجابوا لِربِّهِم وأقَامُوا الصَّلاةَ وأمْرُهُم شُورى بَيْنَهُم ومِمّا رَزَقْناهُم يُنفِقُون). إن الشورى هي أساس الحكم في الإسلام . وجاء اقتران الشورى مع ركنين هامين من أركان الإسلام هما الصلاة والزكاة فدل ذلك على أنها ركن من أركان الحكم في الإسلام، وأيضاً فإن وصف الله تعالى للمؤمنين كما جاء في الآية الكريمة جاء تخصيصاً لشخصيتهم الإيمانية، فإذا كانت الشورى واجبة في جميع الأمور العامة لقوله تعالى (وأمْرُهُم شُورى بَيْنَهُم). فليس هناك من شأن هو أعظم من الولاية العامة[1] . لقد جاءالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (وشَاوِرْهُم فِي الأمْر). هذا الخطاب موجه لرسول مؤيد بالوحي إذن هو من باب أولى للحكام من بعده. وورد في السنة النبوية عن الرسول صلى الله عليه وسلم (ما ندم من استشار وما خاب من استخار) .

ويؤكد وجوب الشورى السياسية من السنة النبوية شرطاً تتوقف عليه صحة الولاية العامة ولزومها بالنسبة للأمة ..قوله صلى الله عليه وسلم (من بايع أميراً من غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا الذي بايعه). كذلك فإن الشورى هي التي الزمت الرسول صلى الله عليه وسلم في رأيه يوم بدر وفي الأسرى ويوم أحد ويوم الخندق. وقد مرّ معنا حديث أبي هريرة لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويرى ابن تيمية أنه يشترط في صحة الولاية العامة اتفاق السواد الأعظم مستنداً بقوله صلى الله عليه وسلم (عليكم بالسواد الأعظم). وبهذا يرسي صلى الله عليه وسلم مبدأ الأغلبية في الشورى للاعتبار والترجيح وهو ما يشير إليه ابن تيمية بقوله(ولا يقدح في اتفاق أهل الحل والعقد شذوذ من خالف). ويؤكد ابن تيمية أن الشورى دعامة أساسية من دعائم الحكم الإسلامي بقوله ولو قدر أن أبا بكر بايعه طائفة مع عمر وامتنع سائر الصحابة عن بيعته لم يصر إماماً وكذلك

(١) محمد الدريني، خصائص التشريع الاسلامي، ص٤١٩-٤٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عمر وعثمان[1]. ويورد الإمام الماوردي رأي أهل البصرة في الشورى مبدأ عاماً تتوقف عليه صحة الولاية العامة ولزومها. حيث يقول (إن رضا أهل الحل والعقد وأهل الاختيار شرط لازم لانعقاد البيعة حتى تصبح ملزمة للأمة لأنها حق متعلق بهم فلم تلزمهم إلا برضى أهل الاختيار منهم)[2] .

لم يحدد التشريع الإسلامي نظاماً محدداً للشورى السياسية في انتخاب رئيس الدولة، وما حدده فقهاء السياسة المسلمون من أشكال لها وطرائق لتنفيذها إنما كان من باب الاجتهاد بالرأي[3]. غير أن الماوردي يرى اجتهاداً منه أن انتخاب الولاية العامة (بيعة رئيس الدولة يجري على شكلين)[4] .

الاول : يقوم رجال الدولة وقادة الجيش والفقهاء والزعماء وغيرهم من أصحاب النفوذ في الأمة بانتخاب الرئيس وهذه شورى خاصة.

الثاني : أن تكون عامة في المسجد حيث يقدمه هؤلاء للشعب بأكمله أو ما يمكن منه حيث تتم البيعة العامة للخليفة أو الرئيس .

ولا يشترط أن يبايعه كل فرد في المسجد لأن الانتخاب فرض على الكفاية، ويجوز للخليفة أن يوكل غيره في قبول البيعة خاصة إذا اتسعت رقعة الدولة وتعذر الوصول إلى مقر الرئاسة.

مجلس الشورى وإلزامية القرار لرئيس الدولة :

لابد عند بحث هذه المسألة من التمييز بين عدة حالات، وكما يرى أهل الفقه والعلم أن الأمر في الزاميته لا يعدو أن يكون واحداً من اثنين :

الاول: أن يكون رئيس الدولة من غير أهل الاختصاص والخبرة والتشريع في الموضوع الذي يراد إصدار حكم أو تنظيم فيه. وفي هذه الحالة يجب الأخذ بمبدأ الشورى بداهة ابتداء وانتهاء لقوله تعالى(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُم لا تَعْلَمُون). وقوله تعالى (وَشَاوِرْهُم فِي الأَمْرِ). لأن إصدار الآراء بغير علم إخلالٌ في الدين وتضييع للمصالح. وعليه فيجب على الحاكم الأخذ برأي الشورى كونها حجة يجب العمل بها .

الثاني: أن يكون من أهل الاختصاص والنظر في التشريع أو من أهل الشأن الذي يراد إصدار الحكم فيه، وفي هذه الحالة عليه الأخذ بما انتهى إليه المجلس من رأي بالإجماع أو بالأغلبية، إن سماع الحاكم لرأي الشورى ليس مجرد روتين أو

---

(١) محمد الدريني، خصائص التشريع الاسلامي ، ص٤٢٢ .

(٢) الماوردي مصدر سابق، ص ١٠ .

(٣) محمد الدريني ، خصائص التشريع الاسلامي ، ص ٤٢٧ .

(٤) المصدر نفسه ص ٤٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تطييب للخواطر بل هو رأي يعتد به لما لمؤسسة الشورى من وظيفة تشريعية هامة تتصل بتسديد خطى الدولة في التشريع والتنظيم بإمدادها بالرأي القوي المدروس من أهل الاختصاص وأولي العلم وأهل الخبرة بشؤون الدين والدنيا[1]. يقول الشيخ أبو الأعلى المودودي رحمه الله (إن قاعدة وأمرهم شورى بينهم تتطلب بذاتها خمسة أمور خامسها التسليم بما يجمع عليه أهل الشورى أو اكثريتهم. أما أن يستمع ولي الأمر إلى آراء جميع أهل الشورى ثم يختار ما يراه هو نفسه بحرية تامة فإن الشورى في هذه الحالة تفقد معناها وقيمتها. فالله تعالى لم يقل (تؤخذ آراءهم ومشورتهم في أمورهم) وإنما قال (وأمرهم شورى بينهم). يعني أن تسير أمورهم بتشاورهم فيما بينهم وتطبيق هذا القول الإلهي لا يتم بأخذ الرأي فقط وإنما من الضروري لتنفيذه وتطبيقه أن تجري الأمور وفق ما يتقرر بالإجماع أو بالأكثرية)[2]. إن رئيس الدولة قد يكون مستنداً في رأيه إلى برهان قوي ففي هذه الحالة عليه أن يحاور مجلس الشورى ويناقشهم بالرأي إلى أن ينتهوا لرأي، فإن لم يصلوا إلى رأي وجب رفع النزاع إلى الهيئة العلمية المختصة لتحسم الأمر فيه . وذلك ما حصل مع أبي بكر حيث تمسك بموقفه بمحاربة المرتدين واستطاع أن يقنع معارضيه بضرورة قتالهم، وقد مضت سنة الخلفاء الراشدين على الالتزام بالرأي الذي ينتهي إليه مجلس الشورى فيما لا نص فيه. غير أنهم كانوا يختلفون في طرائق تنفيذ الحكم ، ولم يؤثر عن الخلفاء الراشدين أنهم اجتهدوا بالرأي المنفرد. فكان لأبي بكر رضي الله عنه مجلس شورى من كبار الصحابة وكان لعمر رضي الله عنه نوعان من الشورى عامة وخاصة. أما الشورى العامة فكانت في الأمور الخطيرة التي تتعلق بالمصلحة العليا للدولة ومثال ذلك في خلافه مع مجاهدي العراق حول تقسيم الأراضي حيث احتدم النقاش بينهم ثلاثة أيام ثم انتهى بالاتفاق على رأي عمر الذي استند فيه إلى نصوص مقنعة. أما الشورى الخاصة فكانت تتعلق بشؤون التشريع الدقيقة التي تتطلب فضل اختصاص وعلم. فاختص سيدنا عمر هذا الأمر لمن لهم عمق وفقه في الدين وممن اتصف بسعة الأفق ودقة النظر حيث شكل منهم مجلس شورى ومنعهم من مغادرة المدينة ومنهم زيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب[3] .

من خلال ما تقدم نرى أهمية الرأي الحر وتقرير مبدأ حرية الأفراد

(١) محمد الدريني ، خصائص التشريع الاسلامي ، ص٤٥٣ .

(٢) أبو الأعلى المودودي . الحكومة الاسلامية ، ص ٩٤ .

(٣) محمد الدريني ، خصائص التشريع الإسلامي ،ص٤٥٠-٤٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياسية بالإدلاء بآرائهم ومناقشاتهم ليس مع بعضهم فقط بل مع السلطة العليا، وينزل الرئيس لرأي الشورى إذا أجمعوا برأيهم أو غالبيته ، وكذلك قد يقنع الرئيس مجلسه برأيه بدون أكراه فيكون القضاء في الأمر والرضا به بما يقتنع به الجميع أو الأغلبية، وهذا يدحض اتهامات جميع المتقدمين الذين يتهمون الحاكم المسلم بأنه مستبد مطلق في حكمه. إن الإسلام يعتد برأي الفرد وطاقاته الفكرية المستجدة ولكنه يفترض فيها دائماً الخطأ والصواب. وخلاصة القول لمبدأ الشورى أنه دعامة أساسية من دعائم سياسة الحكم في الإسلام كما يرى الشيخ محمد الدريني[1]. حيث يؤكد على المعاني التالية .

١. الشورى أساس الحكم في الإسلام ومن أبرز خصائص تشريعه الإسلامي.
٢. الشورى حق وواجب معاً. فهي حق وظيفي للمصلحة العامة وواجب على الأمة من خلال ممثليها بالمراقبة والنقد والتوجيه السياسي وإسداء النصح للجهاز الحاكم في الدولة .
٣. الشورى الصورية يحرمها الإسلام قطعاً لأنها أداة هدم لا أداة بناء (أنها من صور العبث والفساد) .
٤. الشورى شرط تتوقف عليه شرعية الولاية العامة للدولة ولزومها، وهي في واقعها عقد سياسي بين الحاكم والأمة .
٥. لم يفرغ الإسلام مبدأ الشورى في نظام محدد بل ترك ذلك للاجتهاد في ضوء الظروف التي يجري التطبيق فيها .
٦. أرسى الإسلام مبدأ الأغلبية حجة للعمل بنتيجة الشورى .
٧. كل مبدأ في التشريع السياسي كان يُلتزم به بمقتضى الوازع الديني.
٨. أساس الشورى أن الأمة بكاملها هي صاحبة السلطة الحقيقية.
٩. الفلسفة التشريعية التي ينهض عليها أساس الشورى هي اعتداد الإسلام بالقيمة الذاتية للفكر الإنساني من خلال مبدأ الكرامة الإنسانية .
١٠. العلاقة بين الحاكم والمحكوم علاقة نيابية شرعية لأن مصدرها الشرع بموجب الشورى الواجبة . ونشأ عنها مسؤولية متبادلة بينهما .
١١. الالتزامات الناشئة عن العقد السياسي بالنسبة للأمة متركزة في أمرين: النصرة والطاعة للحاكم مالم يتغير حاله .
١٢. أهل الاختيار وأعضاء مجلس الشورى هم الذين يمثلون الأمة بكاملها تمثيلاً كاملاً في جميع شؤونها .
١٣. أهل الحل والعقد أساس اختيارهم الشورى لا التعيين لكونهم ممثلين

(١) محمد الدريني ، خصائص التشريع الإسلامي ، ص ٤٧٧- ٤٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووكلاء عن الأمة ولا وكالة بلا اختيار .

١٤. لا يشترط الإجماع في قرارات مجلس الشورى بل تكفي الأغلبية.

١٥. حكم الشورى بالنسبة للحاكم أنها واجبة ابتداء ولو كان مجتهداً. أما من حيث الانتهاء فهو متقيد بثمرتها ونتيجتها أيضاً .

١٦. مجال الشورى (لاجتهاد في موضع النص) والاجتهاد فيما لا نص فيه من أمور الدين والدنيا .

١٧. يجب عرض الأمور الهامة والعامة على مجلس الشورى لأن هذه مما لا يجوز للحاكم أن يستقل بالنظر فيها .

١٨. يجب أن تؤلف هيئة قضائية عليا من ذوي الكفاءات الممتازة يناط بها فيما يرفع إليها من مسائل ومشكلات اختلف فيها الجهاز الحاكم ومجلس الشورى.

من خلال عرضنا لمبدأ الشورى وأهميته في الإسلام تبين لنا أنه مبدأ أساسي من مبادئ الحكم في الإسلام وعليه يرتكز النظام السياسي الإسلامي، ويتضح جلياً ما في هذا المبدأ من ميزات عجزت عنها أحدث الأنظمة في القرون الحديثة. فالإسلام ينظر للشورى كأساس للحكم وإلزام الحاكم برأي الأمة. وتعتمد الشورى على الحوار والنقد البناء وتحترم الفكر الإنساني بل وتحرص على إظهاره. وفي الشورى تشجيع للاختصاصات والمهارات في مجالاتها، والشورى نفي للاستبداد والعبودية ، وهي قوة للرأي الحر المستنير . فحرية الأفراد مصونة ومحترمة في ظل الشورى ولكل فرد أن يدلي برأيه بكل حرية واختيار. وللأمة بمحض إرادتها وكامل حريتها أن تنتخب الولاية العامة وممثليها في مجلس الشورى، وترك الإسلام باب الاجتهاد مفتوحاً في شكل مجلس الشورى وحجمه وأسلوب انتخابه بما يلائم أهل كل زمان ومكان. فما يكون صالحاً لزمان قد لا يصلح لزمان آخر. وقد ترك الإسلام للمسلمين الحرية التامة في النظر فيما يصلح شؤون دنياهم ولم يقيدهم برأي ثابت لا نقاش فيه وهذا يؤكد مدى احترام الإسلام لحرية الأفراد .

لقد وضع الإسلام قواعد ثابتة لا يجوز الطعن فيها وهي مسائل الشرع الواردة بنص أما مسائل الحياة فهي كما قال عليه الصلاة والسلام(أنتم أعلم بشؤون دنياكم) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

مبادئ النظام السياسي في الإسلام والحرية السياسية

إن المجتمع الإسلامي الذي ولد مع ظهور الإسلام وتمكنت دولته بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من السلطة وإقامة حكم الله في الأرض أقام شكلاً خاصاً للدولة الإسلامية يختلف في جوهره عن الأنظمة العالمية الأخرى . هذا النظام أثار الإعجاب والدهشة من قبل الأعداء والأصدقاء وشهد له العدو قبل الصديق. حيث لم يتوانَ مشركوا مكة من الشهادة بحق بصدق النظام السياسي الجديد وعدالته وصدق توجهه وتميزه بمبادئ صادقة رغم عداوتهم لهذا النظام الجديد سراً وعلانية.

غير أن هذا النظام استطاع الصمود لفترة طويلة ما دام قائماً على المبادئ الأساسية التي أرسى قواعدها الرسول صلى الله عليه وسلم، ويوم أن قل اعتماد المبادئ الأساسية في الحكم الإسلامي ظهرت بوادر النهاية لهذا النظام .

إن صمود النظام الإسلامي لفترة طويلة يعود إلى قوة المبادئ الإنسانية التي قام عليها هذا النظام، فكان أن قام هذا النظام على مبادئ ثابتة لا تزال مثالاً يحتذى في أحدث الأنظمة العالمية، فالشورى التي تعرضنا لها في الباب السابق تعتبر من أعظم ركائز الحكم الحديث وهو ما تتغنى به هذه الأنظمة باسم الديموقراطية .

ومبدأ الحاكمية لله أي إسلام الأمر لله سبحانه وتعالى والطاعة للقائد والقيادة والعدل والمساواة والتي تعتبر مطلباً إنسانياً لكل الخلائق. كذلك البيعة التي تعتبر بمثابة الثقة المتبادلة بين الحاكم والمحكوم . كل هذه المبادئ تعتبر من المبادئ الأساسية التي يقوم عليها النظام السياسي في الإسلام، وهو ما سنعرض له في هذا الباب تحت المطالب التالية . حيث سيتبين علاقة هذه المبادئ بالنظام السياسي كمبادئ سياسية وعلاقتها بالحرية السياسية للأفراد والجماعات .

المطلب الأول: الحاكمية لله والحرية السياسية .

المطلب الثاني: الطاعة والحرية السياسية .

المطلب الثالث: العدل والحرية السياسية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الأول
الحاكمية والحرية السياسية

قال تعالى (وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَسولٍ الا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلا أَنا فاعْبُدونِ)[1]. في هذه الآية الكريمة يقرر الله سبحانه وتعالى أن الكون بما فيه هو لله وأن الله وحده هو المعبود بحق، فالحكم له وحده وهذا ما تقرره آيات القرآن الكريم، ففي قوله تعالى (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأَرضَ في سِتَّةِ أَيّام)[2]. ويقول تعالى (الرَّحْمنُ، عَلَّمَ القرآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ ، علَّمَهُ البَيَان)[3]. ويقول تعالى (إِنِ الحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدوا إِلا إِيَّاه)[4]. والآيات في هذا الباب كثيرة جداً وكلها تقرر أن كل ما في الوجود هو لله سبحانه وتعالى ... ومن بديهيات المنطق والعقل أن صاحب الملك هو أحق الناس بملكه فسواء باع هذا الملك أو وهبه أو أبقاه فليس لأحد أن يعترض عليه. وفي الإسلام اعتقاد جازم أن الله سبحانه وتعالى هو المتصرف في هذا الوجود لا ينازعه فيه أحد - بل لا يجوز لأحد أن يعترض على حكم الله في هذا الوجود .

لقد أدى جهل البعض بطبيعة الإسلام أو من باب تحاملهم على هذا الدين أدى بهم إلى التشكيك في قضية حرية الإنسان. حيث يقول البعض إذا كانت الحاكمية لله وحده وليس للبشر حق الاعتراض، وإذا كان هذا الحكم إلزامياً للبشر بما أنزل الله في حكمه فأية حرية للإنسان في هذا الحكم. فهو لا يستطيع أن يغير أو يبدل شيئاً مقابل ذلك .

إن الذين فهموا الكلام المجرد ولم يعرفوا طبيعة العلاقة بين العبد وخالقه قد يهون عليهم مثل هذا الافتراء. أما المؤمن الذي يعلم حقيقة العلاقة بين الله والعباد بقدر ما تفيده الآيات الكريمة ويعتقد اعتقاداً جازماً أن معنى العبودية لله والإقرار بالحاكمية لله وحده لا يزيد المؤمن إلا تحرراً من قيوده، ولا يزيده إلا بعداً عن الخوف أو الخشية إلا من الله . وفي هذا أكبر تقرير لمفهوم الحرية التي يطالب بها الإنسان. إن العمق في فهم معاني القرآن الكريم، وما يريده الإسلام من أتباعه ليحقق في النفس البشرية المعنى الحقيقي لمفهوم

---

(١) سورة الانبياء ، آية ٢٥ .
(٢) سورة الأعراف ، آية ٥٤ .
(٣) سورة الرحمن ، الآيات ١-٤ .
(٤) سورة يوسف ، آية ٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحرية السياسية . وفي هذا يمكننا بيان الحقائق التالية:

١. إذا كان المالك في عرف البشر يتصرف في ملكه كيف يشاء. فمن باب أولى أن الله سبحانه وتعالى وهو مالك الوجود كله أن تكون له الحرية المطلقة في التصرف في خلقه كيف يشاء، كيف لا والله سبحانه وتعالى أعلم بدقائق الخلق وهو أعلم بما يصلحهم أو يفسدهم .

٢. أن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان وأبدعه وصوره فأحسن صورته ، ووضع فيه ميولاً وصفات وغرائز، وجبله على أمور يحتاج إليها في حياته وهو يتعامل مع نفسه ومع الآخرين. فهو سبحانه وتعالى أعلم بما يصلح شأنه. لهذا شرع له من القوانين والأنظمة ما يلبي حاجاته ويحقق مصالحه ويدفع عنه الشرور والمفاسد ويكفل له الحرية والحياة الكريمة والمستقرة. وهو سبحانه أعلم بالإنسان من نفسه وأرحم به من الوالدة بولدها[1] .

٣. تسن الدول الحديثة من الأنظمة والقوانين والدساتير ما يحافظ على بقائها، وتسمح بإعطاء الحرية والديموقراطية في ظل الاحتكام لهذه الأنظمة والقوانين، ولا نجد نظاماً في العالم مهما صغُر يسمح لأفراده أو جماعاته بحرية لا تقر نظامه ودستوره وهو من صنع البشر، فكيف يكون الحال عندما يكون الدستور لله والقانون من الله والتعليمات من صنع الله الذي أتقن كل شيء خلقه، أليست أجدر بالاحترام والإقرار من النظام الوضعي الذي هو من صنع البشر ؟.

٤. إن الحاكمية جاءت بأمر من الله تعالى (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ)[2]. وقال تعالى (إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ)[3]. ومفهوم أن دستور الدولة في الإسلام هو القرآن وهو كلام الله تعالى، والإسلام في ظل احترام كلام الله والاقرار به يعطي الحرية التامة للأفراد والجماعات في التعبير عن آراءهم ومعتقداتهم .

٥. إن الإذعان لحكم الله لا يعنى بأي حال من الأحوال الانتقاص من حرية البشر فالحكم حرية الله وحده. ويجب على الإنسان أن لا يداخله شك في ذلك. فمع الإذعان لحكم الله فالإنسان حر التصرف بكامل حريته وإرادته وله أن يفعل ما يشاء. ألسنا نرى ما يفعله البشر أمام أعيننا وهم يعلمون أن الحكم لله فهل هم منتهون؟. كم هي المعاصي وكم هي المخالفات وكم هو التعدي في حدود الله ، ولكن هل نرى عقاباً لهؤلاء في الحياة الدنيا. إن الله سبحانه وتعالى بيَّن حكمة

(١) محمد أبو فارس ،النظام السياسي في الاسلام . ص٢٠ .

(٢) سورة المائدة ، آية ٤٩ .

(٣) سورة يوسف ، آية ٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في هذا الوجود وأجل عقابه لما بعد الوجود .

٦. الدستور الإسلامي أنزله الله سبحانه وتعالى وهو غني عنه في ذاته وليس له أن يحتكم إليه، ومحبة الله لخلقة واحدة في ظل تقيدهم بحكمه وما أنزله إليهم في كتابه. لقد جاء هذا الدستور للبشرية كلها فليس فيه تحيز لفئة دون فئة، وليس فيه مكاسب لفئة دون أخرى. بينما الدساتير الوضعية التي تحكم البشرية في غالبها إن لم تكن كلها (خاصة فيما يتبع هذه الدساتير من قوانين للانتخاب أو الاحزاب أو النقابات أو غيرها). تتحيز للنظام القائم وتخدم فئة دون فئة، ألسنا نرى الدول العصرية تضع قوانين الانتخاب بما يكفل هيمنتها وسيطرتها وكذلك قوانين الاحزاب؟. فإذا كانت البشرية اليوم تقر الحياة في ظل هذه الانظمة الوضعية على جورها وتحيزها أليس من باب أولى أن ترضى بحكم الله العادل في ظل قانون السماء الذي ينظر للناس جميعاً بميزان واحد دونما تحيز أو انحراف؟.

٧. الحاكمية لله لا تقيد حرية الإنسان.فنحن إذا ما نظرنا إلى جميع الأمور المنهى عنها في حكم الله وشرعه والتي يعتبرها البعض تقييداً للحرية نجدها أموراً ضارة، فهل في منع الإنسان عن شرب الخمرة تقييداً لحريته أم فيها ضرر على حريته ووجوده؟. أم هل في الزنا والاختلاط وأكل حق الغير؟. أم هل في السرقة والاعتداء على حرمات الناس تقييد للحرية؟. هل حقاً في هذه الأحكام وأمثالها قيد لحرية الإنسان؟. هل هناك نظام في الوجود يستطيع البقاء دونما طاعة من أفراده له؟. إذن لماذا نعتبر الطاعة لحكم الله قيداً على حرية الإنسان ونطالب بها طاعة عمياء للأنظمة الوضعيه؟.

إذا كان الإسلام يريد للإنسان أن يستخدم حريته وهو حر معافى سليم العقل والجسم فهل في ذلك قيد على حريته؟.

٨. المفهوم أن صاحب الصنعة هو الأعلم بما يصلحها، والله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان وأنزله إلى الأرض بعث إليه الأنبياء ومعهم التعليمات والأحكام اللازمة لصلاحه ونجاحه. فهل يعقل عاقل أن الله يريد الضرر لهذا المخلوق الذي خلقه؟. أو أن الإنسان ربما يكون أنصح للإنسان من ربِّ الإنسان للإنسان؟.

٩. يشهد المنصفون أن أسعد فترات التاريخ البشري تلك التي كانت تحكم فيه بالإسلام وبحكم الله سبحانه وتعالى. حيث كانت تنعم بالأمن والايمان والسلامة والإسلام والعدل والرخاء والاستقرار والحرية المسؤولة، يوم كان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأعرابي يواجه الخليفة ويقول له اتق الله من أين لك هذا؟. ويقول أعطني من مال الله الذي أعطاك وفي المقابل لا يملك الأمير إلا أن يرد عليه بالخير. يقول إلياس أبوشبكة (إن زوال الحضارة العربية الإسلامية كان شؤماً على إسبانيا وأوروبا، فالأندلس لم تعرف السعادة إلا في ظل العرب وحالما ذهب العرب حلّ الدمار محل الثراء والجمال والخصب[1].

وفي مقابل ذلك فإن أسوأ فترات التاريخ حين كان الحكم بغير ما أنزل الله، وما حال العالم اليوم وما يعانيه من بؤس وجوع وقهر وتسلط إلا خير مثال على ذلك. إن أسوأ فترات البشرية حين استلم زمام الأمور الطواغيت الذين اعتدوا على الحكم واغتصبوه لأنفسهم، فشرعوا من القوانين ما يخدم مصالحهم ويطيل حكمهم ويؤمن لهم دوام السلطة والكبرياء. ففي ظل هذه الأنظمة يحصل رئيس الدولة في الانتخابات الرئاسية على نسبة ٩٨ . ٩٩٪ من أصوات الشعب، وفي ظل الأنظمة الحالية تتهم الأحزاب التي تحقق فوزاً ساحقاً بثقة الشعب وتأييده بأنها عين الإرهاب والدمار. ومع ذلك تدعي هذه الأنظمة أنها دول الديموقراطية والحرية وأن أفرادها أحرار، وفي المقابل يوصف الإسلام بالرجعية والإرهاب والتأخر. قال تعالى (كانَ النّاسُ أُمّةً واحِدَةً فَبَعثَ اللّهُ النّبِيّينَ مُبَشّرِينَ ومُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ معَهُمُ الكِتابَ بِالحَقّ لِيَحْكُمَ بينَ النّاسِ فِيما اختَلَفُوا فِيه)[2].

١٠. إن الحاكمية لا تكون إلا لله وحده، وهي من أولى خصائص الألوهية وليس لأحد غيره أن يدعيها، فهو سبحانه وتعالى المشرع والمحلل والمحرم. فالحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه الله، والمسلم ليس عليه إلا أن يحتكم لشرع الله. ويحرم عليه الاحتكام لشرع غير شرع الله عن رضى ورغبة وإرادة .

١١. الخلاصة أن الحاكمية لله تعني الالتزام بشرعه والائتماربأمره والانتهاء بنهيه ، والالتزام بأوامر الدستور والقانون هي من ضوابط الحرية من الانفلات، ولا يوجد نظام في العالم يعطي الحرية بمطلقها. والضوابط الربانية لحرية الإنسان هي لمصلحته وخيره ونفعه . أما ضوابط الأنظمة الوضعية كما أسلفنا فهي لا تخلو من الهوى والمصلحة الخاصة والنفع الشخصي .

وعليه فإن الحاكمية لله لا تقف أبداً في وجه الحرية ولا تحد منها. بل هي ضابط ومنظم لها، وأعلى درجات الحرية هي أن تعيش البشرية في ظلال قانون السماء.

---

(١) عبدالله علوان ، تربية الأولاد في الاسلام . ص٦.

(٢) سورة البقرة ، آية ٢١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني
الطاعة والحرية السياسية

قال الله تعالى (يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا أَطيعُوا اللَّهَ وأَطيعُوا الرَّسولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُم)[1]. لن نذهب في هذا المطلب لبيان مفهوم الطاعة بشكل موسع ونكتفي بالقول. بأن الطاعة في الإسلام أساسها طاعة الله أولاً وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ثانياً ومن ثم طاعة أولي الأمر من المؤمنين. فالطاعة أولاً لله فإن تعارضت طاعة ولي الأمر وطاعة الرسول مع طاعة الله والأخيرة غير واردة، فالأولى طاعة الله، وإذا كان الخيار بين طاعة الله أو الأمير فالطاعة لله أولاً ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

والطاعة في الإسلام ليست جبرية بل هي بسند شرعي وقانوني، والكل في الطاعة سواء. وعليه فقد أخذ بعض أعداء الإسلام موضوع الطاعة في الإسلام واعتبروها مكان شبهة يدخلون من خلالها، وقد ادعوا أن الطاعة في الإسلام مطلقة وليس للمعصية في الإسلام جواب إلا السيف. يدّعون بهذا القول وكأنهم يعيشون في أنظمة لا تعرف القوة في جوابها أبداً في معاقبة معارضيها ومن شقوا عصا الطاعة. وعليه فإنهم يرون أنه في ظل هذا النوع الذي يتصورونه من الطاعة فإن حرية الأفراد والجماعات في خطر أوبالأحرى لا وجود لها ... ونحن في ردنا عليهم يمكننا بيان ذلك فيما يلي :

١. الطاعة دعامة من دعائم الحكم في الإسلام وقاعدة من قواعد نظامه السياسي إذ كيف للمرء أن يتصور وجود نظام سليم ودولة قوية مستقرة دون أن يكون هناك عدل من الحكام وطاعة من الرعية. ورضي الله عن عمر حين قال لا إسلام بلا جماعة ولا جماعة بلا أمير ولا أمير بلا طاعة[2]. والأمير مهما جمع من الصفات من ذكاء وخبرة وفطنة وعقل وشخصية وخلق ودين فلا قيمة لها إذا خذلته الرعية وسحبت منه عصا الطاعة وتمردت عليه. بل لابد أن تدعمه الرعية وتقف إلى جانبه وتطيعه وتعينه. ولنتصور كيف تصبح الحرية بلا طاعة. إذ من يكفل الحرية إذا تمردت الرعية على الراعي؟. .

٢. القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ركزت على السمع والطاعة من حيث حكمها ومفهومها وحدودها، فالآيه السابقة تفيد الطاعة لله سبحانه

---

(١) سورة النساء ، آية ٥٩.

(٢) محمد أبو فارس ، النظام السياسي في الاسلام ص٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وأولياء الأمور من قادة وولاة وقضاة ووزراء وكل من ولي أمراً من أمور المسلمين بل جاءت النصوص الكثيرة التي تحرم الخروج على الأمراء أو التمرد عليهم .

فأكدت هذه النصوص وجوب الطاعة لولي الأمر، وهذه النصوص من كتاب الله الذي يؤكد حكمه، ونحن قد ارتضينا حكم الله وحده وتعلمنا أن طاعة الأمير في غير معصية هي طاعة لله تعالى . وفي السنة النبوية تأكيد على مفهوم الطاعة وأهميتها في بناء المجتمع المسلم وكيف أن شق عصا الطاعة في الأمة فيه فتنة كبرى قد تُؤدي بالأمة إلى الهاوية والدمار. ورد في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اسمعواوأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبه ما أقام فيكم كتاب الله)[1]. وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال(من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصا الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني)[2]. وفي المنطق السليم لا يعقل أن يكون الإمام قائماً بما عليه لله تعالى للأمة ثم لا يكون مسموع الكلمة مطاعاً في أمره ونهيه من قبل الرعية[3] .

٣. طاعة الأمير ليست مطلقة في الإسلام، فإن عصا الأمير ربه فلا طاعة له وإن عصا القانون وخالف الأنظمة والقوانين فلا طاعة له. أي أنه إذا خالف الحاكم العقد المتفق عليه حال مبايعته من قبل الأمة فإن الأمة في حل من طاعته. وهذا يعطي الدليل على حرية الفرد في ظل الدولة الإسلامية. ولكن في المقابل كم هي الأنظمة الوضعية في عالمنا اليوم عالم الديموقراطية كما يرى الكثير، كم هي الانظمة التي صادرت أدنى حريات الأفراد ولم تعط لأفرادها من الحرية إلا مايحافظ على بقائها ويخدم مصالحها ؟. والويل كل الويل لمن عصا أو تردد في الطاعة عن أمر حتى خارج حدود الدستور والقانون. فإين هذا من الإسلام الذي أوجب على الرعية طاعة الأمير ضمن دائرة ثابتة ومعينة وحدود معلومة وقيود وشروط من أهمها :-

١. مطابقة الأمر للشريعة الإسلامية . فاذا كان الأمر غير مطابق لشرع الله فلا تجب طاعته. وهذا مأخوذ من قوله تعالى (يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا أَطيعُوا اللَّهَ وأَطيعُوا الرَّسولَ وأُولي الأَمْرِ مِنْكُم فَإِنْ تنازَعْتم في شَيْءٍ فَرُدّوهُ إِلى اللَّهِ والرسولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمنونَ بِاللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ ذلِكَ

(١) جامع الاصول ، ج٤، ص٦١ .
(٢) صحيح مسلم - الحديث رقم ١٨٣٥ .
(٣) محمد أبو فارس . النظام السياسي . ص٧٠. ٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خيرٌ وأحسنُ تأويلا)[1] .

قال ابن حجر في فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ومن بديع الجواب قول بعض التابعين لبعض الأفراد من بني أميه لما قال له أليس الله أمركم أن تطيعونا في قوله (وأولي الأمْرِ منكُم). فقال له أليس قد نزعت عنكم (يعني الطاعة) إذا خالفتم الحق بقوله (فَإنْ تَنازَعتُم في شَيْءٍ فَرُدّوهُ إلى اللّهِ والرسولِ إنْ كُنتُم تُؤمنونَ باللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ)[2] .

وروى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال (حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدي الأمانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا) .

٢. أن يحكموا بالعدل بين الناس، فإن عدلوا وجبت طاعتهم وإن ظلموا وجاروا وبغوا وطغوا فلا تجب طاعتهم .

٣. أن لا يأمروا الناس بمعصية ، أقر الإسلام أن الطاعة حق على المسلم للأمير فيما أحب أوكره ما لم يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة .

٤. أن لا ينقصوا الناس حقوقهم وحرياتهم. فما دامت حقوق الناس محفوظة وحرياتهم مصانة فطاعة الأمراء واجبة. أما إذا اعتدوا على أي حق من حقوق الناس أو انتقصوا شيئاً من حرياتهم فلا سمع ولا طاعة .

نفهم من ذلك أن الطاعة في الإسلام واجبة بل فريضة بنص كتاب الله، ولكن ضمن الدائرة التي تحدثنا فيها، فطاعة الأمراء ضمن هذا الفهم هي لمصلحة الأفراد والجماعات ولمصلحة الأمة والوطن. إذ هل يعقل بقاء أمة في ظل تمرد أفرادها وعصيانهم؟. وكيف لحرية الأفراد وحقوقهم أن تصان في ظل الفوضى والاضطراب. إن قانون الطاعة في الإسلام يعتبر من أحدث القوانين وأنظمها، فاذا كانت الأنظمة العصرية بما فيها من جور وظلم ومصادرة لحريات الناس توجب الطاعة للأفراد لقيادتهم (وقد رأينا في الولايات المتحدة وهي التي تدعى أنها أم الديموقراطية وحارستها رأينا كيف كانت معاملتهم للسود في أميركا عندما ثاروا مطالبين بإنصافهم وليس أكثر من ذلك)؟. إذا كان ذلك واجباً في الأنظمة الوضعية فنرى أنه من باب أولى أن تكون الطاعة لقانون الله ودستوره وولي الأمر في الدولة الإسلامية. فإلى أولئك الذين يعتبرون الطاعة في الإسلام مطلقة لا نقاش فيها نقول هذا هو مفهوم الطاعة عندنا. فلا طاعة لمخلوق في

---

(١) سورة النساء ، آية ١٥٩ .

(٢) محمد أبو فارس ، النظام السياسي .ص ٧١-٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معصية الخالق أما إذا كان في القضية تحامل فنقول إذا كان الأمر عندكم على سوئه حلالاً وعلى حسنه عندنا في نظركم حراماً فأنتم بحاجة الى دراسة مفهوم الإسلام للطاعة حتى تروا نور الحقيقة. إن الطاعة في الإسلام ليست طاعة لشخص الحاكم بل هي طاعة لله ومن أولى من الله بالطاعة؟. والطاعة لله تعتبر من أقوى ضوابط الحرية ومحدداتها ولا يمكن أن نتصور حرية حقيقية في المجتمع الإسلامي إذا لم تكن هناك طاعة لولاة الأمور الذين اختارتهم الأمة بحريتها وكامل إرادتها .

و خلاصة القول إن الإسلام يعتبر الطاعة من الرعية للحاكم فرضاً من الفروض وقاعدة من قواعد الحكم في الإسلام، لاتستقيم الحياة السياسية إلا بها ولكن وجوب الطاعة للأمراء ليس مطلقاً بل هو مقيد بتطبيق شرع الله والعدل بين الناس وأن لا يؤمر بمعصية وأن تحفظ حقوق الناس وحرياتهم [1].

المطلب الثالث

العدل والحرية السياسية

العدل في الإسلام فريضة واجبة وليس مجرد حق من الحقوق التي باستطاعة صاحبها التنازل عنها إذا هو أراد. ولعل المكانه التي أعطاها الإسلام في تشريعه لفرضية العدل لم تعطها له أية شريعة سابقة. ولم يبلغ مثلها مكان العدل في أي نظام قانوني قديم أو حديث، وليس أدل على ذلك من آيات القرآن الكريم حيث يقول تعالى (إنَّ اللّهَ يأمُرُ بالعَدْلِ والإحْسَان) [2]. والأمر من الله بوجوب العدل والأمر بالفعل يعني الوجوب، ويقول الله تعالى (إنَّ اللّهَ يَأمُرُكُم أنْ تُؤَدّوا الأمَاناتِ إلى أهلِها وإذا حكَمْتُم بينَ النّاسِ أنْ تحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)[3]. وهنا نلاحظ التأكيد على أداء الأمانة لأصحابها مقرونة بالعدل، وذلك اعتبار أن أداء الأمانة وإيصال الحق لأهله نوع من العدل. حيث يؤكد سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بأن يكون الحكم بالعدل التام بين الناس أجمعين مسلمهم وغير المسلم منهم .

ويقول تعالى (يا أيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا كُونوا قَوّامِينَ بِالقِسْطِ شُهَداءَ لِلّهِ ولَو على أنْفُسِكُم أوِ الوالِدَيْنِ والأقْرَبِينَ إن يكُنْ غَنِيّاً أوْ فَقِيراً فَاللّهُ أوْلى بِهِمَا، فَلا تَتّبِعُوا الهَوى أنْ تَعدِلوا وإنْ تَلْوُوا أو تُعْرِضُوا

---

(١) محمد أبو فارس ، النظام السياسي في الإسلام . ص ٧٧ .

(٢) سورة النحل ، آية ٩٠ .

(٣) سورة النساء ، آية ٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإنَّ اللّهَ كانَ بِما تعْمَلونَ خَبِيرا)[1].

إن القسط هو العدل والله يأمر الإنسان بالعدل حتى مع نفسه أو مع والديه أو الأقربين، وأن لا تأخذ الإنسان عاطفة القربى أو الرحم في إعطائهم ماليس لهم، والله سبحانه وتعالى يأمر جميع المكلفين أن يكونوا منصفين في اختيار العدل والبعد عن الظلم والجور. كما أن الله سبحانه وتعالى يحذر من اتباع الهوى والذي قد يقضي على العدل. ويكون الظلم غالباً مع الهوى حيث تهضم حقوق الناس .

ويقول تعالى (فَلِذلكَ فَادْعُ واستَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ولا تَتَّبِعْ أهواءَهُم وقُلْ آمنتُ بِما أنزلَ اللّهُ منَ الكتابِ وأُمِرْتُ لأعْدِلَ بينَكُم)[2]. تبين الآية الكريمة صريح كلام الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر الله له بالعدل بين الناس حيث يقول تعالى (وأمرتُ لأعدلَ بينكم). فإذا كان الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالعدل وهو المفطور على العدل. فهو لغير رسوله من الحكام والأمراء من باب أولى. إن ترك العدل يعتبر ظلماً والظلم فيه اعتداء على حقوق الناس، وفي الظلم مصادرة لحرية الآخرين والله تعالى حرم الظلم على نفسه وحرمه بين الناس ، ورد في الحديث القدسي عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى (ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)[3] . لقد حرم الله الظلم وذم أهله وتوعدهم بالعذاب الشديد يوم القيامة والشقاء في الحياة الدنيا قال تعالى (احْشُروا الّذينَ ظَلَمُوا وأزْواجَهُم)[4]. وقال تعالى (ولا تَحْسَبَنَّ اللّهَ غافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظّالِمُون)[5]. إنّ إقامة العدل بين الناس في الإسلام تعتبر من أقدس الواجبات وأهمها. ومن هنا جاء الإسلام ليعلن بأنّ الناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بين حاكم ومحكوم وغني وفقير وقريب وبعيد أو لون ولون آخر. فالكل سواسية لا فرق لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى، والعدل في الإسلام هو أساس الملك، وهو علامة واضحة لدوام الملك لصاحبه، والظلم والجور يعتبران من أقوى الدلالات على الزوال. والإسلام إذ يؤكد على الحقائق التالية في مجال العدل والمساواة ليؤكد أهمية العدل في إيجاد جو مناسب لحرية الأفراد والجماعات. إذ لا حرية في جو

---

(١) سورة النساء ، آية ١٣٥.

(٢) سورة الشورى ، آية ١٥ .

(٣) صحيح مسلم ، حديث رقم ٢٥٧٧ .

(٤) سورة الصافات ، آية ٢٢ .

(٥) سورة إبراهيم ، آية ٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يسوده الظلم والاستبداد والطغيان .

١. ينظر الإسلام للناس جميعاً نظرة واحدة دونما تمييز على أي من الأسس التي يتميز الناس فيها، وذلك لأنهم جميعاً خلق الله خلقهم من أصل واحد، فهم أبناء آدم وآدم من تراب، وقد جعل الله سبحانه وتعالى مجال التفاضل والإكرام عنده التقوى ، قال تعالى (يا أيُّها النّاسُ إنّا خَلقْناكُم منْ ذَكَرٍ وأُنثى وجَعلْناكُم شُعوباً وقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إنَّ أكرمكُم عندَ اللّهِ أتْقاكُم)[1] .

٢. إن إقامة العدل بين الناس أفراداً أو جماعات أودولاً ليس من الأمور التطوعية التي تترك لمزاج الحاكم وهواه بل هي واجب مقدس لا يقوم الحكم إلا بها. وهي من أقدس الواجبات التي يركز عليها الإسلام في تعليماته[2]. وأمر الله واضح تمام الوضوح بوجوب العدل بين الناس وليس في ذلك اختيار بالعدل أو عدمه .

٣. ترك العدل في الإسلام يعد ظلماً يحاسب تاركه في الدنيا بالضيق والضنك ، وفي الآخرة بالويل والعذاب الشديد .

٤. أوجب الإسلام على الحكام إقامة العدل بين الناس دون النظر إلى أجناسهم أو لغاتهم أو أحوالهم الاجتماعية أو دياناتهم. قال تعالى (ولايَجْرِمَنَّكُم شَنَآنُ قَومٍ على ألا تَعْدِلوا اعْدِلوا هُوَ أقْرَبُ لِلتّقْوى)[3] .

٥. العدل في حقيقته كما يراه الإسلام رحمة ومحبة وصدق، فالذي لا يعدل بين الناس ليس صادقاً مع نفسه ولا مع الناس، والبعيد عن العدل بعيد عن الرحمة قريب إلى الظلم لا تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلاً .

٦. العدالة في الشريعة الإسلامية تتسع لكافة مجالات الحياة الإنسانية، وبذلك تتفوق النظرة الإسلامية على غيرها في هذا الأساس الهام أو هذه القيمة الاجتماعية، فالنظرة الإسلامية شاملة لعلاقة الحاكم بالمحكوم. وبين المتخاصمين بين يدي القاضي وبين الزوجة وزوجها وبين الولد وأبيه، وبين الأخ وأخيه، وحتى بين الدولة ودول أخرى .

٧. العدل في الإسلام شامل للحياة المادية والاجتماعية، فكما يجب في الشرائع كذلك يجب في الثروات والأموال التي خلقها الله وأودعها في الطبيعة ، فالله هو مصدر الأموال مالك الرقبة فيها، والإنسان من حيث هو إنسان

---

(١) سورة الحجرات، آية ١٣ .

(٢) محمد أبو فارس ، النظام السياسي في الإسلام ، ص٤٦ . ٤٧ .

(٣) سورة المائدة ، آية ٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مستخلف عن الله في هذه الاموال يستثمرها بالعدل المشروع [1] .

٨. اهتم الإسلام بتقرير هذه القاعدة وتأسيسها وتدعيمها. فأكثر الحديث عنها في الآيات القرآنية كما سبق والأحاديث النبوية الشريفة . فقد ورد في خطبة الوداع أن الرسول *صلى الله عليه وسلم* قال (يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأسود على أبيض ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى. إن اكرمكم عند الله اتقاكم)[2] .

٩. حرص الإسلام على إزالة كافة العوائق التي تقف في سبيل الوصول إلى العدل. فأعطى لكل إنسان أياً كان الحرية التامة بالمطالبة بحقه بالطريقة التي يراها مناسبة مادامت مشروعة . حتى أن الإسلام يجيز القتال في سبيل إحقاق الحق وإيصاله لأهله. ويجيز القتال من أجل تحقيق العدالة في المجتمعات الأخرى غير الإسلامية .أمام ما تقدم نرى كيف يكون العدل في الإسلام ، فأين عدل الإسلام من العدل الذي تدعيه الأنظمة الوضعية؟. إن ثمار الحرية لا يمكن لها أن تنضج في جو الظلم والتسلط. والمظلوم أول مايفقد حقه في المطالبة بحريته. فحيث لا عدل لا حرية وحيث العدل حيث الحرية المسؤولة. من هنا كان حرص الإسلام على تحقيق العدالة بين الناس جميعاً دون النظر إلى أنسابهم أو أصولهم أو أعراقهم أو ديانتهم. والإسلام حين أوجب العدل بين الناس أقره حتى يُقوِّم حياتهم ووجودهم . وقرر الإسلام أنه إذا ساد مقياس العدل بين الناس سعدوا، وإلا شَقوا. وقد فتح الإسلام الباب على مصراعيه لكل مظلوم ليرفع ظلامته إلى من ينصفه ويأخذ له حقه . وألغى الإسلام كل وسيلة من شأنها أن تعيق الناس من الوصول إلى حقوقهم أو تمنعهم منها، وقد قامت التطبيقات الفعلية والشواهد العملية في حياة المسلمين مما يؤكد هذا القياس ويدعمه ويؤيده[3].

---

(١) محمد عمارة، الاسلام وحقوق الانسان . الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون ،١٩٨٥، ص٦٥ .

(٢) محمد أبو فارس ، النظام السياسي في الاسلام ، ص٤١.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث

حرية غيرالمسلمين والمرأة في الدولة الإسلامية

يعتبر الحديث عن الحرية السياسية لغير المسلمين وعن الحرية السياسية للمرأة من المواضيع التي يأخذ بها الباحثون كثيراً بقصد أو بغير قصد من أجل التشويش على النظام السياسي في الإسلام. ونحن عندما نناقش هذا الموضوع سنحاول أن نغطي الجوانب المقصودة فيه بكل صراحة ووضوح وموضوعية ، فلن نقحم أنفسنا أولاً في مجال الشك والريبة وفي نفس الوقت لن نكون متحيزين للفكرة التي ندافع عنها .

وقبل البدء في الحديث عن هذين الموضوعين نود أن نذكر كل محلل وقارىء، ما هو الحجم الذي يمثله المسلمون في الحياة السياسية في الدول ذات الأغلبية النصرانية؟. ففي بعض دول أوروبا يزيد عدد المسلمين على الملايين ولكن هل لهم الحق في أن يتولى أحدهم منصباً مرموقاً ؟. وفي المقابل لنستقرئ التاريخ الإسلامي، كيف كان حال النصارى في ظل الدولة الإسلامية؟. وسوف يتبين لنا كيف كانت أحوالهم من خلال البحث إن شاء الله .

كذلك الأمر بالنسبة للمرأة فما هو الحجم السياسي الذي تمثله المرأة في المجتمعات غير المسلمة. حتى يكون هذا التحامل الكبير على المسلمين في إبعاد المرأة عن الحياة السياسية؟ وسوف نتناول في هذا المبحث أربعة مطالب سنخصص منها مطلبين لبحث الحرية السياسية لغير المسلمين، ومطلبين للحرية السياسية للمرأة في الدولة الإسلامية. وسنخصص المطلب الثاني لكل من المرأة وغير المسلمين كنظرة تحليلية وواقعية للموضوع وكما يلي :-

المطلب الأول :- حرية غير المسلمين في الدولة الإسلامية .

المطلب الثاني :- نظرة تحليلية للواقع السياسي .

المطلب الثالث :- حرية المرأة السياسية في الإسلام .

المطلب الرابع :- نظرة تحليلية للواقع السياسي .

المطلب الأول

حرية غير المسلمين في الدولة الإسلامية

نادى الإسلام بتقرير الحرية الإنسانية بين الناس جميعاً فنادى بمبدأ المساواة وقد ساوى الإسلام بين الناس فيما يتصل بالجانب الإنساني. فكانت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المساواة العامة إنسانية بين الناس في الحقوق والواجبات ، ولم يجعل بالتالي للمسلمين تميزاً على غيرهم إلا فيما يتصل بجانب العقيدة التي كفل الإسلام الحرية فيها للناس جميعاً (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)[1]. ثم ما يترتب على اختلاف العقيدة من أحكام. ولأهل الذمة الذين يقيمون في دار الإسلام حقوق ثابتة كفل النظام الإسلامي لهم المساواة في التمتع بها .

التعريف :- يقصد بغير المسلم. كل من يقيم من غير المسلمين في دار الإسلام وهم على أصناف :-

١- **أهل الذمة** :- وهم المعاهدون من أهل الكتاب ومن في حكمهم. يقيمون في دار الإسلام. وقد أبيحت لهم الإقامة في الدولة الإسلامية وسموا بأهل الذمة لأنّ لهم حقوقاً قبل المسلمين، فعقد الذمة يمنح غير المسلم عهداً بإباحة إقامته على التأييد في دار الإسلام، كما يمنحه الأمان على دمه وماله وعرضه. ويرتب عقد الذمة حمايتهم من أي عدوان خارجي وعليهم في مقابل ذلك إلتزامات مالية[2] .

٢- **المستأمنون** :- وهم الذين يمنحون الأمان في دار الإسلام، كما جاء في قوله تعالى: (وإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ)[3]. وقول الرسول *صلى الله عليه وسلم* (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويجير عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم)[4] . ويُعطَي الأمان من أقل الجنود رتبة حتى وإن كان من النساء، وقد وافق الرسول *صلى الله عليه وسلم* على إجارة أم هاني يوم فتح مكة، ويرتبط الأمان بالمدة والشروط التي تم الاتفاق عليها. وقد أعطى الإسلام لغير المسلمين حريتهم في عبادتهم وفيما يتعلق بأحكام معينة في الأمور التي تتعلق بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والميراث، أما فيما عدا ذلك فتطبق الشريعة الإسلامية في القضايا التي تقع في دار الإسلام سواء كان مسلماً أم غير مسلم .

وهكذا فإنّ النظام السياسي في الإسلام قد ساوى بين المسلمين وغير المسلمين في الحقوق الإنسانية الطبيعية. فما اتصل بأحوالهم الشخصية وشؤون العقيدة فيمنحون فيه حرية التصرف فيما لم يخف ضرره على المسلمين ، وقد ثبت أن الرسول *صلى الله عليه وسلم* كان يسمح لليهود والنصارى بالرجوع إلى أهل

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٥٥ .

(٢) عبدالوهاب الشيشاني ، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية في النظام الإسلامي والنظم المعاصرة. عمان: مطابع الجمعية العلمية ، ١٩٨٠م ، ص٦٦٣ .

(٣) سورة التوبة ، آية : ٦ .

(٤) جامع الأصول ، ج ١٠ ، ص٢٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دينهم في شؤون المواريث والحقوق الخاصة[1] .

حقوق الذميين في الوظائف :- أجمع الفقهاء على أنَّ الولايات التي تتصل بأمور العقيدة لا يجوز أن يتقلدها إلا مسلم[2]. ويلحق بها تلك المناصب التي تتصف بالخطورة وبأنها من المناصب الرئيسية حيث عرفها المودودي بأنها تلك التي تتعلق بوضع الخطط العملية وتوجيه دوائر الحكومة المختلفة وهي ذات المنزلة المهمة الخطيرة. ومثل هذه الخدمات لا تسند في أي نظام مبدئي عقيدي إلا للذين يؤمنون بمبادئه وعقائده[3] .

أما إذا استثنينا هذه الوظائف والمناصب فإنَّه يجوز أن يولي أهل الذمة أرفع المناصب وأعلاها فيما يتعلق بإدارة شؤون الدولة، فمثلاً لا يمنع من تولية الذمي المحاسب العام أو منصب المهندس الأعلى أو ناظر البريد العام ، أو منصب القضاء للفصل بين أهل الذمة (وهذا ما ذهب إليه أبو حنيفة)[4]. ويجوز توليته منصب وزارة التنفيذ في أي تخصص إلا فيما يتعلق بالقضاء وشؤون العدالة وقيادة الجيوش، وفيما عدا ذلك فيجوز ما لم يكونوا يناصبون العداء ويظهرون البغض للمسلمين .

الحقوق السياسية في الولايات العامة :- هناك بعض الوظائف الهامة في الدولة الإسلامية لا يتولى الأمر فيها إلا المسلم ولا يقلدها الذمي، وذلك لاقتضاء اشتراط الإسلام في شاغلها أن يكون مسلماً . ومن تلك الوظائف رئاسة الدولة الإسلامية (الولاية العظمى) ووزارة التفويض (وهو ما يقابل رئاسة الوزراء اليوم) وإمارة الجهاد وإمارة المناطق، وهذه الوظائف يسند إلى شاغلها القيام بأمور الدين والإمامة في الصلاة وخطبة الجمعة. ومثل هذه الأمور لا يستطيع القيام بها إلا المسلم، وهي أمور تتصل بالعقيدة والعبادات لا يجوز أن يليها إلا مسلم .

إذ لا يعقل أن يكون أمير منطقة أو أمير جهاد أو وزير مفوض مكلف بالإمامة في الصلاة ومكلف بخطبة الجمعة والوعظ والإرشاد، وهو حارس الدين في دائرته فلا يعقل أن يلي هذه الأمور غير مسلم. أما إذا كانت من الولايات والوظائف التي تقتصر على التنفيذ وإدارة الشؤون الدنيوية فيجوز أن يليها أهل الذمة كوزارة التنفيذ وهي دون وزارة التفويض[5]. يقول الماوردي (وأما

---

(١) الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، القاهرة: مطبعة الجمالية، ١٣٢٨هـ ج٧، ص٣١٢ وما بعدها

(٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٣١ ، وما بعدها .

(٣) المودودي، حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية . دمشق : دار الفكر ، بلا تاريخ ، ص٣٥ .

(٤) المصدر السابق ، ص٣٥ .

(٥) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وزارة التنفيذ فحكمها أضعف وشروطها أقل. لأنّ النظر فيها مقصور على الإمام وتدبيره وهذا الوزير وسط بينه وبين الرعايا، والوزير يؤدي عنه ما أمر وينفذ عنه ما ذكر ويمضي ما حكم ويخبر بتقليد الولاة وتجهيز الجيوش ويعرض عليه ما ورد من مهام وتجدد من حدث مُلم ليعمل فيه ما يؤمر به، فهو معين لتنفيذ الأمور وليس بوالٍ عليها ولا متقلد لها). ثم يمضي قائلاً : (ويجوزأن يكون هذا الوزيرمن أهل الذمة وإن لم يجزأن يكون وزيرالتفويض منهم)[1].

ولعلّ هذا الأمر عادي بالنسبة لدولة تقوم على أساس العقيدة، يقول عبدالحميد متولي (ذلك أمر يلاحظ دائماً سواء كانت تلك العقيدة الجديدة التي قامت الدولة على أساسها عقيدة دينية كما كان شأن الدولة الإسلامية، أو كانت عقيدة سياسية كما كان شأن الدولة النازية في ألمانيا وكما هو شأن عقيدة الدول الاشتراكية والشيوعية التي كانت قائمة في أوروبا والإتحاد السوفياتي . والتي قامت على أساس عقيدة جديدة، وحسبها أن تنظر إلى رعاياها الذين لا يؤمنون بعقيدتها نظرة تسامح فليس لأحد من رعاياها الآخرين أن يطمع بأكثر من أن تؤمنهم على حريتهم الشخصية وعلى أموالهم وأعراضهم، وأن تترك لهم حرية الاحتفاظ بمعتقداتهم وإقامة شعائرهم الدينية. وذلك ما عرف به الإسلام واشتهر به المسلمون في صدر الإسلام أكثر مما عرف عن أية طائفة أخرى وأية أمة من الأمم -إلى أن يقول - ولذلك فإنّ عدم المساواة التامة بين المسلمين والذميين يُعد أمراً طبيعيا)[2] .

لقد بلغ تسامح المسلمين في هذه القضية وتوليتهم لغير المسلمين من أهل البلاد كثيراً من الأمور والمناصب وخاصة في البلاد المفتوحة أن كان ذلك مثار إعجاب ودهشة من قبل كتاب الغرب مثل (توماس أرنولد) (وآدم متز) حيث يقول متز (من الأمور التي تعجب لها كثرة عدد العمال والمتصرفين من غير المسلمين في الدولة الإسلامية)[3] .

الشـــورى :- من الأمور التي كان قد اتفق عليها علماء المسلمين فيما بينهم أمر مؤداه قصر الشورى على المسلمين دون غيرهم. وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتولون ذلك في الصدر الأول، فكانوا يستشارون في الأمور الدنيوية كالحروب وتولية الولاة وتسيير الجيوش وعقد ألويتها .

ومعلوم أنّ منصب الشورى منصب خطير. لأنّ المستشار أمين على

---

(١) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٢٥-٢٨ .

(٢) عبدالحميد متولي ، مبادئ الحكم في الإسلام . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧١ ، ص٧٣٦ .

(٣) فؤاد عبدالمنعم أحمد، مبدأ المساواة في الإسلام. الاسكندرية: مؤسسة القاضي الجامعية،بلاتاريخ،ص١٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصالح العليا للدولة الإسلامية، ومن المعروف أنّه يستشار في كافة الشؤون العامة مثل تولية الولاة وإعلان الحرب وتسيير الجيوش، وهي أمور لا يجوز أن يطلع عليها غير أهل التقوى والخبرة والرأي والأمانة من المؤمنين. فإشراك الذمي في ذلك لا يتوافق مع المصلحة العليا لدولة مبدؤها العقيدة الإلهية وشرعها الإسلام ودستورها القرآن. لذلك اقتصرت الشورى في صدر الإسلام الأول على المسلمين لمبررات سياسية ودينية واجتماعية ولم يكن في ذلك خروج على النهج. غير أن الإسلام لم يمنع المشورة من أهل الذمة في أمور الدنيا وخاصة مع أصحاب الاختصاص فيما يتعلق بالصناعة والتجارة والتسويق وأمور الدنيا التي لاتتصل بخطر على الدين وأهله، وخصوصاً عند الثقة بأمثال هؤلاء أن يعطوا النصيحة والشورى النافعة في هذه الأمور. والمسلمون في رأيهم هذا يعتمدون كتاب الله تعالى، حيث يقول الله تعالى: (وَلا تُؤْمِنوا إلا لِمَنْ تَبِعَ دينَكُم)[1]. ويقول تعالى: (يا أيُّهَا الذين آمنُوا لا تَتَّخِذوا بِطانَةً مِنْ دونِكُم لا يَألُونَكُم خَبَالاً وَدّوا مَاعَنِتُّم قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أفْواهِهِم ومَا تُخْفِي صُدورُهُم أكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآياتِ إنْ كُنْتُم تَعْقِلُون)[2]. لذلك فإنه لا يجوز اتخاذ الذمي مستشاراً للحاكم المسلم في تلك الجوانب ولا يعتبر ذلك تعدياً على حريته السياسية، لأن الصالح العام أولى من حرية الصالح الخاص. فحفظ الدولة وصيانة أمنها مع عدم التعدي على الآخرين أولى من إباحة الحرية بالعموم والوقوع في الخطأ الذي قد لا تحمد عقباه، وقد رأينا كيف أنّ المبالغة في تولية أهل الذمة واستشارتهم خارج الخط المسموح به (وذلك عندما زاد تسامح الخلفاء المسلمين في الآونة الأخيرة). رأينا كيف ازداد خطرهم ونفوذهم الذي أدى إلى انهيار كثير من الخلفاء وسارع في زوال الدولة الإسلامية .

أمّا أمر اشتراك أهل الذمة في بيعة الخليفة فلم يشترك الذميون في عهد الخلفاء الراشدين في بيعة خليفة أو اختيار أهل الشورى. والفقهاء قد اشترطوا فيمن يتصدى لهذه المهام أن يكون من أهل الحل والعقد وهم بطبيعة الحال من المسلمين.

وقد ذهب بعض من المحدثين إلى جواز منحهم حقوق العضوية والتصويت في بعض المجالس ذات الأهمية الثانوية مثل الشؤون البلدية والمحلية وما شاكلها باعتبار أنّ هذه المجالس لا تتناول المسائل المتعلقة بنظام الحياة

---

(١) سورة آل عمران ، آية ٧٣ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والدين. بل يقتصر نظرها في تدبير الضرورات المحلية والخدمية[1]. وما نراه مناسباً والله أعلم أنه يجوز لأهل الذمة الاشتراك في انتخابات المجالس المحلية والترشيح لها وكذلك النقابات المختلفة وأن يكون لهم من يمثلهم لرعاية شؤونهم في مجالس الشورى، ومثل ذلك يتعلق بخدمات لمناطقهم ولا تتعلق بحق الولايات العامة والمناصب العليا للدولة .

المطلب الثاني

نظرة تحليلية للواقع السياسي

الأصناف الرئيسية التي بين الإسلام حكم التعامل معها هم اليهود والنصارى ، وأما غيرهم فيقاس عليهم حكم اليهود والنصارى لقول الرسول صلى الله عليه وسلم كما ورد في موطأ مالك في كتاب الزكاة (سنو بهم سنة أهل الكتاب). وهذا القياس مأخوذ به في معظم الأحكام الشرعية[2]. وقد رأى بعض أهل العلم أنّ الذمي في الدولة الإسلامية هو من أهل دار الإسلام، وسوف نبين في الفقرات اللاحقة بعض التوضيح مقروناً بالتحليل بما يناسب الواقع الذي تعيشه الأمة سواء كان ذلك في ماضيها أو حاضرها .

١- حجب الوظائف القليلة في الدولة الإسلامية عن الذميين ينبغي أن لا يثير استغراباً أو دهشة، لأنّ الوظيفة في الشريعة تكليف لا حق وللدولة أن تشترط بعض الشروط الخاصة التي تراها ضرورية فيمن تكلفه ببعض الوظائف المعينة.كما أنّ هذه الوظائف القليلة التي لا يكلف بها الذمي تقوم على أساس العقيدة. والذمي لا يشارك المسلم في أمور دينه ولا فيما يتصل بالعقيدة الإسلامية أو يقوم عليها. ويظهر في هذه الوظائف عنصر الدين بارزاً فكان قصرها على المسلم سائغاً مقبولاً[3] .

٢- اشترط الفقهاء فيمن ينتخب الخليفة ما يشترط في الخليفة نفسه[4]. وهذا أمر شرعي اشترطه أهل العلم. لكن فيما نرى والله أعلم أنّ عدد أهل الذمة في انتخاب خليفة للمسلمين لن يكون له أثر كبير في ترجيح كفة واحد ضد الآخر. خاصة إذا علمنا أنّ الخليفة الذي يطرح للبيعة العامة أو ما يسمى بالانتخاب الحر المباشر اليوم يكون قد حظي بموافقة مجلس الشورى، فلا يعقل أن يكون من

---

(١) المودودي ، حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية ، ص٣١-٣٢ .

(٢) امين القضاة، معاملة غير المسلمين في الإسلام . بحث صادر عن المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان : ١٩٨٩، ج٢، ص٥٨٧ .

(٣) عبدالكريم زيدان، أحكام الذميين . عمان : مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢ ، ص٧٨-٧٩ .

(٤) الماوردي، حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية ، ص٥-٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرشحه مجلس الشورى موضع تهمة حتى يرجحه غير المسلمين . مضافاً إلى ذلك أنّ أهل الذمة في الدولة الإسلامية الحقيقية، سيراعون ما يتصف به عامة أهل دولتهم وهم يرون من دولتهم حسن المعاملة وطيب العشرة والمساواة التامة في الحقوق والواجبات . وهم أمام سماحة الإسلام لا نراهم إلاّ حريصين على انتخاب من يديم هذه السماحة ويحافظ عليها ويرعى لهم حقوقهم التي كفلها الإسلام، وبالتالي سينصب اهتمامهم على انتخاب الأصلح والأقوى لهيبة الدولة وقوتها .

٣- لكن هل يجوز لغير المسلمين الاشتراك في انتخاب رئيس الجمهورية في الوقت الحاضر؟. يقول الدكتور عبدالكريم زيدان[1]. (والظاهر لنا الجواز لأنّ رئاسة الجمهورية في الوقت الحاضر ليس لها صبغة دينية كما كانت في السابق فليست هي الخلافة التي يتحدث عنها الفقهاء وإن بقي لها شيء من معانيها. فرئاسة الجمهورية دنيوية وليست هي خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا. حيث ورد ما قاله الماوردي (فالخلافة كما قال العلماء هي حراسة الدين وسياسة الدنيا). وإذا كان الحال هكذا فلا نرى مانعاً من اشتراك غير المسلمين في انتخاب رئيس الجمهورية قياساً على منعهم من انتخاب الخليفة في العهود السابقة . وعلى هذا يجوز للذميين المشاركة في الإنتخاب لأنّهم غير ممنوعين من المشاركة في شؤون الدولة الدنيوية .

أما انتخاب ممثليهم في مجالس الأمة المختلفة وترشيح أنفسهم لعضويتها فنرى جواز ذلك بما يتناسب مع حجمهم، وأن يكون ذلك في دوائر خاصة بهم حتى لا يكون لهم أثر في انتخاب مرشح مسلم ضد آخر. ولأنّ المسلم ينتخب على أساس الكفاية الدينية ومنفعة الدنيا لدينه. والعضوية في مجالس الأمة تفيد إبداء الرأي وتقديم الخبرة والمشورة في الأمور الفنية، ومن أهل الذمة من لا تعدم خبرتهم في هذه المجالات. وكذلك فإنّ عرض مشاكل الناخبين من أهل الذمة ربما يكون أيسر من نوابهم لأمور يكون فهمها من قبلهم أوفق .

٤- إذا كانت الدولة الإسلامية وفق منهج القرآن والسنة ، فلا نرى مانعاً من إشراك أهل الذمة في البيعة العامة، ولكن عدم حصولها لا يعتبر سبباً في عدم انعقاد البيعة للخليفة فإذا قام المسلمون بإتمام البيعة بالأغلبية فالبيعة معقودة .

٥- لا يوجد نص ثابت يمنع أهل الذمة من ممارسة نشاطهم السياسي في الدولة الإسلامية. لكن بشرط احترام دستور الدولة التي يعيشون في كنفها وللدولة المسلمة إذا رأت خطراً منهم أن تمنعهم لأنّ المصلحة العامة أولى من المصلحة الخاصة. ومصلحة الدولة والأمة مصلحة عامة، ومصلحة الأقلية في ممارسة نشاط

(١) عبدالكريم زيدان ، أحكام الذميين ، ص٨٣-٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فرعي تعتبر مصلحة خاصة .

٦- لا يوجد نص يمنع أهل الذمة من تولي الوظائف التنفيذية في الدولة (أي أن يكون منفذ الأمر في دولة الإسلام)، إلا إذا اصطدمت تعييناتهم مع مفهوم شرعي، وفي هذا الإطار فإنّه لا يجوز توليتهم الولاية العامة أو سلطة التفويض أو إمارة الجند والقيادة لما يترتب على ذلك من تكاليف شرعية تستوجب وجود المسلم القائم بها. فإذا كان الإسلام يشترط شروطاً خاصة في المسلمين لتولي هذه الوظائف . وليس كل المسلمين أكفاء أو تتوفر بهم شروط الخلافة أو القيادة. فهي من باب أولى أن لا تتوفر في أهل الذمة. إذن فمن البديهي بل من العدل أن لا يلي أهل الذمة مثل هذه الوظائف لأنّ في ذلك ظلماً لهم وظلماً للدولة .

أما العمل في بقية وظائف الدولة فلا يوجد ما يمنعهم ما داموا يحملون جنسية الدولة التي يعيشون فيها، ويلتزمون بأحكام الإسلام العامة في عملهم بأمانة وإخلاص ولمصلحة الدولة والأمة .

٧- روي أنّ عمر رضى الله عنه حينما جاءه سبي من قيسارية جعل بعضهم في الكتابة وأعمال المسلمين. أما سليمان بن عبدالملك فأوكل الإشراف على بناء بيته ومسجد الجماعة في بلدة الرملة إلى كاتب نصراني[١] .

ثمّ إنّ الخلفاء المسلمين كانوا يعتمدون كثيراً على أهل الذمة خاصة في أمور الصناعة والطب والحرف المختلفة. حتى أن كتاب الغرب يعترفون بذلك ويعجبون له. يقول الأستاذ (أدم متز) ولم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال فكانوا صيارفة وتجاراً وأصحاب ضياع وأطباء وغير ذلك. وكان رئيس اليهود ببغداد هو طبيب الخليفة، ثم يقول في مقطع آخر من كتابه من الأمور التي تعجب لها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية. فكأن النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في دار الإسلام[٢] .

وتروي لنا كتب السيرة كيف أنّ الرسول *صلى الله عليه وسلم* كان قد استخدم أسرى بدر وهم من غير المسلمين ممن لم يكن معهم مال للفداء استخدمهم في تعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة .

والسيرة تشهد كيف أنّ رسول الله *صلى الله عليه وسلم* قد قبل وجود اليهود في المدينة وعقد معهم العهود والمواثيق، ولولا أنهم نقضوا هذه المواثيق ما أخرجهم رسول الله *صلى الله عليه وسلم* من المدينة .

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان . القاهرة : دار التوفيق ، ١٩٨٢ ، ص١٩٣-١٩٥ .

(٢) متز ادم ، الحضارة الإسلامية . تعريب محمد أوريدة ، بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ ، ص٨٦-١٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨- لقد أعطى الإسلام لغير المسلمين كامل حرياتهم الشخصية في التنقل والإقامة والخروج وأعطاهم كذلك حرية التعبير وحرية الرأى العام وحرية التعليم . كما ضمن لهم حرية الأمن والاستقرار ومنع الإعتداء عليهم أو على ممتلكاتهم. وقصة القبطي الذي اشتكى لسيدنا عمر رضى الله عنه بشأن بيته الذي حوله المسلمون إلى مسجد حيث أمر سيدنا عمر بإعادة بناء بيته، كما كانت هذه القصة خير شاهد على حرص الحاكم المسلم على أهل الذمة وأمنهم واستقرارهم. وذلك على اعتبار أنهم مواطنون لهم هذه الحقوق كما هي للمسلمين سواء بسواء .

لقد كان هذا هو الواقع السائد في المجتمع الإسلامي في عهد النبوة وما تلاها حتى حيد حكم الإسلام عن مسرح الحياة . لقد كانت وصايا الخلفاء وعلى رأسهم سيدنا عمر أمير المؤمنين حيث يوصي عمر بذمة الله وذمة رسوله، وأن يوفي بعهدهم وأن يقاتل من وراءهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم .

أما اليوم ونحن لا نرى أثر الإسلام في ديار الإسلام من حكم بغير ما أنزل الله وعلى الحال الذي نحن فيه ، نرى ما يتمتع به غير المسلمين من حقوق كاملة في السياسة والاقتصاد والاجتماع. حيث لم يعد هناك فرق بين المسلم وغير المسلم . بل أكثر من ذلك أن حقوق بعضهم قد زادت على ما يتمتع به المسلمون وهذا واقع أكيد. وفي المقابل نرى ما هو حال المسلمين في ديار غير المسلمين؟. فماذا لاقى المسلمون في الأندلس حال خروج المسلمين منها؟. وما يلاقيه المسلمون اليوم في فلسطين والهند وسيريلانكا والفلبين وفي دول أوروبا مثل البوسنة والهرسك إلا خير شاهد على سوء المعاملة التي يتعرض لها المسلمون نتيجة التعصب الأعمى للجنس والعقيدة والعنصر.

إنّ العالم اليوم ليحن إلى الأيام التي عاشت فيها الإنسانية جمعاء بأمن وأمان وكامل استقرار دونما تمييز على أساس الدين أو الجنس في ظل دار الإسلام . وكأن البشرية تدعو الله تعالى أن يعيد للإنسانية قيمتها التي حفظها الإسلام، وأن تبصر الإنسانية بحقيقة الوجود وما يقتضيه وجودها من إخلاص في سبيل سعادتها. قال تعالى: (قُل يا أَهْلَ الكِتابِ تَعالَوْا إلى كلِمةٍ سَواءٍ بيْنَنا وبَينكُم ألا نَعبُدَ إلا اللّهَ ولا نُشْرِكَ بِهِ شيْئاً ولا يَتّخِذَ بعضُنا بعضاً أرباباً مِنْ دونِ اللّهِ فَإنْ تَوَلّوْا فقُولوا اشْهَدُوا بأنّا مُسْلِمُون)[1]. ويقول تعالى: (لا يَنْهاكُمُ اللّهُ عَنِ الّذينَ لمْ يُقاتِلوكُم فِي الدّينِ ولمْ يُخْرِجُوكُم مِنْ دِيارِكُم أنْ تَبَرُّوهُم

(١) سورة آل عمران ، آية : ٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتُقْسِطوا إليْهِم إنَّ اللّهَ يُحِبُّ المُقْسِطين)[1] .

المطلب الثالث

حرية المرأة السياسية في الإسلام

عاشت المرأة فترة من الزمن وسط خِضمٍّ من الفوضى والاضطراب . وقد أرهقت البشرية فيها المظالم . واكتنفت جوانب الحياة الإنسانية فيها أشكال من الاستعباد والقهر بالغة المدى . وكانت شريعة الغاب المتمثلة في استحكام سيطرة القوة واستبدادها تمثل أساس التعامل البشري والسلوك الإنساني .

وكانت المرأة بحكم ضعفها موضعاً للمهانة والإذلال . فلم تعدُ كونها سلعة تنتقل بين الأيدي وحطاماً يورث مع المال والماشية ، تباع وترهن[2] . تعطي العصور الأولى صورة قاتمة لوجود المرأة فقد نظر اليونان لها على أنها من سقط المتاع وليس لها أية حقوق وكانت تباع وتشترى. وعند الرومان كان للزوج أن يحكم على زوجته بالإعدام، وعند اليهود كان ينظر للمرأة على أنَّها خادمة وليس لها أية حقوق ، وكان النصارى ينظرون للمرأة على أنَّها باب الشيطان -أما في جاهلية العرب فلم تكن المرأة ترث- وكان الرجال يئدون بناتهم وينظرون للنساء نظرة ازدراء واحتقار ويعتبرون المرأة مصدر العار[3] .

وعندما جاء الإسلام وضع أساس المساواة الحقة، فأكد في سبيل ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الناس جميعاً من نفس واحدة وجعل منها زوجها ثمَّ بث منها الخليقة فأقر وحدة الأصل والمنشأ، قال تعالى: (وَمِنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أنْفُسِكُم أزواجاً لِتَسْكُنُوا إلَيْهَا وجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً ورحْمَةً)[4]. كما اعترف الإسلام للمرأة بحقوقها الثابتة وأزال عنها ما لحق بها من ظلم وهوان لفَّ حياتها ووجودها زمناً طويلاً. فأعلى الإسلام منزلة المرأة وسوَّى بينها وبين الرجل في التعامل البشري (الحقوق والواجبات). يقول تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُم ربُّهُم أنّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنكُم مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى بَعْضُكُم مِنْ بَعْض)[5]. ويقول تعالى (ولَهُنَّ مِثْلُ الّذي عليْهِنَّ بالمعْروف)[6].

---

(١) سورة الممتحنة ، آية : ٨ .

(٢) عبدالوهاب الشيشاني ، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ، ص٦٨٣ .

(٣) أحمد عبدالعزيز الحصين، المرأة ومكانتها في الإسلام. القاهرة : مطابع المختار،١٩٨١ ، ص١١-١٦ .

(٤) سورة الروم ، آية ٢١ .

(٥) سورة آل عمران ، آية ١٩٥ .

(٦) سورة البقرة ، آية ٢٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول تعالى في باب تقرير الحقوق المادية للمرأة: (لِلرِّجالِ نَصيبٌ مِمّا تَرَكَ الوالِدانِ والأَقْرَبُونَ وَلِلنِّساءِ نصيبٌ مِمّا تَرَكَ الوالِدانِ والأَقْرَبُونَ مِمّا قَلَّ مِنْهُ أو كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضا)[1]. وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أسس العلاقة بين الجنسين حين قرر أن النساء شقائق الرجال .

هذا وقد أقرَّ الإسلام للمرأة الحرية في الأمور المتعلقة بالمصالح المادية كالتملك والعمل ونحوها، إلى جانب الحريات المتعلقة بالمصالح المعنوية للأفراد كحرية العقيدة والرأي والتعليم . كما أكد الإسلام للمرأة حقوقها وواجباتها إلا في بعض المسائل التي بينها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتي تختص بالمرأة كونها زوجة أو أماً لما جُبلت عليه من خصائص واستعدادات جسمية ونفسية تقتصر بسببها على الاضطلاع بمهام معينة. كالولايات العامة وقيادة الجند وولاية القضاء والإمارة والوزارة، بينما لم يحرم الإسلام المرأة من حريتها في المساواة أمام القضاء أو تولي الوظائف التي لا تتعارض مع خصائصها واستعداداتها كأنثى أو تقدح في عفتها .

المرأة والحرية السياسية :-

قبل الحديث عن هذا الموضوع يجدر بنا أن نتذكر الحقائق التالية :

١- اتفق علماء الأمة وفقهاؤها على أن تكاليف الشريعة قد فرضت لحفظ مقاصدها في الخلق . كما اتفقت الأمة على أنَّ الشريعة إنما أنزلت للمحافظة على الضروريات الخمسة وهي الدين والنفس والمال والنسل والعقل، وحفظاً لتلك المقاصد فقد أجمع العلماء على أن عقد الإمامة في الشريعة لمن يقوم بحراسة الدين وسياسة الدنيا واجب.

٢- يتفق جميع من ناقشوا هذا الموضوع من العلماء والعقلاء على أنَّ كلاً من المرأة والرجل يختلفان في الخصائص الجسدية والنفسية والاستعدادات الفطرية، فمثلاً لا يتمتع الرجل بعاطفة الأمومة الحانية على الوليد كما تتمتع بها المرأة. ولا تتمتع المرأة بصفات الرجولة وروح الجرأة والإقدام والاعتياد على الخشونة والكفاية للجهاد كما يتمتع به الرجل، فلم نسمع أن أمة قد اقتصرت في إعداد جيوشها على النساء دون الرجال بينما سمعنا أن أمماً اقتصرت في جيوشها على الرجال دون النساء .

٣- إنَّ قضية مطالبة المرأة في الأمور السياسية مثل الإنتخابات والترشيح قد برزت في فترة متأخرة ومن قبل الغرب . وهذا يثبت أنها لم تكن من القضايا

---

(١) سورة النساء ، آية ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأساسية للشعوب. ولو كانت قضية اشتراك المرأة في الإنتخاب والترشيح ومساواتها للرجال في تولي الولايات العامة من القضايا الأساسية أو في ذلك مصلحة للأمة لوجدنا ذلك في الإسلام ، ولما أغفلته أحكام الشريعة الإسلامية التي جاءت لتخلص البشرية من ظلمات لفت وجودها قروناً طويلة. قال تعالى: (يا أيُّها النّاسُ إنّا خلَقْناكُم مِنْ ذَكَرٍ وأُنثى وجَعلْناكُم شُعوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا)[1] .

٤- أقرت الدساتير المعاصرة إشراك المرأة في الإنتخاب والترشيح ولكن هل لنا أن نسأل ما نسبة عدد المرشحات بين الرجال والنساء؟. وكم هو إقبال النساء على تولية النساء؟. بل ما عدد النساء في برلمانات العالم ومجالسها التشريعية؟. بل العكس فمن الملاحظ أنّ إقبال المرأة على الإشتراك في الشؤون السياسية ضئيل للغاية . حتى في تلك الدول التي نصت دساتيرها على مساواة المرأة بالرجل في الحقوق السياسية .

إذن فالمطالبة بتسوية المرأة بالرجل في الحقوق السياسية بتوليها الولايات العامة أمر تشهد كل الظواهر المرئية والواقع العملي أنه أمر لا تهتم به المرأة ولا تقبل عليه. ومعنى ذلك أن إقراره سيكون تكليفاً غير مرغوب فيه من الناحية العملية وليس حقاً تترتب عليه مصلحة المرأة[2].

المرأة والولايات العامة :-

يقصد بالولايات العامة من يقوم بتوليها على أمر الدين والدنيا كالخلافة ووزارة التفويض والإمارة وولاية المظالم والجند وما شابهها. فبالنسبة للإمامة العظمى (الخلافة) فقد روى الماوردي بعدم جواز تقلد المرأة منصب الخلافة[3]. وذلك لما يقوم عليه منصب الخلافة من اختصاصات دينية وسلطات سياسية تخرج عن قدرة المرأة. فالخلافة يترتب عليها إمامة الصلاة والجمع -وتدبير أمور المسلمين والعمل على جلب المنافع والسفر لأيام وليال طوال، والسهر على خدمة الشعب وإعداد الجيوش للحفاظ على أمن الدولة والأمة. وذلك يتطلب ثبات العزم والرأي والظهور مباشرة أمام الناس. والمرأة لا يتأتى لها الظهور في مجالس الرجال ولا تخالطهم ولا تفاوضهم مفاوضة النظير للنظير. لأنها إن كانت فتاة حرم إليها النظر وإن كانت كبيرة فلا يجوز انفرادها بالرجال في مجالسهم وزحامها. إن عمل الولاية العامة يتطلب السفر الطويل وربما يتطلب الغياب عن البيت أيام وشهور، وهل يتأتي لإمرأة أن تفعل هذا في الإسلام؟. وسند ذلك من

(١) سورة الحجرات ،اية : ١١ .

(٢) عبدالوهاب الشيشاني ، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ، ص٦٨٥-٦٨٧ .

(٣) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٢٥ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى(ولا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُم عَلَى بعضٍ لِلرِّجالِ نَصيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وللنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ)[1]. هذه الآية تدل على التفضيل في استعدادات الخلقة وتقسيم العمل لكل من الرجل والمرأة على أساسها. ويقول تعالى في إشارة لما للرجل من قوامة على المرأة (الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُم على بعْضٍ وبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوالِهِم)[2]. ومقتضى هذه القوامة عند المفسرين تنحصر في كمال العقل والتمييز وكمال الدين والطاعة وبذل الزوج للنفقة والمهر لها، يقول ابن كثير (الرجل قيم على المرأة أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجّت- والله اختص النبوة بالرجال وكذلك الملك الأعظم)[3]. ويقول الزمخشري في كشافه (وآية القوامة دلالة على أنّ الخلافة تستطال بالعقل لا بالغلبة والقهر).

ويقول المودودي (إن قوامة الرجال على النساء لا تقتصر على البيوت بدليل أنه لم يذكر البيوت في الآية، فهي إذن قوامة على سائر البيوت كذلك . ثمّ إذا جعل الله قوامة على المرأة في بيتها فهل يظن بالله أن يجعل للمرأة قوامة على ملايين البشر في حين أنه لم يجعل لها على بيتها قوامة[4] .

كما استدل الفقهاء بأمر الله سبحانه لنساء النبي صلى الله عليه وسلم (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى)[5]. والعبرة بعموم السبب لا بخصوص اللفظ. واستدل الفقهاء أيضاً بآية الحجاب (وإذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ)[6] .

ومن السنة :

قوله صلى الله عليه وسلم (ما أفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة)[7]. وفيه يشير إلى أن الخلافة التي شرعها الله لقيادة الجماعة وحفظ مصالح الدين لا يمكن أن تؤتي نتائج الفلاح تلك إلا إذا نُصِّب من هو أهل لها وهو الرجل، وإن وليت امرأة فإنها تخفق في تحقيق تلك النتيجة. فإذا كانت أحكام الدين لم تشرع إلا لحفظ مقاصدها ومن تلك الأحكام تولية الولاة وتوزير الوزراء وغيرها. فلا يكون تنصيب غير الرجل إلا مخالفة لتلك الأحكام وتضييقاً لحسن الظن بتلك المقاصد.

(١) سورة النساء ، آية ٣٢ .
(٢) سورة النساء ، آية ٣٤ .
(٣) ابن كثير ، تفسير القران العظيم ، ص٤٩١ .
(٤) المودودي ، تدوين الدستور الإسلامي. تعريب عاصم الحداد، دمشق: دار الفكر العربي، ١٩٧٢م ، ص٨٧-٨٨ .
(٥) سورة الأحزاب ، آية : ٣٣ .
(٦) سورة الأحزاب ، آية : ٥٣ .
(٧) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستدل الفقهاء كذلك بحديث رسول الله عليه وسلم (إذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاؤكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها). رواه الترمذي .

ومن الإجماع :

ما جرى عليه زمن النبي *صلى الله عليه وسلم* والخلفاء الراشدون من عدم تولية المرأة ولاية عامة أو قضاء، كما لم يرد في تلك الفترة اشتراك المرأة في بيعة الخليفة ولم يطلب إليها أحد ذلك، ولو جاز اشتراكها أو عرفت منها الصلاحية لذلك لما مر مثل هذا الزمن الطويل دون توليتها أو دعوتها للبيعة. خصوصاً وأنّ هناك الفضليات من النساء اللاتي اشتهرن بالعلم ورجاحة العقل وحسن المشورة كامهات المؤمنين .

ومن العرف :

معلوم أنّ في المرأة عوارض خلقية وتكوينية تتكرر عليها بمقتضاها حالات خاصة، فكيف إذا أثقلت بمصالح ملايين البشر؟. كما أنّ مبدأ المصلحة يقتضي عدم تعريض المصلحة العامة للمفسدة والإضرار من جراء انشغال ولي الأمر بنفسه أو بشيء آخر، ومن جهة أخرى فإنّ المرأة تتحمل أعباء جساماً، ومن المنطق عدم تكليفها بما يزيد على طاقتها من الأعمال والإلتزامات، وذلك ما اقتضته حكمة الخالق سبحانه وتعالى الذي جعل أمر الإنفاق عليها وحمايتها من مسوؤليات الرجال. كالأب، الأخ، الزوج، الأولاد والأقرباء ومن ثمّ على الدولة وولي الأمر[1] .

المطلب الرابع

نظرة تحليلية للواقع السياسي

في الحديث عن الممارسة السياسية للمرأة في الدولة الإسلامية ذهب الفقهاء وأهل العلم في اتجاهين. الاتجاه الأول يجيز للمرأة تولي الولايات العامة عدا رئاسة الدولة[2]. كما جوز للمرأة حق الانتخاب والترشيح للمجالس التشريعية واستدلوا بأدلة ذهبوا إليها من القرآن والسنة وواقع التاريخ الإسلامي. والاتجاه الثاني هو الذي منع المرأة من تولي الولايات المختلفة أو العمل في السياسة وهو ما تعرضنا له في المطلب السابق. وأدلة الفريق الأول

(١) محمد أبو زهرة ، المجتمع الإنساني . ص٧٧ وما بعدها .

(٢) عبدالله بن كنون ، مفاهيم إسلامية . بيروت : مطبعة بيروت ، ١٣٨٤هـ ، ص٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي استندوا إليها يرون أنها .

من القرآن الكريم :

قوله تعالى (ولَهُنَّ مِثْلُ الَّذي عليْهِنَّ بالمعْروف)[1]. ويقولون هذه مساواة بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات وقوله تعالى (ولَقَدْ كَرَّمْنا بَني آدَمَ). وهذا يشمل الرجال والنساء، وقوله تعالى (وَالمؤْمِنُونَ والمؤْمِنَاتُ بَعضُهم أوْلِياءُ بَعضٍ يَأْمُرونَ بالمعْروفِ وينْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ)[2]. حيث يقولون إنَّ الآية قد نصت على اشتراك الجنسين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك يشتمل مفهوم الاشتراك في السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية. لإنها ليست في حقيقتها إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر .

كما يستدلون بقوله تعالى (يا أيُّهَا النَّبِيُّ إذا جَاءكَ المؤمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ على ألا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقْنَ ولا يَزْنِينَ ولا يَقْتُلْنَ أولادَهُنَّ ولا يَأتِينَ بِبُهْتانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أيْديهِنَّ وأرْجُلِهِنَّ ولا يَعْصِينَكَ في مَعْروفٍ فَبايِعْهُنَّ)[3] .

ومن السنة النبوية :

أن الصحابية أم هاني قد قبلت إجارة كافرين يوم فتح مكة وقد قبل الرسول *صلى الله عليه وسلم* إجارتها، وقالوا إنَّ النبي *صلى الله عليه وسلم* عمل بمشورة أم سلمة يوم الحديبية وسميت بذلك مستشارة الرسول . ومن الأثر ما روي عن معارضة إمرأة لرأي سيدنا عمر رضى الله عنه في تقليل المهور وإقرار سيدنا عمر لرأيها. ومنها أيضاً أنَّ السيدة عائشة قد خرجت مقاتلة على رأس جيش يوم الجمل . وعليه فقد بنى أصحاب هذا الرأي جواز تولي المرأة للولايات السياسية والعمل بها .

ونحن عندما نناقش هذه الآراء وننظر في رأي أهل العلم والفقه نستطيع أن نقول مايلي :-

لا تشتمل هذه الأدلة على دلالة قاطعة تفيد جواز تولي المرأة الشؤون العامة أو المشاركة في الأمورالسياسية، فالآية الكريمة (ولَهُنَّ مِثْلُ الَّذي عليْهِنَّ بالمعْروف). يرى المفسرون أنها إنما أنزلت في حدود بيان الحقوق الزوجية، وقد أوجب الله لهن من هذه الحقوق حسن الصحبة والعشرة والإنفاق وغيرها وهو

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٨ .

(٢) سورة التوبة ، آية : ٧١ .

(٣) سورة الممتحنة ، آية ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واجب الأزواج تجاههن في مقابل قيامهن بواجبات الأزواج عليهن. فالآية لا تدل على ما أرادوا، ويا ليتهم ذكروا نهاية الآية (وَلِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ). أما استدلالهم بقوله تعالى (والمؤمِنونَ والمؤمِناتُ بَعضُهم أولِياءُ بَعْض). فلا يصلح سنداً لتقرير الحقوق السياسية لأنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون إلا في الحدود المقررة لكل من الرجل والمرأة ، يقول الإمام القرطبي في تفسيره (إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رأسها الدعاء إلى الإسلام والقتال عليه ثمَّ إنَّ الأمر بالمعروف لا يليق بكل واحد وإنما يقوم به السلطان، إذا كانت إقامة الحدود إليه والتعزير برأيه والحبس والإطلاق له وكذلك النفي والتعذيب . وينصب في كل بلدة رجلاً صالحاً قوياً أميناً عالماً يأمر بذلك ويمضي الحدود على وجهها من غير زيادة أو نقصان)[1]. (وأما آية المبايعة فلا تقيم دليلاً على جواز تولي المرأة الولايات السياسية بل كان الأمر عبارة عن عهد أخذه الرسول على النساء بعدم مخالفة أوامر الله وأحكامه والإلتزام بمجانبة الموبقات)[2]. وليس في الآية التي وردت نص على تولي الولايات العامة أو الحقوق السياسية التي يرمي إليها البعض. ولا تعدوا تلك المبايعة عن كونها امتحاناً يستوثق به العهد مع النساء على الإسلام في طاعة الله ورسوله .

وأمَّا استدلالهم من السنة بحادثة أم هاني يوم فتح مكة فلا تدل إلى ما ذهبوا إليه من المساواة التامة في الشؤون السياسية بين المرأة والرجل، فلو حصل هذا الأمر مع أي من أتباع الدولة الإسلامية لا أظن رسول الله ينقضه خاصة وأنه موافق لآية في القرآن الكريم (وإنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكينَ اسْتجارَكَ فَأَجِرْهُ حتّى يَسْمَعَ كَلامَ اللّه)[3]. فهو عمل بكتاب الله وليس فيه دلالة على تخصص في عمل السياسة .

وأما استدلالهم بخروج السيدة عائشة للقتال فقد كان اجتهاداً منها ولم يوافقها جمع من الصحابة على ذلك ولم يقروا خروجها، بل أنكروا عليها ذلك وقد اعترفت رضي الله عنها بخطئها في ذلك الخروج وندمت عليه واستغفرت وتابت[4] .

وبالنظر إلى الآراء السابقة في مجال ولاية المرأة أو عدم ولايتها فإننا

---

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج٤ ، ص٤٧ .

(٢) فتوى علماء الأزهر عام ١٩٥٢ ، منشورة في رسالة الإسلام ، العدد الرابع ص٢٨٤ .

(٣) سورة التوبة ، آية ٦ .

(٤) مصطفى السباعي ، المرأة بين الفقه والقانون . بيروت : المكتب الإسلامي ، ص٢٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في مجال الترجيح بين الرأيين نرجح الرأي القاضي بعدم جواز تقلد المرأة للولايات العامة كالخلافة والوزارة والقضاء وإمارة الجهاد وإمارة الأقاليم وولاية المظالم والحسبة. وذلك بسبب ظروف المرأة التكوينية الخلقية ونفسيتها الشفافة المتقلبة. نعم لقد كانت نساء الصحابة يخرجن مع الرجال في معارك الرسول صلى الله عليه وسلم يضمدن الجرحى ويسقين العطشى، وأسهمت المرأة في بداية الدعوة الإسلامية بقسط وافر من التضحية والفداء كما فعلت أسماء بنت أبي بكر. وكانت النساء تحضر خطبة الجمعة والدروس والمواعظ لكن كل هذا لا يدل على إنشغال المرأة بالسياسة بمفهومه العصري، يقول الشيخ مصطفى السباعي (إن من زعم أن حادثة البيعة تدل على اشتغال المرأة المسلمة بالسياسة فقد ركب متن الشطط وحمّل وقائع التاريخ مالا تحتمل)[1]. ولعلنا نفهم سر عدم اشتغال المرأة بالسياسة في جميع أدوار التاريخ الإسلامي مع ما نالته من حقوق تمكنها من العمل بالسياسة وغيرها، ولكنها أدركت واجبها الأول في الحياة وهي أن تكون أمّاً وربة بيت وقائمة على الثغر الأكبر في قيام المجتمع الإسلامي، ويشبه موقفها موقف المرأة السويسرية التي نالت حقوقها وتساوت مع الرجال في جميع الحقوق وهي مع ذلك لا تستعملها لأنها تفضل أن تتفرغ لبيتها وأولادها علي أنّ تخوض معارك السياسة بخصوماتها ومشاكلها[2]. يقول الدكتور السباعي في موضوع منح المرأة حق الإنتخاب، (رأينا بعد المناقشة وتقليب وجهات النظر أنّ الإسلام لا يمنع من إعطاء هذا الحق، فالإنتخاب هو اختيار الأمة لوكلاء ينوبون عنها في التشريع ومراقبة الحكومة. والمرأة في الإسلام ليست ممنوعة من أن توكل أحداً للدفاع عن حقوقها والتعبير عن إرادتها كمواطنة في المجتمع، وكان المحظور في الإنتخاب هو الاختلاط ولكن باستحداث مراكز خاصة للنساء حيث تذهب المرأة وتؤدي واجبها ثمّ تعود إلى بيتها دون الاختلاط فلا بأس في ذلك. ونرى أنّ هذا الرأي مناسب في هذا الموضوع والله أعلم فلا نجد ما يمنع المرأة من حرية الإنتخاب) .

أمّا في موضوع النيابة فيقول السباعي رحمه الله[3]. قبل الإجابة على السؤال يجب أن نعرف طبيعة النيابة عن الأمة. إنها لا تخلو من عملين: الأول التشريع (تشريع الأنظمة والقوانين). والثاني المراقبة (مراقبة السلطة في تصرفاتها وأعمالها). أما التشريع فليس في الإسلام ما يمنع أن تكون المرأة

---

(١) مصطفى السباعي ، المرأة بين الفقه والقانون . بيروت : المكتب الإسلامي ، ص١٥١ .

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٢ – ١٥٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص١٥٥ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مشرعة لأنّ التشريع يحتاج إلى العلم مع معرفة حاجات المجتمع وضروراته، والإسلام يعطي حق العلم للمرأة والرجل على السواء . أمّا مراقبة السلطة التنفيذية فإنه لا يخلوا أن يكون أمراً بالمعروف أو نهياً عن المنكر والرجل والمرأة في ذلك سواء. وعلى ذلك فليس في نصوص الإسلام الصريحة ما يسلب المرأة أهليتها للعمل النيابي كتشريع ومراقبة . ولكننا إذا نظرنا إلى الأمر من ناحية أخرى نجد أنّ مبادئ الإسلام وقواعده تحول بين المرأة وبين استعمالها لهذا الحق لا لعدم أهليتها بل لأمور تتعلق بالمصلحة الإجتماعية ، فرعاية الأسرة بحاجة إلى تفرغ المرأة. واختلاط المرأة بالأجانب محرم وبخاصة الخلوة بالأجنبي ، وكشف المرأة لعورتها محرم، وسفر المرأة لوحدها خارج بلدتها دون محرم حرام، وهذه الأمور الأربعة التي تؤكدها نصوص الإسلام تجعل من العسير إن لم يكن من المستحيل على المرأة أن تمارس النيابة في ظلها، ففي النيابة ترك للبيت أكثر النهار وربما الليل وفيها الاختلاط في المجلس وفي غيره ، وفي النيابة ضرورة كشف العورة أحياناً وفيها السفر للخارج وفيها المراجعة المستمرة للدوائر العامة، وفيها مراجعة الناس وجدالهم والصبر على أذاهم. مثل هذه الأمور لا يجرؤ مسلم أن يقول بإباحتها في مجتمعاتنا، فالمرأة إن كانت بحسب أهليتها فالإسلام لا يمنعها من النيابة ولكن بحسب طبيعة النيابة ووقوع المرأة في الحرام فإنّ الإسلام يمنعها ، والإسلام يجعل للمصلحة العامة الاعتبار الأول في تشريعه. فما تقتضيه المصلحة العامة أباحه وما لا تقتضيه منعه أو حذر منه، وإذا أردنا أن نناقش نيابة المرأة من حيث المصلحة العامة نرى مضارها أكثر من منافعها .

ومن هذه المضار إهمال البيت وإهمال شؤون الأولاد والزوج وإدخال الخصومة الحزبية إلى البيت، وكيف تكون المرأة مع عاطفتها في الدعاية الإنتخابية وإحتمال الأذى، ثمّ ماذا تفعل بالأمومة ، هل نحرم النائبة أن تكون أمّاً وذلك ظلم لفطرتها وغريزتها وظلم للمجتمع نفسه، أو نسمح لها بذلك على أن تنقطع عن عملها النيابي لمدة شهرين أو ثلاثة كما تفعل المدرسات والموظفات .

ويضيف السباعي قائلاً في هذا المجال ، أنا لا أفهم ما هي الفائدة التي تجنيها الأمة من نجاح بضعة مرشحات في النيابة. أيفعلن ما لا يستطيع الرجال أن يفعلوه؟. أيحللن من المشاكل ما يعجز الرجال عن حله؟. إن المؤمل هو أن يطالبن بحقوقهن، فإن كانت الحقوق قد كفلها الإسلام فكل رجل مطالب بالدفاع عنها. وإن كانت الحقوق لا يقرها الإسلام فلن تستجيب الأمة لهن وهي تحترم دينها وعقائدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقولون إنّ الفائدة هي إثبات كرامة المرأة وشعورها بإنسانيتها ونحن نسأل . هل إذا منعن من ذلك كان دليلاً على أنه لا كرامة لهن ولا إنسانية؟. أليس في قوانيننا ما يمنع رجال وزارة الدفاع من الإنتخاب، فهل يعني ذلك أنهم دون المواطنين في الكرامة والإنسانية؟. إن قوانين المجتمع أحياناً قد تسمح لفئة دون فئة بالعمل في وظيفة ما، ومصلحة الأمة كذلك قد تسمح لفئة بالعمل في قطاع معين، وفئة أخرى تمنعها فهل في ذلك انتقاص لكرامتهم وحد لحرياتهم؟. ولماذا لا يعتبر عدم السماح للمرأة بالعمل السياسي من قبل المصلحة التي تقتضيها سعادة الأمة ؟. وهل تفرغ الأم لواجب الأمومة أقل خطراً من تفرغ الجندي لواجب حراسة الوطن؟.[1] .

لقد وفدت إلينا عدوى اشتغال المرأة بالسياسة من الغرب، ومع أنّ الغرب لم يعط هذا الحق للمرأة إلا بعد مئات السنين من نهضته فنحن نتساءل ماذا كانت النتيجة لهذه التجربة عند الغربيين؟. إننا نرى والله أعلم أن الرأي الصريح في موضوع اشتغال المرأة في السياسة يقف الإسلام منه موقف النفور الشديد إن لم يكن موقف التحريم -وليس ذلك لعدم أهلية المرأة لذلك بل للأضرار الإجتماعية والاقتصادية وكذلك السياسية التي ستنشأ عن ذلك، وللمخالفات الصريحة لآداب الإسلام وأخلاقه وعقائده، إن اشتغال المرأة بالسياسة يعني في أقل الكلام تغييبها عن أهم واجباتها في إعداد الأسرة وإعداد البيت وإعداد المجتمع . وغيابها عن هذه الواجبات يعني تدمير المجتمع بأكمله. إنّ الرجل عاجز عن القيام بواجبات المرأة ولا نرى رجلاً قادراً على أن يحل محل المرأة في عملها. وفي المقابل لا نرى حاجة أو داعياً لدفع المرأة أن تحل محل الرجل .

لقد كرم الإسلام المرأة ومنحها حقها السياسي في الحدود التي بينها الإسلام. فالإسلام لا يمنعها من إبداء رأيها في الحدود الشرعية كما لا يمنعها من المشاركة في الانتخاب، ففي ذلك تعبير عن رأيها ومنحها حق الوظيفة في الحدود التي تحافظ على إنسانيتها وكرامتها. ونرى واجباً أن نقول إن المحافظة على كرامة المرأة وإنسانيتها ومشاعرها تعتبر من أعظم الحقوق السياسية والإجتماعية التي يجب أن نسعى للمحافظة عليها .

---

(١) مصطفى السباعي ، المرأة بين الفقه والقانون ، ص١٥٦-١٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

الحرية والتعددية السياسية في الإسلام

التعددية في جوهرها تعني التسليم بالاختلاف والتسليم به واقعاً لا يملك عاقل إنكاره ولا تملك سلطة أو أحد حرمان المختلفين منه، ويكون التعدد والاختلاف في أمور الحياة المختلفة ومنها السياسية والاقتصادية والدينية والعرقية واللغوية[1].

وتاتي التعدديه بمعنى الاختلاف في أنواع الخلق قال تعالى (وَهُوَ الّذي أنْشأكُم منَ نفْسٍ واحِدةٍ فَمُسْتقَرٌّ ومُستَوْدَعٌ قدْ فَصّلْنا الآياتِ لِقَومٍ يَفْقَهُون، وهُوَ الّذي أنْزَلَ منَ السّماءِ ماءً فَأخْرَجْنا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ فأخْرَجْنا منْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَراكِباً ومِنَ النّخْلِ مِنْ طلْعِها قِنْوانٌ دانِيَةٌ وجَنّاتٌ منْ أعْنابٍ والزّيتونَ والرُّمّانَ مُتشابِهاً وغيرَ متَشابِهٍ أنْظُروا إلى ثَمَرِهِ إذا أثمرَ ويَنْعِه إنّ في ذلكَ لآياتٍ لِقومٍ يؤمِنُون)[2]. الآيات الكريمة تبين أن أصل الخلق البشري من نفس واحدة، ومع ذلك نرى الاختلاف في الخلق والأخلاق، وكذلك خلق الله للنباتات كيف أن الماء واحد والأرض واحدة ومع ذلك يكون الاختلاف والتشابه. إذ هي سنة الله في الوجود أن يكون الاختلاف. وكذلك يكون التعدد في نوع الإنسان وإنتمائه ومستوى أدائه لواجباته أجلى وأوضح. يقول تعالى (وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السّمواتِ والأرضِ واخْتِلافُ ألسِنَتِكُم وألوانِكُم إنّ في ذلكَ لآياتٍ للعالِمين)[3]. ويقول الله تعالى (ألَمْ تَرَ أنّ اللّهَ أنزلَ مِنَ السّماءِ ماءً فأخْرَجْنا بِهِ ثمَراتٍ مُخْتَلِفاً ألْوانُها ومِنَ الجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وحُمْرٌ مختلِفٌ ألْوانُها وغَرابِيبُ سُود ، ومِنَ النّاسِ والدّوابِّ والأنعامِ مُخْتلفٌ ألْوانُها كذلِكَ إنّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ العُلماءُ إنّ اللّهَ عَزيزٌ غفورٌ)[4].

ويقول الله تعالى (يا أيُّها النّاسُ إنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذكرٍ وأنْثى وجَعَلْناكُم شُعوباً وقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إنّ أكْرَمكُم عِنْدَ اللّهِ أتْقاكُم إنّ اللّهَ عَليمٌ خَبِيرٌ)[5] . في هذه الآية يعبر القرآن الكريم بلفظي أكرم وأتقى وهما يدلان لغة على وجود التقي والكريم أي يدلان على أن الاختلاف حقيقة واقعة وأن التعدد في مراتب التقدير الرباني لا يعني قبول أهل مرتبة واحدة منها بدون أهل سائر المراتب. أعني مراتب التقى والكرامة

---

(١) محمد العوا وآخرون، المستقبل الإسلامي. مركز دراسات المستقبل الإسلامي: لندن، ١٩٩١، ص٧٣.

(٢) سورة الانعام ، الآيات ٩٨ ، ٩٩ .

(٣) سورة الروم، اية ٢٢ .

(٤) سورة فاطر ، الآيات ٢٧، ٢٨ .

(٥) سورة الحجرات ، اية ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمترتبة على صدق الإيمان وموضوع اليقين)[1] .

وسوف نتناول في هذا الفصل المباحث التالية.

المبحث الأول : مفهوم التعددية السياسيةفي الإسلام.

المبحث الثاني : مظاهر الحرية السياسية في الإسلام.

المبحث الثالث : القيود والضمانات للحرية السياسية في الإسلام .

(١) محمد العواء المستقبل الإسلامي ، ص٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول

مفهوم التعددية السياسية في الإسلام

ينظر بعض الناس لمفهوم التعددية السياسية كمفهوم عصري حديث. حيث من الشائع في الكتابات السياسية والقانونية وفي معظم الدراسات الاجتماعية أن عهد الإنسان بالحرية والحقوق الإنسانية والسياسية قد بدأ مع تواريخ محددة، فالبعض يرجعها إلى الثورة الفرنسية والبعض يذكر إعلان حقوق الإستقلال الأمريكي الصادر عام ١٧٧٦م .

إن ما يدور في الكتابات السياسية في مجال الحديث عن حقوق الإنسان بأنها تعود لنتائج الثورة الفرنسية أو الأمريكية أو ما شابهها قول فيه إجحاف . ومن الإنصاف أن نقول بأنّ الحديث عن الحرية والتعددية السياسية كان مفهوماً قديماً وإن لم يأخذ اللفظ ذاته. فالشرائع السماوية كانت سباقة في مجال الحرية وحقوق الإنسان، كما أن العالم قد عرف حضارات قديمة كان لها السبق في وضع حجر الأساس لمفهوم التعددية السياسية مثل الحضارة الإغريقية القديمة. وحديثاً ومع ظهور الصحوة الإسلامية بدأ البحث عن دور الإسلام كدين ودولة وفكر استطاع أن يخرج الأمة من الظلمات إلى النور. قال تعالى (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ). ومجال الحديث لا يزال بحاجة إلى المزيد من الأبحاث لبيان دور الإسلام والمسلمين في الوقوف في وجه الظلم والاستبداد وبيان الثروة الفكرية الهائلة في مجال الحرية والتعددية السياسية التي أباحهاالإسلام ورعاها. ومن الإنصاف أن نذكر للحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي دورهما في هذا المجال. وسنتناول في هذا المبحث مفهوم التعددية السياسية من خلال المطلبين التاليين.

المطلب الأول : مفهوم التعددية السياسية من منظور إسلامي .

المطلب الثاني : المعارضة السياسية وحقها في الإسلام .

المطلب الأول

مفهوم التعددية السياسية من منظور إسلامي

يبدو الفكر الإسلامي لبعض المفكرين على غير حقيقته أو في غير صورته الصحيحة، ويتصور البعض منهم أنّ الفكر الإسلامي يرفض التعدد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياسي ويتبنى النظرة الواحدية أو الأحادية التي تقضي في غالب الأحوال إن لم نقل كلها إلى أن تكون أداة لحكم إستبدادي ظالم، ولطغيان دائم، وفي مقال للدكتور محمد سليم العوا بعنوان التعددية السياسية من منظور إسلامي يرى أن سبب ذلك يعود لسبب من ثلاثة أسباب[1] :

الأول : أن البحث في النظم الإسلامية والفكر الإسلامي لا يزال في مجمله مقيداً بتقليد كتابات الأقدمين ينقل منها ويصدر عنها ويجعل أصولاً يقيس عليها ويعتبر بها. وهذه الكتابات لها خصوصية في زمانها ومكانها .

والثاني: أن البحث في النظام الإسلامي والفكر الإسلامي لا يزال في مجمله يدور في فلك وقائع التاريخ الإسلامي والذي يؤخذ من جانبيه، إما الجانب المشرق المضيء وإما الجانب المليء بالحوادث السيئة .

الثالث : إن الدعاة لإصلاح أوضاعنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتردية لا يعنون ببيان حقائق الموقف الإسلامي في شؤون التنظيم السياسي لمجتمعنا. ويتجنبون التعامل مع قضاياه الملحة ويكتفون بالدعوة إلى عقيدة الأغلبية التي يدعونها وقلما يجدون أحداً يعترض على داع إلى عقيدته .

ولذلك احتاج موقف الفكر الإسلامي من التعددية السياسية إلى بيان متجدد حتى لا يكون من أثر الأسباب الثلاثة أن يفهم الناس أن الدعاة إلى إصلاح مستند إلى الإسلام يقفون ضد التعددية السياسية أو يساندون الطغيان أو يمهدون لإستبداد جديد -قديم، يلبس لباس الدين ويمشي به، ولا يجوز للدعاة إلى إصلاح سياسي يستند إلى الإسلام أن تغيب عنهم حقيقة يشهد بها تاريخ البشرية في مختلف أديانها بأن أسوأ صور الظلم وأفدحها وأبشع حالات الطغيان وأقساها ما كان مستنداً إلى نظرة دينية يساء فيها إستخدام نصوص الدين الصحيحة بتأويلها على وفق أهواء الظالمين. أو يدس فيها على الدين ما ليس منه لتحقيق نزواتهم والقضاء على خصومهم. وهذه الحقيقة تجعل بيان حقيقة الموقف الإسلامي من التعددية باعتبار حق الاختلاف حقاً إنسانياً أصيلاً ألزمُ الآن منه في أي وقت مضى .

والمصادر الإسلامية المتوفرة لم ترسم للناس طريقاً معيناً لبلوغ الأهداف السياسية المقررة في الإسلام، فالقرآن الكريم والسنة النبوية لم يحددا نظاماً معيناً للحكم ولكنهما حددا القيم الإسلامية التي يجب أن تتمسك بها الأمة وتحاكم الحاكمين إليها. فإذا كان إختيار الحاكم هو حجر الأساس في تنظيم الدولة حتى يومنا هذا فإنَّ الإسلام اكتفى بتقرير مبدأ الشورى في إختياره، ولا

(١) محمد العوا ، المستقبل الإسلامي ، ص٧٤ - ٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توجد طريقة ثابتة ومحددة لتحقيق هذا الاختيار، فكل زمن تظهر فيه طرقه الخاصة لتحقيق هذا الاختيار في ظل الشورى التي أقرها الإسلام [1].

فمن خلال الحديث عن الحرية السياسية يأتي بداهة الحديث عن معنى التعددية السياسية والتي هي في جوهرها تعني الاختلاف . والاختلاف يُفيد تعدد الآراء. وقد تطور هذا المفهوم اليوم حتى أصبحت صورته متمثلة بوجود الأحزاب السياسية. حيث يكون لكل حزب سياسي أهدافه ومبادئه وأساليبه. وأصبح من شروط الدولة لتأسيس أي حزب سياسي هواحترام دستور الدولة واحترام شرعيتها، ونظراً لأن هذا المفهوم لم يكن ممارساً بصورته العصرية في عصر الإسلام الأول أنكره الكثير من مفكري المسلمين. خاصة وهم يرون الممارسات غير الصحيحة بحق الأفراد والجماعات جراء السماح بتعدد الأحزاب، وكذلك نشوء الأحزاب العلمانية التي لا تؤمن بالدين بل إن بعضها لا يعترف بوجود الدين. من هنا كان الرأي القائل: بوجوب معارضة وجود الحزبية السياسية في الإسلام. غير أنّ هذا الراي لا يوجد له ما يبرره حيث سنرى بأن هذا النص لا يوجد ما يحرمه بنص القرآن الكريم أو السنة النبوية المشرفة .

إن الحديث عن التعددية السياسية يقود المشتغلين بالفكر السياسي والمهتمين به أن يواجهوا بعضاً من الشبهات التي من أهمها . مسألة التعددية السياسية وأن الإسلام لا يعرف الحزبية، والمسألة الثانية هي أنّ القرآن ذم الحزبية والفرقة والتشيّع[2].

وفي الرد على المسألة الأولى وهي أنّ الإسلام لا يعرف الحزبية فهو قول لا معنى له إذ لا دلالة في العدم، وهذا يعني عدم ورود نص مقرر له في أصول الإسلام أو أن المسلمين لم يمارسوه، فإذا كان المراد عدم ورود نص مقرر له، فإن سكوت النص يعني إباحة السكوت عنه ما لم يكن من الأمور التي لا يستقل العقل بإدراكها (كالعبادات). فعندئذ يكون سكوت النصوص دليلاً على عدم مشروعيتها، ومعروف أن مسألة التعددية السياسية ليست من نوع ما لا يستقل العقل بإدراك وجه المصلحة فيه، وليست من نوع العبادات والكفارات وما جرى مجراها .

وإذا كان المقصود أن المسلمين لم يمارسوه فإنّ ذلك لا دلالة فيه إن صح وهو غير صحيح، فقد عرف التاريخ الإسلامي عدداً من الفرق السياسية كالخوارج والشيعة والمعتزلة وكل فرقة خرجت منها فرقٌ عدة. ولم يقل أحدٌ إنهم

---

(١) محمد العوا، في النظام السياسي للدولة الإسلامية ، ص٦٩-٧٢، ص١٤١ .

(٢) محمد العوا، في النظام السياسي للدولة الإسلامية ، ص٦٩-٧٢، ص١٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بتحزبهم السياسي قد خرجوا عن الإسلام أو خالفوه.

إن السكوت التاريخي لا يفيد حكماً بالإباحة ولا بالمنع، كما أنّ أموراً قد قررها الصحابة مع قرب عهدهم برسول الله *صلى الله عليه وسلم*، ولم يكن لها في عهده سابقة. فما بالنا بحال المسلمين اليوم بعد كل الذي أصابته البشرية أو أصابها من تطور وتغير. فلا يوجد ما يوجب المنع لما لم يرد نص بتحريمه. إن التعددية السياسية وظهور الأحزاب الغيورة على مصلحة الأمة وعقيدتها والمنافسة في هذا المجال لا يوجد ما يمنع نشوءها وتطورها.

أما المسألة الثانية : وهي أنّ القرآن ذمّ الحزبية والفرقة والتشيع في مثل قوله تعالى (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بينَهُم زُبُراً كُلُّ حِزبٍ بِمَا لَديهِم فَرِحُون)[1]. وقوله تعالى (فَاخْتَلَفَ الأَحْزابُ منْ بينِهِم فَوَيْلٌ للّذينَ كَفَروا منْ مَشْهَدِ يومٍ عَظِيمٍ)[2]. والواقع أن هذه الشبهة (كما يقول بعض الكتاب) مجرد لعب بألفاظ القرآن الكريم، لأن القرآن نفسه قد ذكر الأحزاب على سبيل المدح كما ذكرها في معرض الذم فقوله تعالى (وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ ورسولَهُ والّذين آمَنوا فَإنَّ حِزبَ اللّهِ هُمُ الغَالِبُون)[3]. وقوله تعالى (أولئكَ حِزْبُ اللّهِ ألا إنَّ حزبَ اللّهِ هُمُ المفْلِحُون)[4]. وقوله تعالى (ثُمَّ بَعَثناهُم لِنَعْلَمَ أيُّ الحِزبينِ أحْصى لِمَا لَبِثُوا أمَدا)[5]. كل هذه الآيات تدل على أنّ الله يمتدح الحزب الموالي له ويثني عليه، فيصفها بأنها هي المفلحة وأنها هي الغالبة في نهاية المطاف . وهذا يدل على إفتراض وجود أحزاب أخرى غير موالية لله تعالى.

إنّ قصر الإستشهاد على إستخدامات القرآن الكريم للفظ الحزب في معرض الذم أمر لا يسوغ في منطق العلم ولا تستقيم النتائج التي تترتب عليه في صحيح الإستدلال .

ومن هنا يمكننا أن نخلص إلى نتيجة مفادها أن الأحزاب التي تدعوا إلى خير وحق ويؤدي وجودها إلى تحقيق مصالح الناس ومصلحة الدين فإنها تدخل في نطاق قوله تعالى عن المؤمنين (أولئكَ حِزْبُ اللّهِ ألا إنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ المفْلِحُون). وأنّ الأحزاب التي تقوم على محادّة الله ورسوله تدخل في وصف الله سبحانه وتعالى للضالين بأنهم حزب الشيطان .

---

(١) سورة المؤمنون، اية ٥٣ .
(٢) سورة مريم، اية ٣٧ .
(٣) سورة المائدة ، اية ٥٦ .
(٤) سورة المجادلة ، اية ٢٢ .
(٥) سورة الكهف ، اية ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّه لا تثريب على دولة إسلامية إن هي سمحت وأباحت في دستورها بتعدد الأحزاب، وأنه يجوز لها بل يجب عليها أن تشترط على هذه الأحزاب الالتزام بقيم الإسلام وتعاليمه وأحكامه ثم تدَعُها بعد ذلك وما تدعو إليه من برامج سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها. وليس في ذلك ما يخالف أحكام الإسلام أو نصوصه القطعية. إن العالم اليوم في تغير مستمر والنظام العالمي بما فيه من أنظمة مختلفة يسعى حثيثاً لمواكبة هذا النظام الجديد، ولابد لأية دولة تريد مواكبة العالم بما فيه من تقدم وإختراع أن تكيف نفسها بما يتلاءم وهذا النظام. لأنها لا تستطيع أن تعيش بمعزل عن العالم وحدها، ولكنها في نفس الوقت لها أن تشترط على نظامه الجديد أن يحترم مبادئها وعاداتها وتقاليدها وعقيدتها. خاصة إذا علمنا أن النظام السياسي في الإسلام يعتبر نظاماً فريداً من نوعه في مجال احترامه وتقديره لحقوق الإنسان السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وهو النظام المميز في جمعه بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة .

إن وجود الأحزاب السياسية في الظروف الحالية للمجتمعات الإسلامية ضرورة لتقدمها ولحرية الرأي فيها ولضمان عدم استبداد الحاكمين بالمحكومين، وهو استبداد واقع في جلّ المجتمعات أو كلها[1].

إن فقه القواعد الأصولية الإسلامية يقوم من بين ما يقوم عليه على قاعدة عظيمة. (مالايتم الواجب إلا به فهو واجب) فهل يمكن أن تقوم قائمة لنظام سياسي إسلامي في العصر الحاضر وهو ينكر على الناس اختلاف الرأي (وهو فطرة)، أو هو ينكر على الناس حرية التعبير عن الرأي (وهو حق أزلي)، أو ينكر على الناس التجمع لبيان ما يرونه حقاً. أو ما يعتقدونه باطلاً (وهو أمر رباني)؟.

إن الأنظمة السياسية في العالم اليوم تقوم فيما تقوم عليه من قواعد بالسماح بتعدد الأحزاب في ظل احترام الدستور، ونرى أنّ النظام السياسي في الإسلام في ظل احترام الدستور (دستور الدولة الإسلامية). والتقيد بمبادئ هذا الدستور ونصوصه لا يمانع في وجود تعددية سياسية تقوم على تعدد الأحزاب .

إن منطق المصلحة السياسية ومنطق القواعد الفقهية والقراءة الصحيحة للنصوص والتاريخ يكون كله شاهداً على ضرورة السماح بالتعددية السياسية من المنظور الاسلامي[2].

---

(١) محمد العوا، المستقبل الإسلامي، ص٨١ - ٨٢ .

(٢) المصدر السابق، ص٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ الطريق الوحيد لضمان الحريات العامه في عصرنا هذا هو طريق الأحزاب، وليس ضرورياً أن ننقل الصورة الحزبية الموجودة في الغرب إلى بلادنا كما هي دون تمييز، ولكن من الممكن نقلها بعد دراسة وتنظيم وإخراجها بصورة جديدة تتفق مع مبادئ الإسلام وتضمن سير العدالة والحرية والديموقراطية في ظله، كما يمكن تنظيم هذا العمل الحزبي بحيث يأخذ أحد الاتجاهات الثلاثة. (المتشدد في تطبيق الأحكام والوسط والمتساهل). وهذا أمر نلاحظه في جميع الاتجاهات الحزبية العالمية، ولعل هذا ليس جديداً في الإسلام فقد كان سيدنا عمر يمثل الجانب المتشدد وأبو بكر يمثل المتساهل واللين وكان الرسول عليه السلام يمثل الوسط بينهما. وكان كل فريق يبدي رأيه وكان الرسول يأخذ برأي الأغلبية، إنّ الإسلام لن يضره أن تكون هناك فئات من المسلمين تتراوح بين اليُسر والشدة في الله ، إنّ الشدة في الله حق، واللين في الله حق واختلاف المسلمين في الحق رحمة[1]. وهذا هو رسول الله *صلى الله عليه وسلم* يقول: (إن الله ليلين قلوب أقوام حتى تكون ألين من اللبن). (وإنّ الله ليشدنّ قلوب أقوام فيه حتى تكون أشد من الحجارة). (إن مثلك يا أبا بكر مثل ميكائيل ينزل بالرحمة ومثلك في الأنبياء مثل إبراهيم حيث يقول (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). ومثلك يا عمر في الملائكة مثل جبريل نزل بالشدّة والبأس والنقمة على أعداء الله). ومثلك في الأنبياء مثل نوح إذ قال (رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً). فماذا يمنع أن تكون هناك أحزاب بهذه الاتجاهات في ظل الحكم الإسلامي والنظام الإسلامي. وليس القصد بالسماح بتعدد الأحزاب هنا أن نسمح مثلاً بحزب شيوعي أو حزب علماني أو حزب يمثل نوعاً من الطبقية. لأن هذا نوع من إحداث الفتنة في ظل الإسلام[2]. ولكن المقصود بالأحزاب في ظل الإسلام هو قيام الأحزاب التي تؤمن بالإسلام وتدافع عنه بل تتناحر في سبيل رفعة الإسلام وقوته. وأحزاب تقوم بمراقبة الحاكم المسلم من الإنحراف والفساد وتحسن المراقبة والنصح والتوجيه. وتعمل جهدها على صيانة سمعة الإسلام الذي تنتمي إليه .

وإذا كان في المسلمين من يخاف من كلمة الحزب في ظل الإسلام فلا مانع أن نسميها إسماً آخر يعطي مدلولها في العمل مثل كلمة جبهة أو جمعية أو إتحاد أو ما شابه ذلك . يقول الإمام عبدالرحمن الكواكبي في كتابه أم القرى (إنّ

---

(١) محمد عمارة، الإسلام وحقوق الإنسان، ص ٢٧٣ - ٢٧٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧٥-٢٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التخلص من الإستبداد السياسي لا يأتي إلا عن طريق يقظة لعقلية الأمة عن طريق الدين. ولكن تلك اليقظة لا تأتي إلا بعد مضي مدة من الزمن قد تكون أطول من عمر الإنسان الواحد. ولذلك يجب ربط جهاد الآباء بالأبناء في الجهاد السياسي عن طريق الجمعيات ثم يقول (إنَّ الجمعيات المنتظمة يتسنى لها الثبات على مشروعها عمراً طويلاً حتى يتحقق، وهذا هو سر ماورد في الأثر من أنَّ (يد الله مع الجماعة) وهو سر كون الجمعيات تقوم بالعظائم وتأتي بالعجائب)[1].

من خلال ما تقدم يمكننا أن نخلص إلى **الحقائق التالية** :-

١. لا يوجد في الإسلام نص صريح يحرم الحزبية أو يمنعها وذلك من خلال النصوص القرآنية ونصوص السنة النبوية الشريفة .

٢. إنَّ الشعور السيء والذي انطبع في أذهان الكثيرين من فقهاء وعلماء وغيرهم عن لفظة الحزب قد جاء نتيجة للممارسات السيئة وسوء الاستغلال الضار بالمصالح العامة والخاصة. ومن هنا أصبح هذا اللفظ ممجوجاً عند الكثيرين، وعليه جاء الحكم الذي يؤمن به الكثيرون باستبعاد الحزبية في الإسلام .

٣. إنَّ قيام نظام حزبي في ظل الإسلام أمر فيه مصلحة الأمة والجماعة بشرط أن تراعى فيه مصلحة الدين أولاً .

٤. الإسلام نظام متطور وهو صالح لكل زمان ومكان ، فلابد أن يواكب التطورات السياسية العالمية ويتلاءم معها في المعاني التي لا تضر بمصلحة الإسلام .

٥. من خلال النظام الحزبي سيصل إلى الحكم والقيام على أمر الدين والدنيا الأكفاء من أصحاب التخصصات المختلفة .

٦. إن قيام نظام الأحزاب والسماح بالرأي والرأي الآخر دلالة حضارية على الوعي والنضوج الثقافي والحضاري للأمة. والإسلام بدوره في ظل وعي الأمة وشعورها بالحس الجماعي وبعد أن يطمئن إلى وعي الأمة وحرصها على مصلحتها فلا يرى بأساً من تأسيس الأحزاب التي تخدم هذه المصالح وترعاها.

٧. إن تطبيق حكم الله سبحانه وتعالى في الأمة أمر لا خلاف فيه بين مختلف الأحزاب الإسلامية. ولكن قد تختلف الأحزاب في أسلوب عرضها لهذا الأمر وبالتالي في أسلوب تنفيذه وإيجاده واقعاً في حياة الناس. فقد يكون أمر التطبيق بين متشدد في تطبيقه وبين مرن في أسلوب

(١) أحمد شوقي الفنجري، الحرية السياسية في الإسلام، ص٢٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التنفيذ وهذا أمر تجده بين أصحاب الحزب الواحد .

المطلب الثاني
المعارضة السياسية وحقها في الإسلام

لقد رأينا كيف أن الإسلام ينظر إلى مبدأ الشورى كأساس من أسس تنظيم الدولة. والشورى تظهر فيها الآراء المتباينة ويظهر فيها اختلاف الرأي فمن مؤيد ومن معارض ثمّ يكون القرار النهائي المتفق عليه والموافق لرأي الأغلبية.

لقد سلكت مجتمعات غير إسلامية دربها في حقوق الإنسان . حيث أعطت للإنسان حريته في الاختلاف مع الدولة أو السلطة أو الولاة كما أعطته الحق والحرية أن يسلك سبيل التنظيم لدعم رؤيته وفكرته المعارضة للآخرين، وتكون بذلك قد أقرت مبدأ المعارضة الفردية وحق المعارضة الجماعية.

والإسلام إذ لا يعارض التعددية في الرأي الفردي فهو في الوقت نفسه يعطي الحق للمعارضة لإبداء رأيها والوقوف عنده والدفاع عنه، لذلك كان من صحابة رسول الله *صلى الله عليه وسلم* من بقي على موقفه بعدم إعطاء البيعة لأبي بكر وعمر ومنهم من توفي دون بيعة لخليفة المسلمين. لقد أقرت الأنظمة الحزبية الحديثة ومن سار على ركبها مبدأ المعارضة والتعددية السياسية واشترطت هذه الأنظمة في التعددية الجديدة والتي نشأت عنها شروط منها احترام الدستور وعدم معارضته والاعتراف بالنظام القائم واحترامه. وهكذا ففي الإسلام فإنّ دستور الدولة أيّاً كانت شخصية القيادة فيها هو القرآن، واختلاف الرأي ضمن التقيد بنصوص القرآن الكريم وسنة الرسول *صلى الله عليه وسلم* أمر مشروع لا يعارضه الإسلام. وعليه فإنّ المعارضة في الإسلام أمر مباح وليس في الإسلام رأي معصوم، وليس هو التصور المأخوذ دون علم عن النظام السياسي الإسلامي بأنّ الرأي واحد لا تجوز معارضته . إن الإسلام ثابت في رأية فيما ثبت منه نص من القرآن أو السنة، أما أمور الدنيا فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول للأمة (أنتم أعلم بشؤون دنياكم).

وواضح لمن يقرأ تاريخ المسلمين أنهم لم يختلفوا في الدين ولم تنشأ الفرق الإسلامية الرئيسة بسبب اختلاف حول عقيدة من العقائد الدينية أو أصل من الأصول. وإنما كانت السياسة وفلسفة نظام الحكم ومنصب الخلافة الذي أقام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفرق وأنشأ الأحزاب وأشعل الحروب والصراعات على امتداد التاريخ الإسلامي واختلاف أقاليم المسلمين[1] .

فبعد وفاة الرسول *صلى الله عليه وسلم* اجتمع الأنصار من الأوس والخزرج في سقيفة بني ساعدة[2]. لاختيار من يخلف رسول الله *صلى الله عليه وسلم*، واتجهت أنظارهم إلى سعد بن عبادة زعيم الخزرج وكان عندهم ما يبرر هذا الاختيار من حيث أحقيتهم لهذا المنصب . فهم أهل المدينة وسيوفهم هي التي نهضت بالنصيب الاكبر في سبيل الإسلام ، وما أن سمع عمر بن الخطاب بالخبر حتى اجتمع مع جماعة من المهاجرين الأولين ومنهم أبو بكر وأبو عبيدة وفي السقيفة واجه أبو بكر الأنصار وعرض عليهم أن المهاجرين الأولين هم الأحق والأجدر بمنصب الخلافة فهم أسبق للإسلام، وأقرب للنبي *صلى الله عليه وسلم* وهم قرشيون، وأقدر لمكانة قريش ومكانتها في العرب أن تجتمع عليهم وترضى برئاستهم قبائل العرب فتستمر وحدة العرب في دولة الإسلام .

وقد مال الأوس والخزرج إلى رأي المهاجرين بقيادة عمر بن الخطاب لمبايعة أبي بكر خليفة على المسلمين، فبايعوا إلا سعد بن عبادة رفض البيعة لأبي بكر وبعده عمر بن الخطاب حتى توفي رضي الله عنه عام ١٤هـ ، فدل ذلك على أنّ خلاف المسلمين في السياسة لا يقدح في عقائد الفرقاء المختلفين. فقد أثبتت الأحداث أن جماعتين كانتا ظاهرتين من حيث التنظيم السياسي. هما المهاجرون والأنصار.وهذا الذي رأيناه شاهداً على مشروعية المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي والتجارب القائمة على أساسه.

ولقد حدث أن لقيَ سعد بن عبادة عمر بن الخطاب وهو خليفة بالمدينة وكان سعد راكباً فرساً وعمر راكباً بعيراً. فدار بينهما حوارعنيف بدأه عمر حيث قال لسعد: هيهات يا سعد: فرد عليه سعد بن عبادة: هيهات يا عمر والله ما جاورني أحدٌ هو أبغض إليّ من جوارك، فرد عليه عمر: إنّ من كره جوار رجل انتقل عنه . فرد سعد بن عبادة: إني لأرجو أن أخليك لها عاجلاً إلى جوارمن هو أحب إلى جواري منك ومن أصحابك . لم يغضب أمير المؤمنين عمر ولم يكره سعد على المبايعة وتركه ورأيه حتى انتقل إلى جوار ربه[3].

نرى هذا الحوار بين رئيس الدولة والذي يعتبر بحق أقوى رجل دولة في تاريخ المسلمين وبين أحد المواطنين، وتكون شدّة الحديث كما سمعنا فهل يمكن أن

---

(١) محمد عمارة، الإسلام وحقوق الإنسان ، ص٨٨ .

(٢) عبدالسلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، ص٣٩٠ وما بعدها .

(٣) محمد عمارة، الإسلام وحقوق الإنسان ، ص٨٩ - ٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكون مثل ذلك في بعض الدول التي تدّعي الديموقراطية وتفاخر بها .

إنّ سعد بن عبادة صحابي جليل وزعيم الخزرج. مات وليس في عنقه بيعة للخليفة عمر الفاروق ومن قبله أبو بكر الصديق . فما هو موقف الإسلام من هذا الإشكال؟. وقد جاء في صحيح مسلم عن ابن عمر عن رسول الله *صلى الله عليه وسلم* أنه قال (من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)[1].

يرى البعض أن معارضة الأمراء ورفض البيعة لهم لاختلاف منهجهم السياسي وسبيلهم في سياسةالمجتمع وحكم الأمة عن منهج المعارضين لهم لا يعني الانتقال بالمعارضين من معسكر الإسلام والإيمان إلى معسكر الجاهلية بأي حال من الأحوال . وحجتهم في ذلك أنّ الصحابة كانوا قد حرصوا على التمييز بين موضوع السياسة وموضوع البيعة الدينية اللتين أجتمعتا لرسول الله *صلى الله عليه وسلم*، فكانوا يسألونه عليه السلام في المواقف والمواطن الخاصة بالقرارات ذلك السؤال الشائع يا رسول الله. (أهو الوحي أم الرأي والمشورة). وذلك ليسلموا الوجه لله طاعةً وانقياداً إذا كان الأمر وحياً ودينا لأن في أعناقهم بيعة الإيمان والدين . أما إذا كان الأمر خارج هذا الإطار فيما يتعلق بأمر من أمور الدنيا فإنهم يشيرون ويعترضون ويعارضون، وهذا ما حصل في بداية غزوة بدر في موقع المعسكر وكذلك ما حصل في قصة الأسرى حتى جاء قوله تعالى مؤيداً لمعارضي الرسول *صلى الله عليه وسلم* حيث يقول تعالى (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم[2].

وكذلك ما حصل في غزوة أحد والخندق حيث كان الأخذ برأي المعارضة. ولعل في قصة الرسول *صلى الله عليه وسلم* مع غطفان خير مثال على وجود المعارضة والأخذ برأيها. وقد حصل أن فاوض الرسول عليه السلام غطفان على جزء من ثمر المدينة لقاء فك الحصار عنها يوم الخندق ، فكان رأي الأنصار مخالفاً لمسودة المعاهدة، ونزل الرسول على رأيهم وأخذ به ولم يوقع المعاهدة.

لقد وقفت مجموعة من بني هاشم معارضين لبيعة أبي بكر يريدون علياً. وتقول بعض الروايات أنهم لم يبايعوا أبا بكر إلا بعد أربعة أو ستة شهور. وهكذا ثبت أن للخلاف في الرأي والمعارضة السياسية ورفض البيعة للخليفة والامتناع عن انتخاب الأمير واختياره. ثبت في ذلك عدم القدح في العقيدة

---

(١) رواه مسلم الحديث رقم (١٨٥١) .

(٢) سورة الانفال ، آية ٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدينية وعدم التقليل من ولاء الفرقاء المختلفين للوطن الجامع لهم جميعاً. ولعل ذلك شاهدٌ على مشروعية المعارضة السياسية في النهج السياسي عند المسلمين[1].

إذا كان هذا موقف السياسة مع صحابة رسول الله أبي بكر وعمر حيث كانت المعارضة الواضحة في عهديهما وهو العهد الذي يعتبر أفضل عصور الإسلام قاطبة، فما عساك تقول وأنت تقرأ حديث رسول الله *صلى الله عليه وسلم* (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[2]. وكذلك حديث رسول الله *صلى الله عليه وسلم* والذي يحذرنا فيه من الإقرار للطاغية المستبد بالحكم حيث يقول (كلاً والله لتأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنّه على الحق أطراً، ولتقصرنّه على الحق قصراً أو ليضربنّ الله قلوب بعضكم على بعض ثمّ ليلعنكم كما لعنهم)[3]. كما يعلمنا *صلى الله عليه وسلم* أن من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر .

<u>الأدلة على وجود المعارضة في التاريخ الإسلامي</u>: يُسلم البعض بوجود الشورى لكنه يفرغها من جدواها بزعمه عدم إلزامها للولاه والحكام. كذلك يسلم البعض بوجوب المعارضة عند قيام أسبابها ومقتضياتها لكنهم يفرغوها من معناها عندما يجعلونها فردية ويُحرمونها بشكل جمعية منظمة في صور الجمعيات والأحزاب التي نراها اليوم.

إنّ القائمين على التشكيك في المشروعية الإسلامية لقيام المعارضة المنظمة (مثل الأحزاب السياسية) في النظم الإسلامية ومجتمعاتها، إنما يثيرون علامات الإستفهام حول مشروعية التعددية في الحياة الإجتماعية وتنظيماتها السياسية في المجتمع الإسلامي، الأمر الذي يجعل فكرهم هذا مكرساً (شاؤا أم أبوا - وعوا أم لم يعوا) لخدمة الطغيان والاستبداد[4] .

كذلك يسلم الجميع أنّ الإسلام أجاز الاختلاف الفقهي، ومن هنا كانت المذاهب المختلفة والتي كان فيها فوائد كثيرة للمجتمعات المسلمة مثل التيسير على المسلمين وإثبات الصحة من عدة وجوه. أي أن الصواب ليس شرطاً أن يكون في رأي واحد . وهي بحد ذاتها نقطة قوة في المجتمع المسلم .

إنّ الفرقة في الدين <u>غير التعددية السياسية</u>، فإذا كانت الأولى مذمومة

(١) محمد عمارة ، الإسلام وحقوق الإنسان، ص ٩٠ - ٩٢ .

(٢) رواه مسلم ، حديث رقم ٤٩ .

(٣) رياض الصالحين، حديث رقم ١٩٦ .

(٤) محمد عمارة ، الإسلام وحقوق الإنسان، ص٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لوحدة الدين وثبات عقائده وأصوله واكتمالها. ولحرمة القول فيها بالرأي وإخضاعها للتطور والإجتهاد، فإن شؤون سياسة الأمة وعمران المجتمعات لا تستقيم عادة بالحجر على الفكر ومنع الرأي الآخر من أجل الوصول إلى القرار السليم والحرية في التنفيذ ، وفي تاريخنا الإسلامي من الأمثلة الكثيرة التي تبين وجود معارضة حقيقية ذات رأي مباين مبني على إجتهاد يعتد به صاحبه .

إنّ الأدلة على أنّ المعارضة المنظمة هي ضرورة إسلامية شرعية تتجاوز كون هذه المعارضة مصلحة يقتضيها صلاح حال المسلمين الراهن. الأمر الذي يعطيها المشروعية الإسلامية اليوم حتى ولو لم يعرفها تاريخهم السياسي القديم، وكذلك فإن الأدلة على مشروعيتها تتجاوز نفي حجج ظواهر النصوص . إن الأدلة على مشروعية التعددية السياسية في الإسلام تتجاوز كل ذلك عندما تجد لها شواهد أولية وصوراً جنينية وتجارب بسيطة في الحياة السياسية والإجتماعية لمجتمع النبوة في صدر الإسلام[1] .

في صدر الإسلام كانت أمور المسلمين شورى بين الرسول *صلى الله عليه وسلم* وأصحابه في جميع أمور الدنيا. مما يمثل لوناً من ألوان المعارضة وإن لم تأخذ شكل الجماعات المنظمة والأحزاب، ففي المواقع الخلافية والأمور التي لم يكن الرأي فيها مستقراً ومعروفاً وحيث كان الرسول *صلى الله عليه وسلم* يدلي بالرأي والصحابة يسألونه يا رسول الله: أهو الوحي أم الرأي والمشورة؟. أي أهو الدين جاءك فيه وحي السماء فعلينا السمع والطاعة والتسليم دونما اعتراض، أم أن الأمر (دنيا وسياسة)، موطن فيه الرأي والمشورة، والأخذ والنقد والعطاء؟. وكان الرسول *صلى الله عليه وسلم* يخبرهم بالأمر فإن كان أمر وحي قالوا سمعنا وأطعنا . وعندما يخبرهم أنّ الأمر سياسة دنيا. كان الصحابة يدلون بآرائهم واقتراحاتهم فيتفقون ويختلفون ويتابعون ويعارضون، وكل ذلك يتم دونما حرج أو تردد من معارضة رسول الله *صلى الله عليه وسلم*)[2].

في غزوة بدر اقترب الرسول *صلى الله عليه وسلم* بجيشه من مكان المعركة وكانت هناك عدة آبار من الماء، فنزل الرسول *صلى الله عليه وسلم* عند أقرب بئر من هذه الآبار إلى المدينة. وكان بين المسلمين من له رأي آخر في المكان الذي يجب أن يعسكر فيه جيش المسلمين. فتوجه الصحابي الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح باسم مجموعة من الصحابة للرسول *صلى الله عليه وسلم* سائلاً عن طبيعة قراره هذا هل هو دين؟. فله الطاعة والتسليم وانتفاء حق المعارضة فيه. أم هل

(١) محمد عمارة ، الإسلام وحقوق الإنسان، ص ٩٨ - ١٠٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو سياسة ورأي فيخضع للشورى والبحث والتعديل وجواز المعارضة فيه؟. فسأل الرسول صلى الله عليه وسلم (أمنزل أنزلكه الله إياه فليس لنا أن نتقدم أو نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟. فقال عليه السلام بل هو الرأي والحرب والمكيدة فقال الحباب: يا رسول الله، إن هذا ليس لك بمنزل فانهض بناصيتي نأتي الآبار ثمَّ نبني عليها حوضاً فنملؤه ماء نشرب ولا يشربون . فاستحسن الرسول صلى الله عليه وسلم رأي الحباب وأخذ به)[1] .

في هذه الحادثة نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينكر تعدد الآراء ولا الرأي الآخر فيما هو سياسة ودنيا . فلاحظنا أن المعارضة قد أبدت رأيها بخلاف رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الشورى التي رجحت القرار والرأي الآخر، ورأينا أن الرسول صلى الله عليه وسلم يرحب بالقرار الجديد ويستحسنه ويأخذ به وينفذه، وذلك حتى لا يفهم المسلمون على مر الأيام أن رأي الحاكم معصوم لا يراجع فيه. فالحاكم بشر يصيب ويخطيء ولابد من الإشارة عليه ومعارضته إن كان رأيه مجانباً للصواب .

وفي غزوة بدر عندما وقف الرسول صلى الله عليه وسلم وقال أشيروا عليَّ أيها الناس، فتكلم المهاجرون فأحسنوا القول، ثم كرر الرسول صلى الله عليه وسلم مقالته بطلب الشورى، فوقف سعد بن معاذ وقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله. فقال أجل حيث تكلم سعد بن معاذ فأحسن القول، عندها اطمأن الرسول صلى الله عليه وسلم لموقف صحابته من المهاجرين والأنصار[2]. إن الإشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرورة سماع رأي الأنصار كان له مدلول كبير فهم جماعة ولهم وزنهم في المجتمع المسلم . من هنا كان حرصه عليه السلام على سماع رأيهم والاهتمام به وربما الأخذ به إن حقق الأغلبية .

هذه الحادثة نستنبط منها وجود فريقين أمام القائد، الفريق الأول هم المهاجرون ، والفريق الثاني هم الأنصار . وكل منهم له رأيه في السياسة وأمور الدنيا رغم اتفاقهم التام في أمور العقيدة والدين ، وقد رأينا أن الأنصار كان لهم رأي آخر معارض لرأي المهاجرين في موضوع الخلافة . وهذا يؤيد ما ذهب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من حرصه على أخذ رأيهم في غزوة بدر. فلو كان للأنصار رأي آخر غير الذي قالوه فلربما أخذ به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إنَّ الشورى في الإسلام تعطي دليلاً قوياً على وجوب المعارضة وعلى ضرورة وجود الرأي الآخر، فوجود الآراء المتباينة لا يعني الخلاف بل في تعدد

(١) عبدالسلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، ص ١٦١ .

(٢) أبو الحسن الندوي ، السيرة النبوية . بيروت : المكتبة العصرية ،١٩٨١ ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآراء قوة للرأي الآخر وتثبيت له ، ففي المعارضة الحرة الهادفة تكون الآراء والاقتراحات المختلفة حريصة على مصلحة الأمة والدين والوطن ، وعندها لن يكون هناك شك في أنّ من آراء المعارضة ما يسعى لما فيه السوء والضرر للمصالح العامة .

في غزوة الخندق في السنة الخامسة للهجرة ، وعندما اشتد الحرج على المسلمين بعد حوالي عشرين ليلة من الحصار، حيث يقول تعالى (إذْ جَاؤوكُم مِنْ فَوْقِكم ومِنْ أَسْفَلَ مِنْكُم وإذْ زاغَتِ الأَبْصَارُ وبَلَغَتِ القُلوبُ الحَناجِرَ وتَظُنّونَ بِاللّهِ الظُّنونا، هُنالِك ابْتُلِيَ المؤمِنونَ وزُلْزِلوا زِلْزالاً شَديداً)[1] . عندها فكر الرسول *صلى الله عليه وسلم* في عقده معاهدة (حربية اقتصادية) مع غطفان (إحدى القبائل العربية الرئيسة في الهجوم على المدينة)، (وهي التي تحالفت مع قريش وأهل نجد) وذلك من أجل فك الحصار الشديد عن المدينة مقابل أن يعطي للأحزاب ثمار المدينة، وقد فاوض على هذا الأمر قائدي غطفان (عيينة بن حصن والحارث بن عوف) واتفق معهم وكتب لهم مسودة معاهدة بذلك، وقد وافق مع رسول الله *صلى الله عليه وسلم* جمع من الصحابة. غير أن الرسول *صلى الله عليه وسلم* وهو القائد كان يدرك ما للأنصار من خصوصية واختصاص في إمضاء هذه المعاهدة أو معارضتها، فهم جزء من الدولة وفوق ذلك لهم ذاتية متميزة في إطار السياسة بما تحملوا من عبء في تكوين الدولة وإيواء المهاجرين ونصرة الدعوة. وباعتبارهم أيضاً أصحاب الثمار التي ستجري المعاهدة عليها. عندها توجه الرسول *صلى الله عليه وسلم* إلى إستشارة زعمائهم (سعد بن معاذ وسعد بن عبادة. وعندما عرض عليهم أمر المعاهدة قالا له: يا رسول الله هذا الأمر تحبه فنضعه لك أو شيء أمرك الله به فنسمع له ونطيع. أو أمر نضعه لنا؟. فقال: بل نضعه لكم، والله ما أصنعه إلا لأنني قد رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة واشتد الأمر على المسلمين حتى بلغت القلوب الحناجر، وكان الرسول عليه السلام في رأيه هذا مع صحابته إنما يريد أن يخلص المسلمين من هذا الموقف الحرج ولو إلى حين، ورغم ضيق الموقف وشدّة الحرج، إلا أن الأنصار كان لهم رأي آخر. فقال له سعد بن معاذ، يا رسول الله والله لقد كنّا وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه، وما طمعوا قط أن ينالوا من ثمره إلا بشراء أو قرى (أي إضافة). فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له، وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟. والله لا نعطيهم إلا بالسيف

---

(١) سورة الأحزاب ، الآيات ٩ ، ١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى يحكم بيننا وبينهم)[1].

أمام هذا الاعتراض على مشروع المعاهدة، وقيام الأنصار بمخالفة ما اتفق عليه الرسول وأصحابه، وبروز المعارضة السياسية لقرار سياسي عسكري، نرى كيف ينزل القائد عن رأيه ويأخذ بالرأي الآخر بعد مناقشته والاقتناع به، فقد بحث الرسول *صلى الله عليه وسلم* أمر المعارضة وناقشه مع أصحابه بكل مصادره ومظانه وهذا هو شأن السياسة والمعارضة السياسية في الإسلام. عندها عدل عن رأيه وقال لزعيمي غطفان إنصرفا فليس لكما عندنا إلا السيف، وتناول الصحيفة (مشروع المعاهدة) وألغاها حيث لم يكن عليها شهادة أو إعتراف. لقد قامت هذه الواقعة التاريخية حتى تكون شاهداً على مشروعية المعارضة بل على ضرورتها، فلقد سعى الرسول *صلى الله عليه وسلم* قبل إبرام المعاهدة إلى مشاورة أصحابه وسعى إليهم ولم ينتظر المسلمين حتى يشيروا عليه بل سعى إليهم طالباً مشورتهم ، ومن خلال الشورى تظهر المعارضة . وهذا هو نهج الإسلام في السياسة والحكم، فَفي الإسلام إذا كان الأمر وحياً وشرعاً فلا شورى فيه ولا معارضة. ولكن في أمور الدنيا والسياسة فهناك الرأي والمشورة. هل لنا أن نرى ما يقرره الزعماء والرؤساء من توقيع لاتفاقيات ومعاهدات واتخاذ القرارات التي يكون في بعضها دمار للأمة والوطن. ومع ذلك تدعي هذه الدول الديموقراطية والأخذ بالرأي الآخر واحترامها للمعارضة؟. لقد مضى بعض زعماء العالم العربي في توقيع اتفاقيات ومعاهدات مع أعداء الأمة دونما أدنى نظر لرأي المعارضة . وادّعوا بعد ذلك أن هذا هو رأي الشعب، ولم ينظر هؤلاء إلى النتائج السيئة التي ينتظرها الوطن من جراء هذه المعاهدات ، لقد عانت الأمم وذاقت الهوان جراء الفردية التي اختصت بها زعامتها وفوق هذا وذاك يكون الإلتفاف المشين حول إرادة الأمة بل والتعمد في مخالفة رأيها. أما بالنسبة للمعارضة فلا رأي لها. وديموقراطية القرن العشرين في العالم الثالث تنظر للمعارضة على أنها عدو، فلسان حال الحكومات اليوم أن تقول من باب أولى أن لا يؤخذ للمعارضة رأي .

إنّ مقارنة بسيطة بين نظرة الإسلام للمعارضة ونظرة الأنظمة الحديثة لمفهوم المعارضة لتعطي الدليل الواضح على أن الادعاء غير الحقيقة، فالحقيقة أن الإسلام دين يعترف بالمعارضة ويحترم رأيها. أما إذا رأينا في عالمنا من يدّعي الإسلام ويحرم المعارضة على غيره ويحتكر الرأي لنفسه دون غيره فهذا ليس من الإسلام في شيء. إن الإسلام يحترم الرأي والرأي الآخر ويشجع عليه ويفتح

(١) عبدالسلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام ، ص٢١٨ - ٢١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب واسعاً أمام جميع الآراء حتى لو كانت من قبل الأعداء. وهذه حقيقة وواقع لا يمكن تجاوزه.

أما الأنظمة الوضعية الحديثة والتي لا يُعرف لغالبها لون فحقيقتها ما تعانيه الشعوب من نكدٍ وكدرٍ في عيشها. وما يلاقية شبابها من إهانه وزج في السجون، ومصادرة للرأي الآخر.

ألسنا نرى في عالمنا اليوم دولاً تدعي الإسلام وتفاخر به وسجونها مليئة بالمعارضين، بل إن دولاً إسلامية لا تكاد تسمع للمعارضه فيها صوت واحد فهل هذا من الإسلام ؟.

وكم من الدول التي تدعي الديموقراطية في القرن العشرين تتخذها وسيلة لإلهاء الشعوب والضحك على أبنائها. ولسان حالها أجهزتها الأمنية. ومراكز السجون فيها خير تعبير للديموقراطية التي تدعيها.

إن العالم اليوم بات تواقاً إلى الاسلام لكي تعود إليه حقيقة الإسلام الأولى، ولكي ينفض عنه آثام الزيف والخداع التي لصقت به جراء الديموقراطية الحديثة.

وفي الختام يمكن لنا أن نقول إذا كان تأييد المعروف معروفاً يثاب عليه الإنسان. فإن معارضة المنكر فريضة واجبة في شريعة الإسلام سواء كانت هذه المعارضة فردية أم جماعية منظمة في صورة من صور الجمعيات والأحزاب- تلك هي السنة الحسنة التي سنها الإسلام .

وعجباً لنا أن نرى جملة من علماء السوء بعضهم من وعّاظ الأمراء والسلاطين والرؤساء قد تنكبوا طريق هذه السنة فتراهم يحرمون ما أحل الله. وقد سودوا صحائف الكتب بما ينفر المسلمين من مصطلح المعارضة الإسلامية على وجة التحديد، فنرى منهم من يشير بعدم إلزام الشورى للحاكم. منكرين ذلك على الشورى الإسلامية وهي فلسفة الحكم الإسلامي. وداعين بذلك إلى سلطات الإستبداد وسلطان المستبدين.

ونرى طرفاً أخر لا يستحيي حين يزعم أن الاسلام يوجب على الرعية طاعة الحكام بالإطلاق، وفي كل الأحوال، ويطالبون الأمة أن تشكر الحاكم إن هو عدل وتصبر عليه إن هو ظلم. ويحسبون بذلك أنهم يخدعون الأمه عندما لا يميزون بين الاستسلام والضعف والاستكانة والظلم وهي مما حرمها الإسلام ونهى عنها. وبين الصبر الإسلامي والذي هو شجاعة واحتمال في مواجهة الشدائد على درب النضال من أجل تطبيق فرائض الإسلام، وفي مقدمتها مقاومة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجور ومغالبة الظالمين[1].

المبحث الثاني

مظاهر الحرية السياسية في الإسلام

يبدو للعاملين في الحقل السياسي من المسلمين وغير المسلمين صعوبة تطبيق الإسلام في الظروف الراهنة، ويركزون في مقالتهم بأن الإسلام قد وُجد في فترة كانت البشرية بحاجة إليه ، أما اليوم وفي ظل التطور العلمي والثقافي فلم تعد هناك حاجة لهذا النظام .

وقد زادت هيمنة الغرب وسطوتهم على العالم مضافاً إليها ما حققوه من تقدم علمي وتكنولوجي ومن إغراق السوق العالمي بالمادة اللازمة. زاد ذلك من الإعتقاد بأنه أمام هذا التطور العالمي فإن إمكانية عودة الإسلام للحياة أصبحت صعبة.

كذلك فإن المعاناة الشديدة التي يعاني منها المسلمون مادياً ومعنوياً تساعد في ترسيخ هذا الاعتقاد في يقين المؤمنين به. ولعل من أهم الأمور التي يعتقدون أنها تدعم تصورهم هذا **الأمور التالية** :-

١. يقولون بإن الإسلام نظام قديم، والعالم اليوم يشهد تطورات وإحداثات جديدة في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع. والإسلام في اعتقادهم لا يواكب هذه التطورات .

٢. الإسلام نظام ديني (والغرب الذي أصبح من إعتقاداته الثابتة قضية الفصل بين الدين والدولة). لا يرى مبرراً لعودة نظام ديني للعالم الجديد.

٣. لقد جربت البشرية وبخاصة الغرب السلطة الدينية بأخطائها وتناقضاتها وتصرفاتها السيئة كافة، ولقد ذاقت مرارة تسلط الكنيسة بصفتها الدينية على حياة الناس. إذ مارست إرهاباً فكرياً ضد العلماء وأصحاب الرأي المستنير، واحتكرت الصواب دون غيرها. فتولّد في أذهانهم أن سلطة الدين في الإسلام تشبه ما يتصورونه عن سلطاتهم الدينية القديمة .

٤. يتصور البعض أن الدين هو عدو الحرية وعدو الديموقراطية، وهذا

(١) محمد عمارة، الإسلام وحقوق الإنسان، ص١١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البناء الخاطئ الذي تم فهمه بناءً على تصورات خاطئة من مخلفات الماضي دفع الكثير للقول بأن وجود الإسلام معناه لا حرية ولا ديموقراطية .

٥. علق في ذهن الكثيرين (وخاصة في الغرب ومن تربى على ثقافتهم). الربط بين مصطلح الإرهاب والتدمير ومصطلح الدين. فأصبحت الأصولية الدينية بدعوتها إلى العودة إلى الدين وتعاليمه وكأنها دعوة للإرهاب الفكري والتدمير والقتل. وربما بنى البعض اعتقاده على الممارسات الخاطئة التي تتم باسم الدين أحياناً ومن بعض الجهلاء أو أدعياء الدين حيناً آخر .

٦. الجهل بطبيعة هذا الدين وعدم معرفة أصوله الفكرية والسياسية.

٧. هناك سبب يجب أن لا ينساه المسلم وهو أن معظم حركات التحرر في عالمنا العربي والإسلامي قامت على أساس إسلامي (ديني)، وهي التي قدمت التضحيات الكبيرة في سبيل التحرر من الاستعمار، فبنى أعداؤنا عقيدتهم على عدم السماح لهذا الإسلام أن يعود من جديد. ففي عودته معنى التحرر من الأجنبي ومعنى التحرر من التبعية. وهذا أمر يحرص الغرب على بقائه بأي ثمن .

٨. إن التآمر العالمي ضد الإسلام واعتباره العدو الأول لهم ليعطي الدليل الواضح على عمق الحقد الغربي ضد هذه الأمة، ومنعها من العودة إلى جذورها وأصولها.

إن قيام نظام سياسي إسلامي معاصر ليست معضلة كبيرة . وما تمّ تطبيقه وتجربته مرة يمكن أن يطبق مرات ، وإن نظاماً حكم العالم لمئات السنين لا نظنه يعجز اليوم عن حكم بقعة في هذا الوجود. كما أن هذا النظام الذي إستطاع أن يتعامل مع البشرية في أوج جهلها وضعفها واستطاع أن يخرجها من الظلمات إلى النور (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهم مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّور)[1]. كما استطاع أن يحررها من الواقع المؤلم الذي كانت تعيشه . لا نظنه اليوم عاجزاً عن التعامل مع البشرية وقد وصلت إلى مرتبة مميزة في العلم والتعلم والتقدم والتطور.

إنّ من أولويات النظام الإسلامي المعاصر هو اهتمامه بأساس الوجود (الإنسان)، والإنسان الذي سخر الله له جميع ما في الوجود حريٌ بأن يكون النقطة الأولى بل المحطة الأولى في اهتمام هذا النظام العصري الجديد .

تعتبر الحرية أهم مطلب للإنسان، وسوف نرى بأن الإسلام يعتبر من

(١) سورة البقرة ، آية ٢٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أشد الأنظمة محافظة على حرية الإنسان وكرامته، ولا يوجد أي تخوف على حرية الإنسان عندما يحكم الإسلام .

وسوف نتناول في هذا المبحث المظاهر العامة للنظام السياسي في الإسلام فيما يتعلق بموضوع الحرية السياسية. من حيث حرية الإنسان في إبداء الرأي وحريته في الأمن والتنقل والتملك كذلك الحرية السياسية فيما يتعلق بانتخاب رئيس الدولة ومجلس الشورى وذلك من خلال المطلبين التاليين .

المطلب الأول : حرية الرأي والتعبير .

المطلب الثاني : حرية الإنتخاب (رئيس الدولة – مجلس الشورى).

المطلب الأول

حرية الرأي والتعبير

١- حرية الرأي والتعبير: يُكْبر القرآن الكريم من شأن العقل فهو وسيلة التفكير، ويكرر القرآن الكريم ذكره عن قصد لإثارة الانتباه إليه والاهتمام به والرجوع إليه، فالعقل في مدلوله ملكةٌ يناط بها الوازع الأخلاقي والمنع عن المحظور والمنكر[١]. ومن خصائص العقل ملكة الإدراك التي يناط بها الفهم والشعور وملكة التأمل بمعرفة البواطن والظواهر وملكة الرشد، وهي تقابل تمام التكوين للعقل الرشيد .

وفريضة التفكير في القرآن تشمل أعمال العقل البشري بكل وظائفه قال تعالى (قُلِ انْظُروا ماذا فِي السَّمواتِ والأَرْضِ)[٢]. وقال تعالى (أَوَلَمْ يَنْظُروا فِي مَلَكُوتِ السَّمواتِ والأَرْضِ وَما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ)[٣].

واحترام الإسلام للعقل وصاحبه يقوده إلى الإقرار بحرية الرأي له، لا بل يتجه إلى إيجاب التصريح به إذا ما تعلقت به مصلحة مؤكدة للفرد أو الأمة.

إنَّ أكبر مظهر لحرية الرأي هو الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي الذي قام على أساسه هذا التراث الفقهي العالمي ، والمجتهد مأجور على اجتهاده إذا كان كفؤاً وأقام كافةالأدلة وبذل أقصى جهد علمي في موضوع بحثه ولو أخطأ الحقيقة والصواب في واقع الأمر .

ومعلوم أن علي بن أبي طالب قد رفض الخلافة حين طُلب منه أن يتخلى عن اجتهاده ويعمل باجتهاد أبي بكر وعمر .

(١) عباس العقاد ، التفكير فريضة إسلامية. بيروت : دار القلم، ١٩٧٢، ص٦ .

(٢) سورة يونس ، اية ١٠١ .

(٣) سورة الأعراف ، ايـة ١٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن حرية الرأي مكفولة في الدولة الإسلامية بل واجبة كفائياً كالشورى، لأنها من المشاركات السياسية ولكن بشرط أن تحقق معناها الاجتماعي والسياسي وأن لا تضر بالصالح العام ، قال الله تعالى (يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولوا قَوْلاً سَديدا)[1]. وقال تعالى (قُلْ لِعِبادِي يَقُولوا الَّتي هِيَ أَحْسَن)[2]. وقال تعالى (قَوْلٌ مَعْروفٌ ومَغْفِرَةٌ خيرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يتْبَعُهَا أذىً)[3]. وقال تعالى (والَّذينَ هُم عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُون)[4]. واللغو ليس مجرد الثرثرة بل هو القول المنافي للحكمة والسداد، وحرية الرأي قد تتخذ نوعاً من النقد أو النصح النزيه البنّاء وهو مطلوب[5].

وينظر للشورى في الدولة الإسلامية كأكبر مظهر من مظاهر حرية الرأي ولا سيما من الناحية السياسية.

لقد اعتبر القرآن الكريم تعطيل العقل عن التفكير انتكاساً إلى درك الحيوان الأصمّ لقوله تعالى (ولَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ والإنْسِ لَهُم قُلوبٌ لا يَفْقَهونَ بِها ولَهُم أعْيُنٌ لا يُبْصِرونَ بِها ولَهُم آذانٌ لا يَسْمَعُون بِها أولئكَ كَالأنْعامِ بَلْ هُمْ أضَلُّ أولئكَ هُمُ الغافِلُون)[6] .

إنّ دولة إسلامية عصرية لا تملك إلا أن تسير في سياستها على خطى حثيثة لسيرة الرسول *صلى الله عليه وسلم* من حيث الحرية التامة للأفراد في إبداء الرأي وحرية التعبير ما لم يكن في ذلك معصية لله ولرسوله ، وعلى الدولة أن تضمن حرية الرأي لجميع رعاياها دونما استثناء، ويمكننا من خلال النقاط التالية أن نضع الإطار العام لحرية الرأي والتعبير لمجتمع يحكمه الإسلام :-

أ- يجب على من استشير أن يشير وأن يدلي برأيه فيما يعتقد جازماً، وقد ورد في الحديث (إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه). وجاء في الأثر عن حويز بن مقداد واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون وفيما أشكل عليهم من أمور الدين ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح العباد[7] .

إنّ في طلب المشورة طلب للرأي وعلى من استشير أن يدلي برأيه دونما خوف أو وجل، فإن هو أحجم عن الإدلاء برأيه فهو آثم. وهذا مبدأ من مبادئ حرية

---

(١) سورة الأحزاب ، آية ٧٠ .
(٢) سورة البقرة ، آية ٢٦٣ .
(٣) سورة الإسراء ، آية ٥٣ .
(٤) سورة المؤمنون ، آية ٣ .
(٥) محمد الدريني ، خصائص التشريع الإسلامي ، ص ٤٠٤ - ٤٠٥ .
(٦) سورة الأعراف ، آية ١٧٩ .
(٧) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، جـ ٤ ، ص ٢٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرأي في الدولة الإسلامية .

ب- يجب على المسلم إذا وضح له حق في أمر أن يدلي برأيه استجابة لأمر الله تعالى وعملاً بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى(والمؤمِنونَ والمؤمِناتُ بَعْضُهُم أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرونَ بِالمعْروفِ ويَنْهَوْنَ عنِ المُنْكَرِ)[1]. وقد ورد في صحيح البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت قال (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ... إلى أن قال وعلى أن نقول الحق أينما كان لا نخاف في الله لومة لائم) .

جـ- اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم ترك المسلم الإدلاء برأيه وتعبيره عن حريته فيما يرى أنه الحق أمراً مستحقراً، روى أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يحقرنّ أحدكم نفسه، قالوا: يا رسول الله وكيف يحقر أحدنا نفسه؟. قال: يرى أن عليه مقالاً ثمّ لا يقول فيه فيقول الله عز وجل يوم القيامة: ما منعك أن تقول كذا وكذا؟. فيقول خشية الناس فيقول فإياي كنت أحق أن تخشى) .

د- كما اعتبر الرسو ل صلى الله عليه وسلم الساكت عن الحق شيطاناً أخرس وإمّعة مهلهل الشخصية فاقد الإرادة حيث يقول صلى الله عليه وسلم (لا يكن أحدكم إمّعة يقول أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن لا تظلموا)[2].

هـ- أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن على كل عضو من أعضاء الجسد صدقة على المسلم أن يؤديها، وأنّ صدقة لسان المؤمن الكلمة الطيبة والتي هي كلمة خير عن رأي صائب فيها فائدة الناس أجمعين، روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (كل سلامى من الناس عليه صدقة ... إلى أن قال والكلمة الطيبة صدقة)[3].

و- أوجب الإسلام على كل مسلم فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الأمور هي خلاصة الرأي السديد وفيها حرية التعبير عن الرأي الصائب قال تعالى (ولْتَكُنْ منكم أُمَّةٌ يَدْعونَ إلى الخيْرِ ويَأْمُرونَ بالمعْروفِ ويَنْهَوْنَ عنِ المُنْكَرِ)[4]. بل إن الإسلام اعتبر قول المعروف في الرأي الصائب خير كلمة تقال ، قال تعالى (وَمَنْ

---

(١) سورة التوبة ، اية ٧١ .

(٢) جامع الأصول ، جـ ١١ ، ص٦٩٩ .

(٣) النووي ، شرح الأربعين النووية. دمشق: مكتبة دار الفتح، ١٩٨٢، ص٧٧

(٤) سورة آل عمران ، آية ١٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إلى اللّهِ وَعَمِلَ صالحاً وقَال إنَّنِي مِنَ المُسْلِمين)[1]. وورد في الحديث عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان).

ز- النصح للوالي بالكلمة الطيبة، ومقاومة الوالي الجائر، والصدع بالحق أمامه مهما كلف الثمن من الأمور التي يحث عليها الإسلام ويحض المسلمين عليها. ورد في الحديث أن (أكرم الشهداء عند الله عزوجل رجل قام إلى والٍ جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير (أوصاني ألاَّ أخاف في الله لومة لائم، وأوصاني أن أقول الحق ، وإن كان مراً).

لقد أقر الإسلام حرية الرأي على أوسع نطاق . فمنح كل فرد حق النظر والتفكير وإبداء الرأي في كل ما يفيد وينفع ويحقق مصلحة مشروعة، وقد التزم هذا المبدأ الجليل الذي رسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلفاء الراشدون من بعده، وسوف نبين بعضاً من هذه الشواهد في فصل لاحق إن شاء الله .

إن حرية الرأي مكفولة في الاسلام و محاطة بسياج من الضمانات القدسية ، وباستعراض تاريخ الإسلام فإننا لا نجد أية محاولة من أولي الأمر للحجر على حرية الرأي. بل ظل العمل بهذا المبدأ مرعياً حتى في عهد بني أمية وصدراً من عهد العباسيين. فما كان الخلفاء يحاربون حرية الرأي إلا تلك التي يعتقدون أنها تهدد أمن الدولة و استقرارها وتنشر الفتنة .حتى أن الناس كانوا يتناقشون بكامل حريتهم في عهد عمربن عبد العزيز والمأمون وهارون الرشيد وغيرهم وفي حضرة الخليفة نفسه في أدق المسائل. وكانوا يناقشونهم في قضية استحقاق الأسرة المالكة للخلافة[2].

إننا عندما نتكلم عن حرية الرأي في الإسلام إنما نتكلم عن حرية الرأي في دولة يحكمها الإسلام لا في دولة يوجد فيها مسلمون، ويمكننا في خلاصة القول أن نؤكد على **الحقائق التالية** :-

أ. حرية الرأي والتعبير مكفولة لجميع رعايا الدولة الاسلامية دونما تمييز ما لم تمس حرية الآخرين .

ب. لكل مواطن أن يعبر عن رأيه وأن يطرح من الآراء ما يشاء ما لم يكن في

(١) سورة فصلت، آية ٣٣ .

(٢) علي عبدالواحد ، حقوق الإنسان في الإسلام . القاهرة: مطبعة نهضة مصر ، ١٩٦٧ ص ٢٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك معصية لله ورسوله .

ج. للمواطن حق المساءلة لرأس الدولة أو أي مسؤول مهما علت رتبته وعن أي موضوع حتى في شخص الرئيس .

د. كل مواطن يمتنع عن إبداء الرأي وهو يملكه أثم، خاصة إذا كان في هذا الرأي مصلحة للوطن والأمة ، لأن الدين النصيحة.

هـ احترام الرأي والرأي الآخر واجب، فما كان خيراً يجب الأخذ به وما كان خاطئاً يجب توضيحه ورده بالحسنى .

و. حرية الرأي دلالة على احترام العقل. وأمة لا تحترم الرأي الآخر، أمة تحجر العقول وتكبح انطلاقها وهذا ما لا يقره الإسلام، إذ يحترم الإسلام العقل والإبداع ويكافئ عليه.

المطلب الثاني

حرية الإنتخاب (رئيس الدولة، مجلس الشورى)

التشريع في الإسلام لله سبحانه وتعالى والسلطات للأمة ، ومن هذا المنطلق يتكون مفهوم الحرية السياسية في الإسلام. إذ تعني الحرية السياسية في معانيها أن تكون الأمة مصدر السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية الحاكمة بأمر الله سبحانه وتعالى، ومن أهم الحقوق التي يجب أن تمنحها الأمة حتى تكون مصدراً للسلطات هي في تمتع أفرادها بحقهم السياسي في اختيار الحاكم، والحق في مراقبته ومحاسبته وذلك عن طريق الأمة مباشرة أو بواسطة الممثلين عنهم وهم أهل الحل والعقد والشورى .

لقد أقرت الأمة بالإجماع أو بغالبيتها في صدر الإسلام مبادئ واضحة في الحرية السياسية، وبما أن الإجماع يمثل المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي فإن هذا يغني عن وجود نص صريح في القرآن الكريم أو السنة النبوية يبين حرية الأمة في اختيار الحاكم ومراقبته ومحاسبته، ومن هنا يتبين لنا خطأ من زعم بأن الشريعة لم تتعرض لنظم الحكم وأن هذا ليس من أمور الدين في شيء، وإنما هو من الأمور الدنيوية، غير أنه وإن كان من الأمور الدنيوية فإن من المعلوم أن أمر الدين لا يستقر إذا لم تستقر أمور الدنيا، وتأسيساً على ذلك كان مفهوم الدين أنّ الإسلام دين ودولة، وسوف نعرض في هذا المطلب لنقطتين أساسيتين لهما علاقة مباشرة بالنظام السياسي والحرية السياسية في الإسلام:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ- إنتخاب رئيس الدولة .

ب- إنتخاب مجلس الشورى .

أ- إنتخاب رئيس الدولة : إنتخاب رئيس الدولة واجب تترتب عليه مصالح الدين والدنيا، ويتم انتخاب رأس الدولة في الإسلام على أساس الشورى، وتقتضي الشورى أخذ رأي الجماعة في اختيارهم للرئيس وهو ما يعبر عنه بالبيعة للخليفة، والشورى هي أحد الأصول السياسية الدينية بل هي أهم قواعدها قال تعالى (وأَمْرُهُم شُورى بَيْنَهُم). وقال تعالى بالأمر لرسوله (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ). فالآية الأولى تؤكد هذه القاعدة والآية الثانية تأمر بها باعتبار أنها من أهم ما فرضه الله على المؤمنين في إصلاح شؤونهم وتدبير أمورهم الكلية والأساسية، ومنها إقامة الخلافة على أساسها.

إن الأصل في الإسلام أن يسعى المسلمون جميعاً لما فيه مصلحة الأمة عامة، وقد أرشد الله الأمة إلى ما يصلح أمورها وأحوالها، وعليه كان على المسلمين أن يسعوا إلى أفضل الطرق لتقديم من يقوى على حماية المصلحة العامة للأمة، والشورى أفضل وسيلة لتولية الخلافة، ولهذا فلا يتفق مع روح الإسلام وأسسه الثابتة أن تكون الرئاسة العليا في الإسلام بالتوارث أو القهر أو الاستيلاء وذلك أمر اتفق عليه المسلمون، يقول عبدالقادر البغدادي (كل من قال بإمامة أبي بكر قال إن الإمامة لا تكون موروثة)[1].

وقد أجمع مجتهدوا الأمة أن رئيس الدولة الإسلامية يختار اختياراً من بين أفراد الأمة وأن الأمة هي صاحبة الحق في اختيار خليفتها ، على أن الإسلام لم يعتمد أو يحدد طريقة معينة وثابتة لاختيار رئيس الدولة ويلزم الأمة بها حتى يحرم عليها أن تمارس غيرها ، وكل الذي جاء أنّ الأمة تختار رئيس الدولة إذا توافرت فيه شروط معينة وأن يتحقق في هذا الاختيار العدل والشورى، ولا يهم بعد ذلك الأسلوب. وطريقة الاختيار ليست ثابتة، فقد تصلح طريقة معينة لزمن معين ويظهر غيرها طريقة أكثر ملاءمة منها في زمن آخر، فما كان بالأمس قد لا يناسب اليوم وما يناسب الحياة اليوم قد لا يصلح غداً [2].

والدارس لكتب الأقدمين ممن كتبوا في فقه السياسة الشرعية يجدهم قد بينوا لنا أن الرئيس الجديد ربما يشير إليه الرئيس السابق، ويوافق عليه أهل الحل والعقد ومن ثمّ توافق عليه الأمة كلها باختيارها ، وقد يشير الرئيس لمن يليه لكن قد لا تبايعه الأمة فعندها لا يصبح رئيساً . يقول الماوردي (إذا

(١) عبدالقادر البغدادي، أصول الدين. إستانبول : مطبعة الدولة، ١٩٢٨، ص١٨٤ .

(٢) محمد أبو فارس ، النظام السياسي في الإسلام ، ص ٢٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اجتمع أهل الحل والعقد للاختيار تصفحوا أحوال أهل الإمامة الموجودة فيهم شروطها فقدموا للبيعة منهم أكثرهم فضلاً وأكملهم شروطاً ومن يسرع الناس في طاعته ولا يتوقفون عن بيعته)[1].

وفي ذلك إشارة واضحة إلى مبايعة الأمة للخليفة بعد اختيار أهل الحل والعقد له. ومعنى ذلك أنّ أكثرية الأمة إذا رفضت اختيار أهل العقد لم تنعقد البيعة بل للأمة مطلق الحرية في الموافقة على اختيار أهل الحل والعقد أو رفضه والتوقف عنه، ويقول الماوردي (إنها عقد مراضاة واختيار لا يدخله إكراه أو إجبار)[2]. فإذا كان من حق من يصلح للإمامة أن يرفضها راغباً عنها وهو شخص واحد فمن المعقول أن يكون هذا الحق للأمة أولى .

إتفق أهل العلم على وجوب التعجيل بإقامة الإمام وإتمام البيعة، لأنّ به تتحقق وحدة الأمة وإنتظام الأمر ومنع النزاع بين أفرادها ، فليس من المعقول أن يتحقق ذلك مع رفضهم لإمامة رجل قد عينه واحد من أهل الحل والعقد أو جماعة قليلة منهم. إذ أنّ تعيين أهل الحل والعقد مع رفض الأغلبية له سيزيد النزاع مما تنتفي معه الحكمة من قيام منصب الخلافة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (يصير الرجل إماماً حتى يوافقه أهل الشوكة الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة، فإن المقصود بالإمامة إنما يحصل بالقدرة والسلطان إلى أن قال ... فالإمامة ملك وسلطان والملك لا يصير ملكاً بموافقة واحد أو اثنين أو أربعة إلا أن تكون موافقة هؤلاء تقتضي موافقة غيرهم بحيث يصير ملكاً بذلك، وهكذا كل أمر يفتقر إلى المعاونة عليه لا يحصل إلا بحصول من يمكنهم التعاون عليه)[3]. ويقول ابن تيمية موضحاً ما يختص بمبايعة أبي بكر رضي الله عنه (لو قدر أن عمر وطائفة معه بايعوه وامتنع سائر الصحابة عن البيعة لم يصر إماماً بذلك وإنما صار إماماً بمبايعة جمهور الصحابة الذين هم أهل القدرة والشوكة). وأبو بكر بايعه المهاجرون والأنصار الذين هم بطانة رسول الله *صلى الله عليه وسلم*، والذين بهم صار للإسلام قوة وعزة ... فجمهور الذين بايعوا رسول الله *صلى الله عليه وسلم* والذين بهم صار للإسلام قوة وعزة قد بايعوه وأما كون عمر أو غيره سبق إلى البيعة ففي كل بيعة لابد من سابق[4].

وكذلك عمر بن الخطاب لما عهد إليه أبو بكر إنما صار إماماً لما بايعوه

(١) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص٧ .

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٧ .

(٣) ابن تيمية ، منهج السنة النبوية . بولاق : المطبعة الاميرية ، ١٣٢٢هـ ج١ ، ص١٤١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأطاعوه ولو قدر أنهم لم ينفذوا عهد أبي بكر ولم يبايعوه لم يصر إماماً، وعثمان بن عفان لم يصر إماماً باختيار بعضهم بل بمبايعة الناس له، وجميع المسلمين بايعوا عثمان بن عفان لم يتخلّف عن بيعته أحد ، وكذلك خلافة علي بن أبي طالب كانت بمبايعة غالبية الناس له[1] .

مراحل انتخاب رئيس الدوله في الإسلام :- تبعاً للسوابق التاريخية التي وردت في في كتب السياسة الشرعية في بيان عملية الانتخاب لرئيس الدولة فإنها تمر بثلاث مراحل أو مرحلتين من الثلاثة، غير أنّ ذلك لا يمنع أن يتفق المسلمون في زمانهم على أسلوب جديد لانتخاب رئيسهم أو خليفتهم، ومما ورد في كتب السياسة الشرعية، أن المرحلة الأولى والثانية تتعلق بعملية الترشيح، وتتعلق المرحلة الثالثة بعملية الانتخاب العام (أو البيعة العامة). ويمكن اختصار المرحلة الأولى والثانية بمرحلة واحدة هي (البيعة الخاصة).

المرحلة ١ : في هذه المرحلة ربما يعهد الخليفة القائم على الأمر فيوصي بتولية من يليه على أمر المسلمين كعهد أبي بكر لعمر وكاختيار عمر لمجموعة من الصحابة يكون الخليفة من بينهم ، وقد يكون الترشيح من قبل أهل الحل والعقد بأن يقدموا واحداً أو أكثر من المرشحين للرئاسة حيث يتم اختيار أحدهم كما فعل عمر وأبو عبيدة حين قدما أبا بكر للخلافة فبايعه الناس .

المرحلة ٢ : وتختص هذه المرحلة بالموازنة والمفاضلة بين المرشحين المقدمين لكي يقدم للأمة أفضلهم. حيث يقوم أهل الحل والعقد ومن حضر من أهل الرأي والتقى والورع في المفاضلة بين المرشحين إلى أن يستقر رأيهم على واحدٍ منهم، وقد ذكر الماوردي الشروط الواجب توافرها في مرشح الخلافة بأنها سبعة[2] :-

الأول : (العدالة الجامعة لشروطها، ويقصد بها التقوى والورع وسمو الخلق والصدق في الدين) .

الثاني : (العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام) .

الثالث : (سلامة الحواس مثل السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة ما يدرك بها).

الرابع : (سلامة الأعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة وسرعة النهوض).

الخامس : (الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح).

السادس : (الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيعة وجهاد العدو).

السابع : (النسب أن يكون من قريش لورود النص فيه واتفاق الإجماع عليه،

---

(١) محمد أبو فارس ، النظام السياسي في الاسلام ، ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأردف قائلاً (ولا اعتبار بقرار حين شذ فجوزها في جميع الناس) .

ولم يجوز العلماء العهد بالبيعة للصبيان والمجانين وإن عقد فهو باطل، وقد اشترط الماوردي في كتابه لأهل الشورى الذين يوكل لهم اختيار الإمام شروط هي العدالة الجامعة لشروطها والعلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة والرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للإمامة أصلح[1]. وقد عرف النووي أهل الحل والعقد بأنهم العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يتيسر اجتماعهم[2].

ويجب على أهل الشورى والحل والعقد التأكد من الشروط المفروضة للمرشح أو المرشحين ثمّ المفاضلة بينهم ومن ثمّ عرضهم على الأمة لإعطاء القرارفيمن يقع عليه الاختيار .

المرحلة ٣ : تأتي المرحلة ٣ وهي موافقة الأمة أو غالبيتها على ترشيح أهل الحل والعقد. فإذا وافقت الأمة انعقد للرئيس ملكه وإلا فلا. ويمكن أن تكون البيعة بصورتها المعهودة في مبايعة الرئيس مباشرة كناية عن الموافقة وأن تتم البيعة في الأمصار البعيدة لمن يوكله الخليفة عنه، أو أن تتم بأسلوب آخر وهو ما يسمونه اليوم الانتخاب الحر المباشر. وهو يعطي النتيجة نفسها، فإذا منحت الأمة ثقتها لرئيس انعقدت إمامته وإذا فاز بما هو أقل من النصف لن تنعقد ولايته ويجب ترشيح غيره.

وقد اختلف أهل الفقه والعلم في مسألة فرعية وهي عدد أهل الشورى والاختيار فقال الأصمّ (الإمامة لا تنعقد إلا بإجماع الأمة عن بكرة أبيها)[3]. وقال بعض الصحابة كمعاوية وعائشة وغيرهم إنها لا تنعقد إلا بجمهور أهل الحل والعقد من كل بلد[4] . وقد ذهب بعض العلماء بأنها تنعقد بمن يحضر من أهل العلم ولم يشترط عدداً معيناً [5] .

وقد يقع الخلط بين أهل الحل والعقد وبين أهل الاختيار فالواضح أن أهل الحل والعقد قد يكونون بضعة رجال ، أما أهل الاختيار فقد ثبت من خلال الروايات المختلفة أنهم ربما يكونون الأمة كلها أو أكبر عدد منها.

إن الذي ورد في أسلوب انتخاب رئيس الدولة هو ما تواترت الروايات على صحة نقله، غير أنّه يمكننا أن نؤكد الحقائق التالية فيما يتعلق بانتخاب

---

(١) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٦ .

(٢) عبدالوهاب الشيشاني، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، ص٦٢٣ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، فصل ٣٠، ص ١٧٩ .

(٤) البغدادي ، أصول الدين، ص٢٨١ .

(٥) محمد هشام الرئيس ، النظريات السياسية الإسلامية . مصر : دار المعارف، ١٩٦٦ ، ص١٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رئيس الدولة الإسلامية :-

١. إنّ ما تمّ الإتفاق عليه من أسلوب في انتخاب الخليفة أو ما يعادله إنما كان اجتهاداً من أهل الزمان والمكان ولم يرد فيه نص شرعي ثابت .

٢. لم يضع الإسلام نظاماً ثابتاً لاختيار رئيس الدولة أو أي شخص منتخب آخر.

٣. لا يوجد ما يمنع الأمة من انتخاب الرئيس أو أعضاء مجلس الشورى بأسلوب الانتخاب الحر المباشر ، وعليه فإنّ أسلوباً من الأساليب التالية ربما يكون مناسباً لانتخاب رئيس الدولة في دولة إسلامية معاصرة ، اعتماداً على ما يوافق الشريعة ولا يخالف نصوصها وبما يتفق مع سلوك السلف الصالح في انتخاب الخليفة، وكذلك ما يتفق مع آراء الباحثين في هذا الحقل بما يتفق مع الظروف الراهنة التي تعيشها الأمة.

الأول:-

أ- يقوم أعضاء مجلس الشورى الذين تمّ انتخابهم بطريقة حرة مباشرة بالتشاور فيما بينهم لاختيار عدة أشخاص يتم طرحهم في مجلس الشورى لانتخاب أفضلهم لرئاسة الدولة على شرط أن يحظى المرشح لرئاسة الدولة بأغلبية الثلثين .

ب- يشترط فيمن يعرضه مجلس الشورى أن يكون متمتعاً بالشروط السابق ذكرها، وعلى أن لا يقوم المرشح بتزكية نفسه بل يزكيه غيره .

جـ- يتم إعادة الانتخاب داخل مجلس الشورى للمرة الثانية بين أعلى المرشحين الاثنين إذا لم يحقق أحد المرشحين الأغلبية المطلقة في الثلثين من خلال الجولة الأولى .

د- يقوم مجلس الشورى بتقديم المرشح الذي يحصل على الأغلبية المطلقة للشعب من أجل منحه الثقة .

هـ- إذا تمّ عرض المرشح الفائز على الشعب في استفتاء عام وحصل على نسبة تقل عن ٥١٪ تتم إعادة الترشيح مرة أخرى وبنفس الطريقة السالفة الذكروذلك حتى يتحقق للأمة انتخاب الرجل الكفؤ لهذا المنصب العظيم .

و- إذا حصل الرئيس المرشح على نسبة ٥١٪ فما فوق فإن ذلك يعني مبايعته من قبل الأغلبية وعلى الأقلية أن ترضى برأي الأغلبية وعليه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تجب طاعته والسمع له.

الثاني:-

أ- يقوم أعضاء مجلس الشورى بانتخاب مجموعة من الرجال ممن تنطبق عليهم شروط الولاية العظمى ويتم إجراء الاقتراع عليهم داخل المجلس .

ب- بعد إعلان النتائج يتم اختيار من حصلوا على أعلى الأصوات وللمجلس القرار في ذلك في أن يعرض منهم أعلى اثنين أو ثلاثة على الأمة .

جـ- العدد الذي يقرره مجلس الشورى يتم عرضه على الأمة ليتم انتخابهم بطريقة حرة مباشرة .

د- الرئيس الذي تتم مبايعته من قبل الأمة هو الذي يحصل على الأغلبية المطلقة ٥١٪ .

هـ- إذا لم تتحقق هذه النسبة في الجولة الأولى فيتم عرض أعلى المرشحين الاثنين على الأمة مرة أخرى، وبعدها تتم مبايعة الرئيس الذي يحصل على أعلى الأصوات .

والثابت أنه لا يوجد نص ثابت يمنع من تقدم أكثر من مرشح لمنصب الرئاسة بشرط توفر الشروط اللازمة بهم . وعلى الأمة أن تفاضل بينهم ومن يحصل على النسبة المقررة للنجاح يكون المرشح الفائز لرئاسة الدولة .

من خلال ما تقدم بحثه يتبين لنا أن الإسلام قد منح الأمة الحرية التامة وبدون إكراه أو إجبار لاختيار مرشحها لرئاسة الدولة. وليس للخليفة أو من ينيبه استخدام أي من أساليب الضغط والإكراه لإجبار الأفراد أو الجماعات على اختيار رجل بعينه، كما أن الأمة تصبح في حل من بيعتها لرئيس الدولة إذا أخل بالعقد السياسي المتفق عليه، والعقد بينهما هي الواجبات المناطة به فإذا قصر في أدائها أو انتقص من شروطها تصبح الأمة في حِلٍ من بيعته وعليها عزله .

انتخاب مجلس الشورى : لم يرد نص في كتاب الله أو سنة رسوله *صلى الله عليه وسلم* يبين لنا أسلوب أختيار أهل الحل والعقد أو أعضاء مجلس الشورى، كما لم يرد نص ملزم بعدد معين لأعضاء المجلس ، وقد ترك الإسلام الرأي في هذا الأمر الاجتهادي لأهل كل زمان ومكان فيما يصلح لأهل زمانهم ، فقد ورد في كتب السيرة أن الرسول *صلى الله عليه وسلم* كان يستشير الواحد والاثنين والثلاثة وأحيانا يستشير جمهور الحاضرين ويخاطبهم عامة كما حصل في غزوة بدر، وأحياناً يستشير جمهور الناس عن طريق نواب وممثلين لهم ينقلون إليه آراء من يمثلونهم كما حصل بعد غزوة حنين في شأن توزيع الغنائم وإعادتها لوفد هوازن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد أن عادوا تائبين ، حيث تكلم المهاجرون لوحدهم والأنصار لوحدهم والأقرع بن حابس عن جماعته وعيينة عن جماعته والعباس بن مرداس عن جماعته ، ففي صحيح البخاري قال رسول الله *صلى الله عليه وسلم* (إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم. فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله *صلى الله عليه وسلم* فأخبروه أنهم طيبوا وأذنوا)[1].

ويميل معظم المجتهدين المتأخرين من أهل العلم أن تمارس عملية الشورى في الإسلام بطريقة الاقتراع السري حيث يساهم كل مسلم بالغ عاقل مؤهل في اختيار أهل الشورى. ولكن من شروط الإسلام الأساسية في اختيار أهل الشورى هو أن تتوافر فيهم الشروط الثابتة اللازمة لأهل الحل والعقد وليس كما هو معمول به في الديموقراطية الحالية. إذ قد يصل لمجلس الشورى من لا تتوافر بهم الصفات اللازمة للحل والعقد والشورى، ويرى بعض العلماء في زماننا أن تمارس الشورى من خلال مجلسين: المجلس الأول هو المجلس المنتخب مباشرة، والمجلس الثاني يتم انتخابه من قبل المجلس الأول بمساعدة رئاسة الدولة، وذلك من أهل الخبرة والإختصاص في المجالات غير الموجودة في المجلس الأول. وإذ يؤكد الفقهاء أن البيعة أو الانتخاب يجب أن تراعى في تولية الرئيس الأعلى، ولكنها من باب أولى في اختيار أهل الحل والعقد، فليس أهل الحل والعقد هم خصوص الفقهاء والمجتهدين أو أهل العلم بالقرآن فحسب. بل هم عنصر هام من عناصر تكوينه، وفي هذا المعنى يقول الشيخ شلتوت (ليس أولو الأمر خصوص المعروفين في الفقه الإسلامي باسم الفقهاء أو المجتهدين الذين يشترط فيهم أن يكونوا على درجة خاصة من علوم اللغة وعلوم الكتاب والسنة، فإن هؤلاء على عظم احترامنا لهم لا تعدوا معرفتهم في الغالب هذا الجانب، ولم يألفوا البحث في تعرف كثير من الشؤون العامة كشؤون السلم والحرب والزراعة والصناعة والتجارة والإدارة والسياسة)[2].

ويؤكد الشيخ عبدالوهاب خلاف بقوله (فإذا اختيرت جماعة متوافرة فيهم هذه المؤهلات وضمت إليهم جماعة من العدول وأولي العلم بشؤون الدنيا من قانونية واقتصادية وتجارية واجتماعية وصحية وغيرها. تكونت من هاتين الجماعتين جمعية تشريعية فيها الأهلية للاجتهاد والرأي)[3] .

ويرى الإمام السعد في ترجمة المقاصد يرى (أن أهل الحل والعقد الذين

---

(١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري ، جـ٨ ، ص٣٣ .

(٢) محمود شلتوت ، الإسلام ، عقيدة وشريعة. بيروت : دار القلم ، ١٩٦٦، ص٤٦٢ – ٤٦٤ .

(٣) محمد الدريني ، خصائص التشريع الإسلامي ، ص٤٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنعقد بهم البيعة هم (خواص الأمة) من العلماء ورؤساء الجند والمصالح، ولأنهم العارفون بالمصالح التي تحتاج إليها الأمة فتشرع لها من الأحكام الاجتهادية ما يناسبها إن لم يرد نصوص خاصة تتعلق بها، وهؤلاء هم الذين يمثلون الأمة، ولذا كان إجماعهم على أمر حجة ملزمة يجب العمل بمقتضاها)[1] .

من خلال ما تقدم ذكره نرى أن الإسلام لم يقيد الأمة بنظام ثابت في اختيار مجلس الشورى، فإن قامت الأمة باختيار مجلس واحد توفرت فيه جميع الاختصاصات اللازمة للتشريع للأمة فقد كفى، وإن كان المجلس المنتخب يفتقر إلى بعض التخصصات اللازمة لمصلحة الأمة، فإن الإسلام يمنح رئيس الدولة سلطة تقديرية في تعيين بعض عناصر الكفاءات الممتازة في الدولة إذا أخطأهم الانتخاب الحر، وكانت الدولة في ظرف من الظروف بحاجة ماسة إلى اختصاصاتهم وخبراتهم لتحقيق المصالح العامة[2] .

---

(١) محمد الدريني ، خصائص التشريع الإسلامي ، ص ٤٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث

القيود والضمانات للحرية السياسية في الإسلام

لم يقيد الإسلام الحرية إلا ضمن الحدود التي يقتضيها الصالح العام أو يدعوا إليها احترام الآخرين. وعمد الى كل نظام يتعارض مع هذه المبادئ وهذه الأسس فألغاه مرة واحدة إن كان لا يترتب على إلغائه مرة واحدة زلزلة تضطرب بها حياة الجماعة .

وألغاه على مراحل ووضع عليه قيوداً تكفل القضاء عليه بالتدريج حين يكون في إلغائه مرة واحد ما يؤدي إلى تلك النتائج ، ومثال ذلك تسلسل الإسلام في تحريم الرق .

لقد حرص الإسلام على تطبيق مبدأ الحرية على تلك الأسس والمناهج القويمة في مختلف شؤون الحياة حيث تقتضي كرامة الفرد تطبيقها فيها، قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ). وهذه الشؤون الحياتية هي الدينية والمدنية ونواحي التفكير والتعبير ومناهج السياسة ونظام الحكم . وكانت الغاية التي قصدها التشريع الإسلامي من تقرير الحرية في هذه النواحي والشؤون هي تحقيق مصالح الناس. وليس المقصود بالمصالح ما انبنى منها على أهواء النفوس والوصول إلى شهواتها من جلب مصالحها الشخصية أو دفع مفاسدها العادية. بل الأصل هو تحقيق مصالح الناس المشروعة وكفالتها[1] .

وسوف نبين في هذا المبحث مبادئ وقيود الحريات العامة في الإسلام ، وكذلك الضمانات التي أقرها الإسلام حفاظاً على الحريات العامة. وذلك في المطلبين التاليين:

المطلب الأول : مبادئ وقيود الحرية السياسية في الإسلام .

المطلب الثاني : ضمانات الحرية السياسية في الإسلام .

المطلب الأول

مبادئ وقيود الحرية السياسية في الإسلام

وضع علماء الشريعة مبادئ تشريعية عامة استنبطوها من نصوص الشريعة الإسلامية ومصادرها الرئيسية القرآن والسنة النبوية الشريفة وتستهدف هذه المبادئ تحقيق مصالح الناس المشروعة وكفالتها، وقد بين

(١) عبدالوهاب الشيشاني ، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ، ص٢٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدكتور عبدالوهاب الشيشاني جملة من هذه المبادئ أهمها[1] :

١- المبادئ الخاصة بالإباحة الأصلية :-

ويرى هذا المبدأ أنّ كل شيء مباح مالم يرد فيه نص يمنعه أو يحرمه. فكل شيء مباح في الأصل. وعليه فإنه لا يوجد ما يحدد حرية الإنسان إلا أمراً واضح المنع أو التحريم .

٢- المبادئ الخاصة برفع الحرج :-

أساس ذلك قول الله تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)[2]. والحرج شرعاً مرفوع والحاجات تنزل منزل الضرورات في إباحة المحضورات .

٣- المبادئ الخاصة بدفع الحرج :-

الأصل في الشرع أن الضرر يجب أن يُزال. والضرر لا يُزال بالضرر ومعروف أنّ تحمل الضرر الخاص مقبول لدفع الضرر العام. ويرتكب أخف الضررين لاتقاء أشدهما. والضرورات تبيح المحضورات كما أنّ دفع الضرر مقدم على جلب المنفعة وكل ضرورة تقدر بقدرها .

٤- المبادئ الخاصة بسد الذرائع :-

وأساس ذلك قول رسول الله *صلى الله عليه وسلم* (كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه)[3] .

٥- ومن المبادئ التي صاغها العلماء :-

أنّ ما يفضي إلى المحظور فهو محظور وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. وأنّ الوسائل تأخذ جكم الغايات .

هذه المبادئ شملت مصالح الناس أفراداً أو جماعات وأقرت الحريات العامة التي لا تتنافى معها ولا مع أي مبدأ تشريعي عادل .

المعروف أنّ الأصل في تقرير الأحكام الشرعية هو مراعاتها لمصالح الناس أفراداً وجماعات كما أنّ الأصل في تقرير الحريات العامة هو مراعاتها للأحكام الشرعية التي بنيت عليها هذه المبادئ. وعلى ضوء هذه المبادئ كان تقرير الإسلام للحريات التي اعتمد الإسلام في سبيل تقريرها الهدوء والإتزان على أساس أنه حيثما وجدت المصلحة فثمّ شرع الله. أي أنّ مصالح الناس مقصد من مقاصد الشريعة. تلك المصالح البعيدة على الهوى والفردية والمتصفة بالعموم والموضوعية والتجرد وتخص الطبقة العامة من الناس، فهي ليست لقوم دون

(١) عبدالوهاب الشيشاني ، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ، ص٢٤٠ - ٢٤٢ .

(٢) سورة الحج ، آية ٧٨ .

(٣) رواه البخاري ومسلم. كما ورد في الاربعين النووية للنووي، ص٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قوم ولا لجنس دون جنس . وهذه الحريات التي أقرتها مبادئ الإسلام لم تكن نتاج تغيير ثوري دموي بثورة جامحة خططت لها العواطف دون العقول كما حصل في كثير من الثورات الدموية وخاصة في دول العالم الثالث التي لا يزال عدد منها يعاني ويلات هذه الثورات، أو كما حصل في الثورات الشيوعية التي ادعت أنها إنّما جاءت لتحرير الإنسان من العبودية والرأسمالية، فكان نتاج حصادها وبالاً وخسراناً على الإنسان ذاته، فازداد القهر والطغيان، وطبقت دكتاتورية الحزب بدل دكتاتورية الفرد، فكانت النتيجة التي رأيناها جميعاً بأن الظلم لن يدوم. لقد بنى الإسلام أسسه ومبادئه على نسق متلائم مع طبقة البشر ومع العقول الناضجة والافهام المدركة والفطرة السليمة. فإذا دعا إلى عقيدة أوركن تجافي عن الإلتزامات التي لا تحيطها العقول ولا تدركها الافهام ، وكلّما همَّ بتعليق أصل من أصوله بدأ بالمقدمات النظرية ثمَّ ينتهي بالتحذير من جحودها عناداً وكفراً[1]. وذلك كما يقول تعالى: (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وإنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ)[2]. وقوله تعالى: (لِكَيْ لا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)[3] .

إنَّ المتتبع لجميع النصوص الشرعية الواردة في شأن الحرية الفردية في الإسلام يجدها جميعاً تؤكد أنَّ منطق الحرية في الإسلام ينبني على أنَّ حرية الإنسان في الإسلام مطلقة حتى تصطدم بالحق أو الخير، فإذا اصطدمت بأحدهما أو حالت دون أي منهما فإنَّ الإسلام يضع القيود والحدود الكفيلة بدوام الحق ودوام الخير .

القيود التي فرضها الإسلام على الحريات

لقد أقر الإسلام الحرية السياسية لمواطني الدولة الإسلامية، ولا يعني هذا بطبيعة الحال الإقرار المطلق لهذه الحرية ، بل قيد الإ سلام هذه الحرية فيما يتعلق منها بمصلحة الأمة في مجال سلامة النظام العام أو أن تؤدي هذه الحرية إلى إشعال الفتنة في المجتمع. فوحدة الأمة وتماسكها مسؤولية كل مسلم بل كل مواطن وهي من المسوؤليات الكبرى لرئاسة الدولة. حيث يقع على عاتق رئاسة الدولة في الإسلام توفير الأمن والاستقرار للمواطنين ومقاومة كل قول أو فعل يمكن أن يؤدي إلى ضرر أو سوء لفرد من أفراد الدولة أو متاع من أمتعتها .

وقبل أن نبين القيود التي فرضها الإسلام على الحرية السياسية فسوف

---

(١) عبدالعزيز جاويش، الإسلام دين الفطرة والحرية . مصر : دار المعارف ، ١٩٦٨م، ص٤١-٤٢ .

(٢) سورة الأنفال ، اية : ٤٢ .

(٣) سورة النساء ، اية ١٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نبين معوقات الحرية كما بينها الإسلام .

١- الهـــوى :-

حذر الله من اتباع الهوى ومخالفة أمره. وذم المعرضين عنه سبحانه باتباعهم هواهم متوعداً إياهم بالعذاب العاجل والآجل. لأنّ اتباع الهوى مضاد للحق وقسيم له كما في قوله تعالى: (يا داوودُ إنّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الأَرضِ فاحْكُمْ بينَ النّاسِ بالحَقِّ ولا تَتَّبِعِ الهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ)[1]. فجعل الهوى مضاداً للحكم بالحق بين الناس، وفي اتباع الهوى اعتداء على حريات الآخرين واستخدام لحرية الإنسان في غير موقعها. فكم من حريات الناس قد ضاعت باتباع الهوى، وكم من الظلم قد وقع بسبب الميل والزيغ والهوى. لذلك جاء الإسلام لينظم الحرية الفردية في غير هوى ولا ميل حرية شعارها العدل والإحسان وإحقاق الحق ولو على النفس. قال تعالى: (وَلا يَجْرِمَنَّكُم شَنَآنُ قَوْمٍ على ألا تَعْدِلوا اعْدِلُوا هُوَ أقْرَبُ لِلتَّقْوى) .

٢- سلطان المـال وحبـه :-

حب المال داء كبير . إذا غزا القلوب أسرها وحرمها من أن تعيش حرة كريمة . فالمال من المعوقات الكبيرة التي إذا تمكنت من القلوب أنْستها ذاتها. قال تعالى: (وتُحِبُّونَ المالَ حُبّاً جَماً)[2]. وقال تعالى: (وإنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيد)[3] .

٣- التعصب :-

قد يكون التعصب للمبدأ وقد يكون للجنس وقد يكون للدين وكل تعصب مهما كان نوعه فهو عدو للحرية . لأنّ التعصب لجهة دون جهة معناه انتقاص الحرية للطرف الآخر . من هنا كانت دعوة الإسلام إلغاءُ لكل تعصب مهما كان أساسه. قال تعالى: (يا أيُّها النّاسُ إنّا خَلَقْناكُم مِنْ ذَكَرٍ وأُنثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إنَّ أكْرَمَكُمْ عندَ اللّهِ أتْقاكُم إنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِير)[4]. لقد جاء الإسلام وحرم كل عصبية إلاّ التعصب لله سبحانه وتعالى، وحتى التعصب لله سبحانه فقد كان في الحدود التي أرادها الله لنفسه على بصيرة وعلى علم .

---

(١) سـورة ص ، آيـة ٢٦ .
(٢) سورة الفجر ، آيـة ٢٠ .
(٣) سـورة العاديات ، آية ٨ .
(٤) سـورة الحجرات ، آيـة ١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- **الجهـل** :-

أكثر بقاع الأرض رضاً بالعبودية هي البقاع التي يسودها الجهل، وحيث المجتمعات الجاهلة حيث الاستعباد والاسترقاق . وعليه فقد كان الرق وكانت العبودية يوم أن كانت الجاهلية هي عنوان العرب في جاهليتهم، وكذلك كان الاستعباد وكان الرقيق في أوروبا يوم كانت تعيش دياجير الظلم والجهل، وما تحررت أوروبا من واقعها القديم إلا بعد تفتيت بذور الجهل وجذوره. من هنا كانت دعوة الإسلام أول ما كانت دعوة للعلم والقراءة، فجاء قوله تعالى في أول آية أنزلها على رسوله: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)[١]. وكان حرص الإسلام دائماً على تعليم الناس وإخراجهم من جهلهم، ولم يدع الإسلام فرصة تفوته إلاّ واستغلها في سبيل العلم والتعلم. حتى أنّ رسول الله *صلى الله عليه وسلم* جعل فداء الأسرى يوم بدر أن يقوم بعضهم بتعليم عشرة من أبناء المدينة لقاء إطلاق سراحه .

٥- **الكبـرياء والاستعباد** :-

حرم الإسلام الكبر، لإنّ الكبرياء لله وحده، وإذا ما اتصف الإنسان بصفة الكبر فإنّ ذلك يعني غمط حقوق الناس وانتقاصها، وهذا بعينه إنتقاص لحرياتهم لقوله تعالى: (ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ولا تَمْشِ في الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)[٢]. وجاء نهي الرسول *صلى الله عليه وسلم* عن هذا الخلق الذميم حيث يقول عليه السلام فيما يرويه عبدالله مسعود عنه (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر-إلى أن قال-الكِبر بطر الحق وغمط الناس)[٣].

وحيث تكون الكبرياء يكون الظلم والاستعباد، ففرعون ما دعاه لاستعباد قومه وإهانتهم ومصادرة حرياتهم إلا درجة الكبر التي كان يتمتع بها، من هنا حرص الإسلام على إلغاء الكبرياء والاستعباد من قلوب أتباعه، وذلك للخطر الكبير الذي يشهده المجتمع من جراء هذه الصفات الذميمة. وحيث يكون الاستعباد والكبرياء حيث تنعدم الحرية وتذوب شخصية الرجال .

٦- **الظلـم** :-

أكبر أعداء الحرية هو الظلم، وعليه فقد حرص الإسلام على إزالة الظلم

---

(١) سورة العلق ، آية ١

(٢) سورة لقمان ، آية ١٨ .

(٣) صحيح مسلم ، حديث رقم ٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأثاره في المجتمع المسلم، وقد أكدت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة بحرص وشدة على وجوب مقاومة الظلم والظالمين. وقد اعتبر الإسلام الحرية معدومة في جو الظلم والظالمين ، واعتبر الظلم محرماً عند الله وعند الناس . فقد جاء في الحديث القدسي الذي يرويه أبو ذر الغفاري رضى الله عنه عن النبي *صلى الله عليه وسلم* فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : (يا عبادي إنّي حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)[1] .

كما أنّ الإسلام يعتبر كل أمر يقف في وجه تمتع الإنسان بحريته عائقاً يجب على الدولة المسلمة أن تسعى لإزالته وأنّ تخلص الناس منه .

وبعد بيان أهم معوقات الحرية في الإسلام فلا بد من بيان أهم القيود التي فرضها الإسلام على الحرية .

١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :-

أقر الإسلام مشروعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واعتبرها من دعائم حراسة الخير في الأمة، وأنّ ترك هذه الدعامة يؤدي إلى تفشي الفساد وظهور التفرق والتنافر وسيادة روح اللامبالاة . لذلك فإنّ الأمة تستحق اللعنة إن هي تركت هذه الوظيفة . حيث حرص الإسلام أن تكون هذه الخاصيّة في ذاتية كل مسلم وكل فرد في الأمة حيث يقول تعالى: (ولْتَكُنْ مِنكمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الخيرِ ويأمُرونَ بالمعْروفِ وينْهَوْنَ عَنِ المنْكَرِ وأولئكَ هُمُ المفلِحُون)[2]. ويقول تعالى في بيان لعنته لمن يترك هذه الخاصية (لُعِنَ الذين كَفَروا مِنْ بَنِي إسْرائيلَ على لِسانِ داوودَ وعيسى ابْنِ مريَمَ ذلكَ بما عَصَوْا وكانُوا يَعتَدُون ، كانوا لا يَتَناهَوْنَ عنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ ما كانُوا يفْعَلُون)[3] . إنّ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقتصر ضرره على إفساد الجماعة فقط بل يتعداه إلى تفريق صفوف الأمة وتنابذها حيث يؤدي ذلك إلى كثرة المنكر في الأمة، وعندما يتعاظم المنكر ويكثر ولا يجتريء الناس عن النهي عنه يؤدي ذلك إلى فساد المجتمع، والفساد يؤدي إلى اعتداء الناس بعضهم على بعض .

إنّ وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كونها واجباً فإنها تتعدى موضوع حرية الفرد السياسية، ويعتبر قيدها واجباً لأنّه بها تتم المحافظة على أخلاق الناس وعلى وجودهم . صحيح أنّ الأمر والنهي يعتبر قيداً على حرية الإنسان لكن حرية الإنسان لا يمكن صيانتها إلا بالأوامر والنواهي، فالحرية على

---

(١) النووي ، الاربعين النووية ، ص٧١ .

(٢) سورة ال عمران ، آية ١٠٤ .

(٣) سورة المائدة ، الآيات ٧٨-٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفوضى كما أنّ الحرية المقيدة تقييداً مطلقاً تؤدي إلى الإنفجار

إطلاقها تؤدي

والـ... حرية الآخرين :-

حرم الإسلام الإعتداء على الآخرين في أموالهم وأعراضهم وحتى في معنوياتهم، فالحرية الزائدة أو المطلقة قد تدفع صاحبها أحياناً للإعتداء على الآخرين وذلك من باب الفهم السيئ أنّ الحرية معناها أن تفعل ما تشاء، والنفس في باب الحرية قد تأمر صاحبها بالشر مثلما تأمره بالخير. وعليه فقد حدد الإسلام حدود حرية الفرد من هذا الجانب جاء في قوله تعالى: (يا أيُّها الّذينَ آمَنوا لا يَسْخَرْ قومٌ منْ قومٍ عَسى أن يكونوا خَيْراً منْهُم ولا نِساءٌ منْ نِساءٍ عَسى أن يكُنَّ خيْراً منْهُنَّ ولا تَلْمِزوا أنفُسكُم ولا تَنابَزوا بِالألْقَابِ) ... إلى قوله تعالى: (يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا اجْتَنِبوا كَثيراً مِنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْم)[1] .

وقد حذر الرسول *صلى الله عليه وسلم* من موضوع الإعتداء على حرمات الآخرين أو الطعن في أعراضهم، وأوجب الإسلام عقوبات محددة على كل من يتعدى الحدود المرسومة له. وذلك حفاظاً على كرامة الناس وأعراضهم وحتى يبقى المجتمع المسلم مجتمعاً آمناً مطمئناً تسوده الألفة والمحبة. والإسلام يعتبر الحرية ملكاً للجميع ولا يجوز التعدي عليها، ويعتبر أن انتقاص حرية فرد ما يعني اكتسابها من قبل فرد آخر وهو ما يحرمه الإسلام، وعليه فالإسلام يمنع المسلم بأن يستغل حرية القول للطعن في أعراض المسلمين لما فيه من فساد لجماعتهم ودمار لوجودهم، وعليه فاحترام النفس البشرية واحترام حرية الآخرين يعتبرها الإسلام من القيود اللازمة بل من المفروضة من أجل المحافظة على الحرية صافية نقية لا تشوبها شائبة .

٣- النهي عن الفساد والعبث بمقومات المجتمع :-

قال تعالى: (ولا تُفْسِدوا في الأرْضِ بعدَ إصْلاحِها وادْعُوهُ خَوْفاً وطَمَعاً إنَّ رحمةَ اللّهِ قَريبٌ مِنَ المحْسِنين)[2]. وعن عائشة رضى الله عنها أنّ رسول الله *صلى الله عليه وسلم* قال: (ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب، الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله والمستحل لحرمة الله، والمتسلط بالجبروت ليذل من أعز الله. ويعز من أذل الله، والمستحل ما حرم الله من عترتي والتارك للسنة)[3] .

(١) سورة الحجرات ، الآيات ١١-١٣ .

(٢) سورة الأعراف ، ايـة ٥٦ .

(٣) جامع الأصول ، جـ ١٠، ص ٧٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis D

يشدد الإسلام على هذه القضية حيث يهدد الله أولئك الذين يسعون بالفساد في الأرض بالعذاب الأليم في الآخرة وبالقتل والتصليب في الحياة الدنيا. فإذا تمَّ استغلال الحرية من أجل الفساد في الأرض أو التسلط على الآخرين أو الكذب على الغير أو استحلال حرمة الله، فإنَّ الإسلام يقف موقفاً قوياً في وجه من يريدون ذلك حتى ولو كان ذلك قهراً لحرياتهم، لأنَّه لا يجوز في الشرع التعدي على حقوق الآخرين إرضاءً لرغبة الشخص وهوى النفس . حتى أنَّ الإسلام يمنع الإنسان من الادلاء برأي إذا كان في هذا الرأي إعتداء وإفساد وتخريب . فإدلاء المسلم بأي رأي يؤدي إلى الإفساد في المجتمع محظور، ويتصدى ولي الأمر لضمان كف الناس عن مثل ذلك لأنَّه سعي لإفساد الأمر بعد إصلاحه .

٤- إقرار العقوبات والحدود الشرعية :-

لا يخلو مجتمع من عقوبة، فالعقوبة قوة رادعة ضد المعتدي والعقوبة أداة لتنقية المجتمع من الشوائب . وأمة لا تفرض العقوبة على المعتدي ليست بأمة بل لا أظنها موجودة، فطبيعة النفس البشرية الخطأ وكل ابن آدم خطاء. والعقاب وسيلة للتأديب والزجر. وانفلات الحرية إن لم يجد رادعاً سيزيد الأمر سوءً. والإسلام يحرص على تطبيق العقوبة ضماناً لحرية الناس. فهل ينعم الناس بحريتهم في ظل الإعتداء عليها؟، وفي العقوبة زجر المعتدي من الإعتداء عليها. إن الإسلام يجلد الزاني وشارب الخمر ويقطع يد السارق ويقتل قاتل العمد وهذا ليس إعتداء على حرياتهم بل لأنَّ في عقابهم بمثل ما صنعوا تأديباً لهم أولاً وتأديباً لغيرهم ثانياً وحفاظاً على الجو العام بالأمن والاستقرار ثالثاً. وعندها ينعم المجتمع كله بالأمن والأمان وينعم الأفراد بحرياتهم سليمة من الإعتداء عليها، ومن ضمنت له دولته صيانة لحريته فلا أظنه يتوانى عن صيانة حرية الآخرين .

يتحامل البعض على الإسلام من خلال إقراره للعقوبات الشرعية ويعتبرون في هذا النظام إعتداء على حقوق الإنسان وكبحاً لجماح الحرية الفردية والشخصية لبني البشر. والإسلام واضح المعالم في هذه القضية فعلاوةً على أنَّ نصوص الشرع لا جدال فيها . إلاَّ أنَّ الإسلام بين أهمية هذه العقوبات لأي مجتمع من المجتمعات وأن المجتمع الذي ينعدم فيه العقاب ينعدم فيه الأمن وتنعدم فيه حرية الأفراد . وقد أدركت المجتمعات الغربية والشرقية أهمية العقاب في تربية المجتمع بعد أن أعطت لشعوبها جواً من الحرية غير المسؤولة. فأدى بها ذلك إلى الواقع الذي تعيشه اليوم. جو الجريمة وجو الإنتحار. الجو الذي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يأمن فيه الرجل أن يخرج من بيته بعد المساء . كل ذلك وأكثر منه يحصل عندما لا يوافق العقاب حجم الجرم المعاقب عليه .

٥- النهي عن الفحش وبذاءة اللسان :-

يعتبر القول والتعبير عن الرأي باللفظ من أكثر أدوات الحرية استخداماً. وحتى تكون الحرية مضمونة ومصونة للمجتمع فقد نهى الإسلام عن الفحش في القول والإدعاء على الناس والطعن في أنسابهم. يقول الرسول *صلى الله عليه وسلم* (ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعّان ولا الفاحش البذيء)[1] .

٦- تحريم الكذب :-

يحرص الإسلام بأن تكون الحرية صادقة وأن يكون استخدامها صادقاً حتى ينتفع الناس بها، وعليه فقد أكد الإسلام تحريم الكذب وذم الكذابين واعتبر الكذب من أقبح الخصال التي تضر ببناء المجتمع الإسلامي . وعليه فإنّ استخدام الكذب كجزء من اسلوب الدعاية والحوار وحرية الكلمة والتعبير عن الرأي محرم في دين الله تعالى. روى ابن مسعود أنّ رسول الله *صلى الله عليه وسلم* قال : (وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإنّ الفجور يهدي إلى النار)[2] .

وما عدا ذلك فقد أباح الإسلام للفرد حرية الرأي والكلمة وجعلها الدعامة الأساسية لبقية الحريات والحقوق، كحرية العقيدة والعمل والقول والفعل، وأباح للمسلم الإدلاء برأيه ونشره بالوسيلة التي يريدها كتابة أو قولاً أو فعلاً ويدخل في ذلك بطبيعة الحال نشره بالوسائل المتاحة في عصره كالصحافة والإذاعة وغيرها .

المطلب الثاني

ضمانات الحرية السياسية في الإسلام

للإسلام فهمه الخاص لمعنى الحرية. فهو يحرص على بقاءها وصيانتها وأن تكون مضمونة للجميع. وذلك لأنّ الله سبحانه وتعالى خلق الناس أحراراً وأرادهم أن يحيوا أحراراً، وقد بين الإسلام أنّ صاحب الحرية المتصرف بها هو الإنسان فهو الذي يتصرف من خلالها وهو في نفس الوقت أداة الضمان الأولى لها. فلا اعلانات حقوق الإنسان ولا القرارات الدولية ولا البيانات النيابية ولا وكالات الأمم المتحدة ولا الدول القوية تستطيع أن تحفظ حقوق الإنسان .

ونحن إذْ نرى الواقع المؤلم الذي يعيشه العالم اليوم، لندرك تماماً

(١) رياض الصالحين ، الحديث رقم (١٥٥٢) .

(٢) رواه مسلم ، الحديث رقم (٢٦٠٧) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهمية القرارات والبيانات الصادرة عن مختلف المنظمات والمؤسسات والجمعيات وكم تجدي نفعاً هذه القرارات، فهل أجدت نفعاً هذه القرارات في جنوب أفريقيا وفي أفريقيا نفسها؟ وهل منعت الظلم الذي تذوقه الملايين من بني الإنسانية فوق أرض فلسطين؟ أم هل أجدت نفعاً مع الأنظمة التي شردت شعوبها وأودعت الآلاف المؤلفة منهم في غياهب السجون؟ أم ماذا تجدي نفعاً هذه القرارات في تصرف الدول الكبرى مع أبناء شعوبها مثلما تفعل الولايات المتحدة (التي تدعي الديموقراطية والحرية والعدالة) بأبناء شعبها وخاصة مع السود؟ .

كذلك فإنَّ السلطة الجماعية لا تعتبر ضماناً لاستمرار حرية الأفراد وهذا (ما احتسبه الماركسيون فهم يعتبرون السلطة قهراً للحرية عندما يتولاها فرد . بينما السلطة الجماعية تعتبر من ضمانات الحريات العامة للشعوب ، وهذا ما لم يتأكد من خلال السلطة الجماعية)[1]. ولقد رأى العالم بأفراده وجماعاته كيف مورست الحرية في عهد الاشتراكية والشيوعية وكيف أنَّ الناس كانوا في كابوس الشيوعية حتى فرَّج الله عنهم ما كانوا فيه. تلك هي مفاهيم السلطة الجماعية كما رأتها الشيوعية، فلا الفردية أفلحت في إطلاق حرية الأفراد ولا السلطة الجماعية حافظت على حرياتهم .

كذلك يرى البعض أنَّ اعتبار الحريات العامة حقوقاً طبيعية ربما يحافظ عليها، ولكن من يضمن البقاء لهذا الحق الطبيعي؟

أمَّا نظرية سيادة الأمة والتي تنظر إليها كثير من الأنظمة الحديثة كمبدأ من مبادئ المحافظة على الحريات العامة. فهي نظرية أما وجودها في واقع الحياة فهو سيادة زائفة. والتساؤل هو أين سيادة الأمة؟ أهي تلك التي تُشترى بالأموال؟ أم هي التي يأخذها الأقوياء دون الضعفاء؟ أم هي سيادة الأغنياء على الفقراء؟ أم هي سيادة جنس على جنس؟ أهكذا تكون سيادة الأمة؟ إنَّ حرية لا تحكمها الضوابط ولا تنظم وجودها الضمانات الحقيقية تبقى تابعة للهوى، والهوى لا يمكن أن يضمن لك حقاً .

لقد جاء الإسلام فوضع الضوابط الشرعية التي تكفل الحرية لأصحابها ما داموا أحياء، وتكفل حُسن ذكراهم بعد موتهم، واعتبر هذه الضوابط الضمانات الحقيقية لحرية الفرد . وأهمها :

١- التربية والفهم الصحيح :-

يحرص الإسلام على تربية أتباعه تربية إسلامية قويمة ويجتهد على

(١) عبدالحميد متولي ، مبادئ نظام الحكم الإسلامي، ص٧٠-٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صنع جيلٍ واعٍ جيل خالص القلب ، خالص التصور، خالص الشعور، خالص التكوين من أي مؤثر غير المنهج الإلهي الذي يتضمنه القرآن الكريم . ذلك الجيل الذي استقى من نبع واحد فكان له في التاريخ ذلك الشأن الفريد . لقد كان الرجل حين يدخل الإسلام يخلع على عتبته كل ماضيه في الجاهلية، كان يشعر في اللحظة التي يجيء فيها إلى الإسلام أنه يبدأ عهداً جديداً منفصلاً كل الإنفصال عن حياته التي عاشها في الجاهلية[1]. فكان هذا التوحيد في منهج التربية أداة لتوحيد النظرة إلى الحياة. لقد فهم أتباع الإسلام هذا الدين ، واستقوا من نبعه فكانت وحدة التصوروالشعور والفهم القويم لهذا الدين. ذلك الفهم الذي ضمن احترام الإنسان لأخيه الإنسان وجعله يحرص على حريته وحقوقه مثلما يحرص على نفسه ، فكان الواحد يعترف بالحق ولو على نفسه. إنّ الأمة التي تتربى على منهج قويم واحد هي التي تحترم إرادتها وحريتها ولا تحتاج لسلطة خارجية لمراقبة تنفيذها. ورد في الحديث الصحيح في معنى الإحسان عندما سأل جبريل الرسول *صلى الله عليه وسلم* قال(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[2].

وهكذا أراد الإسلام لأتباعه أن يكون فهمهم ووعيهم لكل أمر من أمور الحياة .

٢- مبدأ سيادة القانون :-

إنّ وجود قانون عام تحترمه السلطة القائمة على أساسه، والشعب الذي يُطبَقُ عليه. يُعدُ من مبادئ المحافظة على الحريات، فقد كان القانون قديماً وحديثاً نقطة الفصل حتى ولو كان القانون ظالماً ... فطالما أنّه يطبق على الجميع فهو سند قوي للمحافظة على حرية الأفراد ، ويزيد من قوة القانون أنّ أي فقرة في القانون لا تبدل أو تعدل إلا بقانون. وأمة الإسلام (الحاكم والمحكوم) يستندون إلى قانون واحد ليس للسلطة ولا للشعب يدٌ في وضعه فهو قانون السماء قانون رباني. وهذا ما يزيده سنداً في احترامه وطاعته، وحتى فقرات القانون التي وضعها مجتهدوا الأمه فهي متفقةٌ تماماً مع الكتاب والسنة وتنال إجماع الأمة. وعليه فإنّ الاحتكام للقانون بعيداً عن الهوى والشهوة يعتبر ضماناً لحرية الأفراد والجماعات. وما نراه اليوم لا يعتبر قياساً. فما نراه من إعتداء على حرية الأفراد والجماعات في ظل القوانين السائدة ما هو إلاّ التفاف على القانون باسم القانون. فالقوانين تفسرها السلطة كيفما تراها مناسبة لصالحها، ولا نرى مثالاً حياً على ذلك خيراً من ليّ القانون في الجزائر عام ١٩٩٢. فالانتخابات جرت باسم القانون وإلغاؤها تم باسم القانون ، ومصادرة حرية الأفراد تمّ أيضاً باسم

(١) سيد قطب ، معالم في الطريق. بيروت: دار الشروق ، بلا تاريخ ، ص١٣-١٦ .

(٢) صحيح مسلم ، حديث رقم ٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القانون، وحتى المجلس الأعلى للدولة جاء بأسم القانون. وإعادة رجل (محكوم بالإعدام بنفس القانون) إلى رئاسة الدولة جاء بأمر القانون والدستور نفسه الذي كان قد حكمه بالإعدام فلا ندري أي شكل لهذا القانون . إنّ القانون إذا كان سيداً حقيقياً للأمة فإنّه يعتبر ضمانة حقيقية لحريتها ووجودها. أمّا إذا كان إداماً على ورق فسيبقى سلطة وسيفاً للطواغيت .

٣- **مبدأ فصل السلطات** :-

يقول المفكر البريطاني (Lord. Acton) (إن كل سلطة مفسدة والسلطة المطلقة مفسدة مطلقة). ويقول الدكتور(جوستاف لوبون) (إن السلطة نشوة تعبث بالرؤوس وتبعث فيها ما يشبه الدوار). ويقول (مونتسكيو) وهو من أوائل من دعا إلى فصل السلطات (يجب أن توزع السلطات بين هيئات مختلفة حتى يحول بينها وبين إساءة استعمالها فتصبح أداة استبداد وطغيان). ويقول أحد أساتذه الفقة القانوني الغربي وهو (هوريو) (إنّ أهم درس مستفاد من هذا المبدأ هو ضرورة وجود رقابة على السلطة، فالسلطة مفسدة والسلطة المطلقة ليست مفسدة فحسب بل مفسدة لنفسية صاحبها، بل هي مضيعة لعقليته إلى حد أن تطبع بعض تصرفات أصحاب السلطان المطلق بطابع الجنون فيما تشبه أحداث التاريخ قديمة وحديثة)[1]. فمن أمثلة التاريخ القديمة فرعون وكيف أدى به طغيانه إلى أن قال كما جاء في القرآن الكريم (أنا ربكم الأعلى). وكذلك قوله كما جاء في القرآن الكريم (ما علمت لكم من إله غيري) .

إنّ تجميع جميع السلطات في يد واحدة يعتبر قتلاً لواقع الأمة وحريتها قبل أن يكون قتلاً لأفرادها. فكيف يمكن للحرية أن تكون ونحن نرى أنّ المشرع والحاكم والقاضي هو نفسه ، وتؤكد الأنظمة الديموقراطية الحديثة على ضرورة فصل السلطات الثلاث بعضها عن بعض ، وذلك من أجل ضمان جو ديموقراطي حقيقي وتوفر حرية كاملة للأفراد في ظل هذا النظام .

وقد حرص الإسلام على جعل شخصية الخليفة أو الرئيس غير شخصية القاضي، وحرص على وجود أهل الحل والعقد والشورى من أجل المراقبة والمحاسبة وعزل الأمير إن هو تعدى ما حُدد له من حدود أو نقض العقد السياسي بينه وبين الأمة.

إن في مبدأ فصل السلطات ضمانة كبرى لحرية الأفراد، ولا يمكن للحرية أن تنمو في ظل تجمع السلطات الثلاث أو بعضها في يد واحدة .

---

(١) عبدالحميد متولي ، مبادئ نظام الحكم في الإسلام ، ص٧٩ - ٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- الرقابة القضائية :-

وجود الرقابة القضائية المستقلة على أساس القانون، بحيث يكون لهيئة قضائية مستقلة حق النظر فيما إذا كان القانون مخالفاً لدستور الأمة. فتقضي بعدم دستوريته وتمتنع عن تطبيقه في الدعوى المعروضة في حالة مخالفته للدستور أو تحكم بالغاء القانون . وجود هذه السلطة يعتبر ضمانا لثبات الحق من الإعتداء عليه. فكم نرى في أنظمتنا الحديثة من تعديات على حريات الأفراد والجماعات في ظل تهميش السلطة القضائية؟ فكم من القوانين بُدلت وغُيرت لصالح السلطان، وكم من قوانين الانتخاب قد بُدلت مرات ومرات لهوى في نفسية السلطان وبطانته، والسلطة القضائية لا تملك أن تقول كلمة واحدة في ذلك ، مثل هذه التصرفات هي في مجملها إعتداء على حرية الأفراد ومصادرة لها. لكن الأمر مختلف تماماً في الإسلام، فالقاضي يحكم على الخليفة وحكمه نافذ، ورئيس الدولة وأصغر مواطن فيها أمام القضاء سواء. لأنَّ الحكم ليس حكم القاضي وإنَّما الحكم في ذلك هو حكم الله ورسوله. فالحاكم في الإسلام لا يملك أنَّ يغير قانوناً ولا بطانته تملك ذلك بل إنَّ أهل الحل والعقد والشورى (وهم أحرار من الوقوع تحت التأثير أو الضغط). هم أصحاب القرار في استحداث أي قانون تكون فيه مصلحة الأمة. وللأمة الحق الكامل في الموافقة عليه أو نقضه. إنَّ وجود رقابة قضائية كاملة يعتبر حصناً منيعاً لحرية الأفراد في الدولة الإسلامية، وما لم تتوفر هذه الرقابة في أنظمتنا الحديثة وتمتلك الصلاحية الحقيقية في التأثير فإنَّ حرية الأفراد لن تكون مضمونة أو محفوظة .

٥- شخصية رجال الحكم :-

قوة رجال الحكم في الحرص على تنفيذ القوانين واختيار الرؤساء والأمراء الصالحين لإدارة دفة الحكم يعتبر نقطة قوة في المحافظة على حريات الناس، ففي ظل ضعف الحكام والأمراء تضعف الدولة ويأكل القوي الضعيف وتصادر حريات الناس على مرأى من حكامهم دون أن يحركوا ساكنا، من هنا جاء قوله تعالى: (إنَّ خَيْرَ مَنِ استَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِين)[1]. وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده على هذا المبدأ، فقد جاء أبو ذر الغفاري يطلب الولاية من رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليه قائلاً (يا أبا ذر إنَّها أمانة وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامة) .

وقد عرف عن الفاروق عمر رضى الله عنه حرصه وشدته في اختيار

---

(١) سورة الأنبياء ، اية ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أفاضل الرجال لمعاونته في أمور الحكم. وذلك لإيمانه المطلق بأنّ حقوق الناس وحرياتهم لا يحافظ عليها إلاّ الأقوياء المؤمنون. قال تعالى في محكم تنزيله (إنَّ اللّهَ يأمُرُكمْ أنْ تُؤدّوا الأمَاناتِ إلى أهْلِهَا وإذا حكَمْتُم بينَ النّاسِ أنْ تَحْكُمُوا بالعَدْلِ)[1] .

نخلص إلى القول بأنّ الإسلام قد وضع من القيود والحدود والضمانات ما يكفل للإنسان حياة حرة كريمة، والإسلام عندما يحرص على ذلك إنّما يؤكد الحقيقة القائلة (بأنّ الحرية لا يمكن لها أن تنمو في جو الظلم والجور والطغيان). إنّ القيود التي وضعها الإسلام لكي تحفظ على الناس وجودهم وحريتهم ربما يراها البعض إعتداء على حريات الناس، ولكن يجب أن لا يغيب عن أذهاننا بأنه حتى نحيا حياة حرة كريمة وننعم بنعمة الحرية فلا بدّ لنا أنّ نتنازل عن جزء من حريتنا تصبح ملكاً للمجتمع كله، وهكذا كل فرد من افراد المجتمع ، وإن الضوابط التي وضعها الإسلام للمحافظة على حريات الناس تعتبر الضمانات الحقيقية للحرية التي ننشدها، وما لم تطبق هذه الضمانات في واقع الحياة تبقى حرية الأفراد في خطر كبير .

---

(١) سورة النساء ، آية ٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

الممارسة السياسية لمفهوم الحرية السياسية في الإسلام

بالرغم من أنّ الإسلام ظهر في مكة وبدأ منها إلا أن البداية الكاملة كانت في المدينة المنورة، فالإسلام كمجتمع وشعب وأرض ونظام لم يأخذ كينونته إلا في المدينة المنورة، حيث المجتمع المسلم والأرض الإسلامية والنظام الإسلامي، والحكم الذي يأخذ شكل الدولة وحرية التصرف فيها. لم تأخذ الدولة والحكومة في عهد الرسول *صلى الله عليه وسلم* شكلها بالمعنى الحديث، ذلك لأنّ الرسول*صلى الله عليه وسلم* كان ينفذ في حكم الناس شريعة إلهية ويطبق في المجتمع مبادئ دينية. وكان الرسول *صلى الله عليه وسلم* هو المرجع الوحيد في جميع الأمور، في إعلان الحرب والصلح والقضاء والعطاء، وكان المجتمع المدني مجتمعاً صغيراً ويسمع الجميع من رسول الله *صلى الله عليه وسلم* مباشرة، وليس أدل على صغر حجم المجتمع إلا حجم الجيش الذي قاتل في بدر حيث كان عددهم (٣١٣) رجلاً. لذلك لم يأخذ الحكم شكل الحكومات الحديثة من حيث التنظيم والتوسع الذي نشهده اليوم. غير أنّ الرسول *صلى الله عليه وسلم* اعتمد مبدأ الشورى في الأمور الدنيوية ومنها أمور الحكم، فكان يستشير أصحابه في معظم أمور الحكم ولقد كثرت مشاوراته لأصحابه وعلى رأسهم وزيريه أبو بكر وعمر. وما أن بدأت تتسع رقعة الدولة الإسلامية حتى بدت الملامح السياسية فيها أكثر وضوحاً، فبينما نجده *صلى الله عليه وسلم* يقضي بين جميع المسلمين في المدينة نجده من ناحية أخرى وعندما اتسعت رقعة الدولة يبعث معاذاً قاضياً إلى اليمن ويوكله الأمر فيها .

وعندما آلت الخلافة إلى أبي بكر وعمر من بعده وهكذا بقية الخلفاء في عهد بني أمية وبني العباس أخذت الدولة شكلاً أكثر تطوراً، فكانت الدواوين والوزارات والولاة على الأمصار واشتراك المسلم وغير المسلم في الحكم وإدارة الدولة . هذا وقد كان للشورى دورٌ واضحٌ في العملية السياسية في الدولة الإسلامية حتى في العصور الأخيرة والتي أصبح الحكم فيها وراثيا، ولم يمنع ذلك من تطبيق مبدأ الشورى والمحافظة عليه. ولقد تمتع المجتمع في ظل الإسلام بحرية كاملة في جميع مجالات الحياة السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية والدينية. حتى أنّ الأمور قد تعدّت نصابها في عهد بعض الخلفاء العباسيين، فقد اقترب غير المسلمين من الحكم وكان دورهم واضحاً في إدارات الدولة المختلفة،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان ذلك في البلاد المفتوحة حديثاً حيث كان فيها نسبة عالية من النصارى وأهل الديانات الأخرى، ومع ذلك فإنّ الأمر كان ملحوظاً في دواوين الدولة وفي حضرة الخلفاء ونوابهم. حيث كان النصارى وغيرهم على مقربة من الخلفاء والولاة .

وسوف نعرض في هذا الفصل لمفهوم الحرية السياسية كتجربة سياسية في عصور الإسلام المختلفة من العهد المدني وحتى عصور العباسيين. وكذلك التجربة السياسية للحركة الإسلامية المعاصرة، وسوف يكون العرض من خلال الأحداث التي تبين الفهم الحقيقي للحرية السياسية في الإسلام دون التعرض للتجربة السياسية كنظام سياسي في حينه وذلك من خلال المباحثين التاليين :

المبحث الأول :- دولة المدينة المنورة ودولة الخلافة الراشدة .
المبحث الثاني :- الدولة الأموية والدولة العباسية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول

دولة المدينة المنورة ودولة الخلافة الراشدة

تعتبر دولة الخلافة الراشدة امتداداً طبيعياً لدولة المدينة المنورة، وهذا ما دعا لجعلهما في مبحث واحد. فخطوات الصحابة عليهم رضوان الله كانت قريبة في عهدها وتصورها وتطبيقاتها من سيرة المصطفى *صلى الله عليه وسلم*، فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة هم أنفسهم الذين شاركوا الرسول *صلى الله عليه وسلم* في إدارة دولته، فكانوا معه منذ البداية وحتى انتقل عليه السلام إلى الرفيق الأعلى، وهم أنفسهم الذين مارسوا الحكم معه وتدرجوا خطوات الدولة منذ نشأتها. ويوم وفاة الرسول *صلى الله عليه وسلم* كانوا هم أصحاب القرار في تولية أبي بكر ومن بعده عمر وهكذا بقية الخلفاء .

من هنا كانت السيرة العامة لدولة المدينة المنورة ودولة الخلافة الراشدة متشابهة إلى أبعد الحدود من حيث التجربة السياسية ونظام الحكم في كل منهما. بل نستطيع القول أن دولة الخلافة الراشدة هي امتداد طبيعي لدولة المدينة المنورة، ولعل الإبقاء على المدينة المنورة عاصمة للدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين خير دليل على ذلك. وسوف نعرض في هذا المبحث للمطلبين التاليين :

المطلب الأول : دولة المدينة المنورة .

المطلب الثاني : دولة الخلافة الراشدة .

المطلب الأول

دولة المدينة المنورة

تعتبر دولة المدينة المنورة أول دولة إسلامية منظمة في التاريخ، وقد تميزت هذه الدولة بنظام فريد من حيث دقة التنظيم وأسلوب العمل رغم حداثتها ، وقد كان الأساس الذي قامت عليه الدولة التقوى وطاعة الله أولاً، وطاعة رسول الله *صلى الله عليه وسلم* ثانياً . لقد كان لوجود الرسول عليه السلام الأثر الأكبر في سرعة بناء الدولة حيث كان التفاني في الطاعة والصدق في الولاء والسرعة في الاستجابة. ومنذ البداية نظم الرسول عليه السلام (وهو القائد) أمور دولته على أسس ثابتة نظمت سير الحياة العامة ، فكان إعلان دستور المدينة الأول، وهي المعاهدة التي نظمت الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية. وقد استهدفت هذه المعاهدة تنظيم الحياة من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جانبين[1] :-

الجانب الأول : تحديد العلاقة فيما يتعلق بالحقوق والواجبات بين المهاجرين والأنصار.

الجانب الثاني : تحديد العلاقة بين الدولة الإسلامية من جهة وبين اليهود من جهة ثانية ، وهم الذين كانوا يشكلون نسبة لا بأس بها من سكان المدينة في بداية عهد الدولة الإسلامية. أما فيما يتعلق بالجانب الأول فقد حددت المعاهدة العلاقة بين المهاجرين والأنصار داخل الدولة الإسلامية، وقد تم تحديد هذه العلاقة على أساس من كتاب الله وتوجيهات الرسول *صلى الله عليه وسلم* .

أما في الجانب الثاني فقد التزم المسلمون بالعهود والمواثيق مع اليهود مثلما نصت عليه المعاهدة التي وقعها الطرفان، وقد حرص الرسول عليه السلام وصحابته على الوفاء بنصوص هذه المعاهدة. غير أن اليهود نقضوا عهودهم مع الرسول عليه السلام وسعوا من أجل تقويض أواصر الدولة الإسلامية بدءاً برأس الدولة. مما دفع القيادة الإسلامية الجديدة لاتخاذ القرار بإجلاء اليهود عن المدينة المنورة وضواحيها وذلك كخطوة من قبل الدولة الجديدة للمحافظة على الأمن والاستقرار والذي يعتبر ركنا أساسياً لاستقرار أية دولة وعملها ، وقد تم إجلاء اليهود على ثلاثة مراحل . تمّ في المرحلة الأولى إجلاء بني قينقاع. وتم في المرحلة الثانية إجلاء بني النضير . وتمّ في المرحلة الثالثة القضاء على أمر بني قريظة[2] .

هذا وقد كان من ضروريات بناء الدولة الإسلامية وتصريف أمورها وتحقيق مبدأ الأمن والاستقرار فيها أن يكون القرار بطرد اليهود من حدود الدولة الإسلامية خاصة بعد نقضهم للمعاهدة السياسية التي عقدها الرسول عليه السلام معهم .

لقد أخذ الجانب السياسي دوراً واضحاً في تنظيم الدولة الإسلامية الأولى، ومن هنا فقد لعبت حنكة الرسول عليه السلام الدور الأكبر في تنظيم العملية السياسية. حيث تمّ بناء هذا الجانب على قواعد ثابتة من حيث الشورى، والعدالة والمساواة والطاعة لله ولرسوله والحرية التامة في إبداء الرأي. وبناء الفرد المسلم على قاعدة الحرية المسؤولة ونفي الظلم والاستبداد انطلاقاً من قول الله تعالى: (يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

(١) أكرم العمري، المجتمع المدني في عهد النبوة. المدينة المنورة: المجلس العلمي، ١٩٨٣، ص١٠٧ وما بعدها.

(٢) عبدالسلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، ص١٧٤، ص٢٠٥، ص٢٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عندَ اللهِ أتقاكُم). وقول رسوله عليه السلام (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى).

وعليه فقد أعطت التجربة السياسية الأولى في الدولة الإسلامية أعظم المعاني لهذا البناء الإسلامي الكبير. فقد كان الأعرابي البسيط يواجه رئيس الدولة وهو رسول الله عليه السلام وسط الشارع يوقفه ويسأله عمّا يشاء-بل يوجه التهم لرئيس الدولة ويطلب إيضاحاً لكل ما يريد-وقد جاء هذا نتيجة التوجيه النبوي الرائع في هذا المجال من خلال الخطب والمواعظ والتوجيهات التي أرسى دعائمها القائد عليه الصلاة والسلام. ولعل في الأحداث التالية خير دليل على التجربة السياسية الرائدة فيما يتعلق بموضوع الحرية السياسية في الدولة الإسلامية الأولى .

١- في غزوة بدر الكبرى وبينما كان الرسول *صلى الله عليه وسلم* يسوي الصفوف، مر بسواد بن غزية وهو خارج من الصف فضربه بقضيب كان بيده في بطنه وقال: استقم يا سواد فقال: أوجعتني يا رسول الله، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقِدني من نفسك. فكشف الرسول عليه السلام عن بطنه وقال: استقد يا سواد، فاعتنقه سواد وقبل بطنه، فقال عليه السلام: ما حملك على ذلك، فقال يا رسول الله قد حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد أن يمسَّ جلدي جلدك. فدعا له بخير[1] .

٢- عن أنس رضي الله عنه قال (كنت أمشي مع رسول الله *صلى الله عليه وسلم* وعليه بُردٌ نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه جبذة شديدة ، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي *صلى الله عليه وسلم* وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته ، ثم قال: يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك . ثم أمر له بعطاء).

هاتان الحادثتان كانتا في بداية تكوين الدولة وفي السنوات الثلاث الأولى ، ولعل في تحليلهما جملة من المعاني العميقة خاصة وأنَّ هذه الأحداث كانت مع رأس الدولة. الحادثة الأولى كانت في صورة تَعدٍّ في بدايتها من قبل القائد على أحد أفراد الرعية وهذا أمر قد يكون فقد يتعدى المسؤول على من دونه ولكن الحكمة تكون في رد الفعل على هذا الحدث -فالجندي كما نرى وكما علمه الإسلام حر في رأيه وفي قراره ما لم يكن فيه معصية. من هنا كان رده المباشر وهو أمر عادي يعبر عن حرية الرأي التي يتمتع بها جميع أفراد الرعية ، فكان رده الذي يطالب فيه القائد بحقه مباشرة دونما وساطة. وتتجلى حرية الرأي

(١) محمد الخضري، نور اليقين . غير معروف مكان النشر : ولا دار النشر، بلا تاريخ ، ص١٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الداله على أعلى مفاهيم الحرية السياسية في قبول القائد للنقد المباشر ورضا القائد بإعطاء الحق لصاحبه مباشرة دونما عظمة أو كبرياء. فهو رسول الله *صلى الله عليه وسلم* الذي لا تأخذه العزة بالأثم وهو المربي والمعلم والنموذج والقدوة الحسنة- وهو الذي يريد أن يرسي مبادئ لتكون لمن بعده تعليمات ثابتة يسيرون عليها . فهو يقبل من الجندي البسيط أن يطلب الحق منه مباشرة، وتأتي الموافقة السريعة بإعطاء الرسول عليه السلام القود من نفسه لهذا الجندي، ولكن الثقة المتبادلة بين الراعي والرعية في الإسلام أعلى من انتقام الجندي من قائده، فكان الجواب الذي رأيناه من الجندي لقاء احترام قائده له. فأيه حرية وأية قيادة يمكن أن تقبل مثل هذا أو ترضاه؟. هل في أعلى النظم الديموقراطية في العالم نموذجاً يشبه مثل هذه النماذج؟. بل هل يجترئ قائد كبير وليس جنديا صغيرا على طلب الحق من قائده الأعلى؟. .

وفي الحادثة الثانية نرى نموذجاً فريداً فهذا رجل أعرابي يأخذ بشد رداء الرسول *عليه السلام* في وسط الشارع فلا حرس يرده ولا زبانية تمنعه وفوق ذلك يؤذي الرسول عليه السلام ويتعدى عليه. والرجل بحق مخطيء فكان باستطاعته أن يطلب حاجته بأسلوب مؤدب خلاف تصرفه المشين مع زعيم الأمة، ومع ذلك نرى هذا الرد الجميل من قبل القائد حيث ينظر إليه مبتسماً ويأمر له بعطاء من بيت مال المسلمين، أليس في هذه الحادثة أكبر مثال على التطبيق الحقيقي للحرية السياسية والنموذج السياسي المطلوب ؟. بل هل لنا أن نرى مثالاً واحداً يشبه هذا المثال في القرن العشرين؟. .

٣- عن جابر بن عبدالله قال: (أتى رجل بالجعرانة (منطقة في الحجاز). للنبي *صلى الله عليه وسلم* وهو منصرف من حنين يوزع الغنائم ورسول الله يقبض منها ويعطي للناس فقال يا محمد، اعدل، قال: ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل، لقد خبت وخسرت إذا لم أكن أعدل، فقال عمر بن الخطاب، يا رسول الله دعني فأقتل هذا المنافق، فقال الرسول معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي)[1] .

غزوة حنين من المعارك الشديدة على المسلمين وقد أصاب المسلمين فيها حرج شديد، وكادت أن تدور الدائرة على المسلمين لولا عناية الله تعالى-ومع الشدة والحال التي كان المسلمون يعانون منها نجد رحابة الصدر والقبول من قبل القائد لرجل يأتي ويتهم الرسول بعدم العدل-وهو أمر شديد بحق، فمن يعدل إذا لم يعدل رسول الله ومع ذلك تقبل الرسول عليه السلام نقد هذا

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية . بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٢، ج٤ ص٣٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأعرابي وإن كان في غير مكانه فلو كان في مكانه لكان القبول له أكثر، وقد جاء قبول الرسول لهذا الأمر لأنه يريد أن يعلم أتباعه أنهم أحرار في قول الحق . فهو لا يرضى لهم الذلة والهوان والقهر والاستعباد .

فالرسول عليه السلام يريد أن يؤسس في نفوس أتباعه روح المبادرة والجرأة في قول الحق في دولة يريد أن يؤسسها على هذا الأساس المتين ، ومتانة الأساس لا يمكن أن تكون في ظل الاستعباد والتضييق والقهر. فأساس متانة الدولة في نظر الإسلام هي حرية الكلمة والجرأة في قول الحق المبنية على التقوى والإخلاص في العمل وصدق النية، وهذه هي المعاني التي حرص الإسلام على إرسائها منذ اليوم الأول الذي أشرق فيه نور الإسلام .

٤- قال تعالى: (إنَّ الذينَ جاءوا بِالإفْكِ عُصبَةٌ منكم لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لكمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُم لِكُلِّ امْرِئٍ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإثْمِ والّذي تَوَلّى كِبْرَهُ مِنْهُم لَهُ عَذابٌ عَظِيم)[1] .

قصة أصحاب الإفك الذين افتروا على السيدة عائشة رضي الله عنها كانت في جذورها موجهة نحو رسول الله *صلى الله عليه وسلم*، وقد تزعم حادثة الاتهام زعيم المنافقين وبطانته-وذلك أنَّ السيدة عائشة تأخرت عن قافلة الجيش في إحدى غزوات الرسول عليه السلام . فنامت-وكان صفوان بن المعطل يسير خلف الجيش فرآها فعرفها حيث اقتاد راحلتها بعد أن ركبت عليها ولحق بالجيش، فلما رأى المنافقون ذلك انبرت ألسنتهم تلفق التهم ضد السيدة عائشة. ومع ذلك فقد التزم الرسول عليه السلام الصمت إزاء تصرف هذه الفئة ولم يواجههم بأي إجراء لأنه لا يوجد بين يديه ما يثبت براءة زوجته .

إنَّ الإجراء المعروف من قبل رئيس دولة يتعرض لتهمة في عرضه أن يقتاد جميع من اتهمه إلى السجن، وأن يكمم أفواههم بالقوة وأن ينتقم منهم. لكن هذا لم يكن من خلق رسول الله عليه الصلاة والسلام فقد اتسع صدره لكل ما حدث وتحمل الأذى- وأراد للحق أن يظهر-فإن تثبت أنَّ زوجته قد ارتكبت خطأً فإن هذا لا يمنع من معاقبتها بأشد العقاب وإن كانت زوجة رسول الله عليه السلام. يقول تعالى (يا نِساءَ النَّبيِّ مَن يَأْتِ منكُنَّ بِفَاحِشةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا العذابُ ضِعْفَيْنِ وكانَ ذلكَ عَلى اللّهِ يَسِيراً)[2] .

وكان رسولنا الكريم وهو المربي الكبير والقدوة الحسنة يقول لعائشة (إن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه

---

(١) سورة النور ، اية ١١ .

(٢) سورة الأحزاب ، اية : ٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه)[1]. لو تدبرنا هذه الحادثة مع زعيم من زعماء عالمنا هذه الأيام فهل يجترئ أحد على مثل ما اجترأ عليه الناس إزاء رسول الله -وإن اجترأ فماذا يكون مصيره؟. وعليه فإننا نستطيع أن ندرك عظيم تربية الإسلام لأتباعه، وكيف تكون حرية الكلمة في ظل الإسلام- فقد يخطيء الإنسان لكن مع ذلك فهذا اعتبار الإسلام (فكل ابن آدم خطاء-وخير الخطائين التوابون). فالإسلام يترك للإنسان مجال التوبة مفتوحا وليس ذلك في نظام إلا في الإسلام .

٤- وقف الرسول عليه السلام في آخر أيامه خطيباً في المسلمين قائلاً (الا من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد، ولا يقولن قائل إني أخاف الشحناء من قبل رسول الله، ألا وإن الشحناء ليست من شأني ولا من خلقي، فإن أحبكم إليَّ من أخذ حقاً إن كان له عليَّ أو حللني فلقيت الله عز وجل وليس لأحد عندي مظلمة، فقام رجل فقال يا رسول الله، لي عندك ثلاثة دراهم-فأمر رسول الله عليه السلام الفضل بأن يعيدها إليه)[2] .

هكذا علم الإسلام معلم البشرية أن يكون قدوة في حرية الرأي دونما شحناء بينه وبين أحد. فهو يطلب من شعبه بكل صراحة وحرية أن يأخذ كل مواطن حقه من الحاكم قبل أن يموت ولا ينتقص منه شيئاً، فأين يكون ذلك من ديموقراطية اليوم؟. لقد علمنا الإسلام أن الخوف من الله يعتبر من أقوى ضمانات الحرية . ومن أشد خشية لله من رسوله عليه السلام؟. فهو أخشى خلقه له. إن هذه الكلمات تعتبر درساً ثابتاً وقدوة حسنة في إقرار حرية الرأي والمعارضة الهادفة من أجل المصلحة العامة للأمة، فهل يجرؤ حاكم في العالم أن يطلب من الشعب محاسبته؟. لو قدر لحاكم أن يطلب من شعبه مثلما طلب الرسول من أمته لما بقي حاكم على وجه الأرض .

المطلب الثاني

دولة الخلافة الراشدة

كما أسلفنا فإنَّ دولة الخلافة الراشدة تعتبر امتداداً طبيعياً لدولة المدينة المنورة. حيث الصحابة عليهم رضوان الله وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر على منهج النبوة خطوة بخطوة، وقد حرصوا على تطبيق المنهج النبوي في دولتهم، حيث

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص٢٦٨-٢٧٢ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٥ ، ص٢٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخذت الحرية أقوى معانيها في دولة الخلافة الراشدة، ولعلّ في المواقف التالية خير دليل على التطبيق العملي لمفهوم الحرية السياسية .

١- لما تولى أبو بكر الخلافة تكلم في الناس في خطبته الأولى وكان مما قاله (أما بعد أيها الناس فإني قد وُليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني ... إلى أن قال الضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)[1] .

بهذه الكلمات الوضّاءة ينير أبو بكر طريق الخلافة ، ويقرر بها أن الحكم وظيفة لا استعلاء وأن الحكم ليس امتيازاً إنما هو خدمة عامة في أكثر مستويات هذه الخدمة مشقة ومسؤولية وشظف عيش. ويقرر كذلك أنّ الحكم زمالة لا كبرياء وأن الحاكم فرد في الأمة وليست الأمة في فرد، لقد بين الصديق رضي الله عنه أنه ليس بخير الناس (وهذا القول في ملأ من الناس). وهذا إقرار منه بحرية الرأي وحرية الكلمة -وهو يعترف أن في الأمة من هو خير منه لهم حق الشورى وحق الاعتراض عليه إن هو حاد عن الطريق .

إن أبا بكر يدرك تماماً أنه لن يكون حراً إلا بقدر ما تكون أمته حرة، وأنه لن يكون عزيزاً إلا إذا كانت أمته عزيزة-وأنه لن يكون آمنا إلا إذا كانت أمته آمنة-من هنا جاء قوله-إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني-وهذه وظيفة الشعب عند أبي بكر، وهذا جوهر علاقة الحاكم بالمحكوم أن يكون عوناً له على نفسه وعلى مسؤولياته، فهل هناك درجة في حرية الرأي وحرية الكلمة أعلى من هذا التصور الذي قرره زعيم الأمة؟. لقد جاء هذا التصور في أعلى درجاته عندما طالب الخليفة الأمة بتقويمه إنْ هو أساء. ثم يأتي القرار التاريخي الذي يقرر به الخليفة منذ اللحظة الأولى وهو من أعلى مفاهيم الحرية السياسية التي عرفتها البشرية عندما يقول (أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم). ومن هنا نراه يقرر حقيقة العلاقة بين الحاكم والمحكوم في أن الطاعة ليست لشخص الحاكم وإنما هي طاعة لله ورسوله، ومن هنا أيضاً كان قرار الخليفة بدعوة جميع أفراد الأمة بعدم طاعته إن هو خالف أمر الله وأمر رسوله، إن إقرار الحاكم للشعب بأن لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات، وأن عليهم واجباً عظيماً أن يأخذوا مكانهم إلى جواره يعتبر أقوى نصر لحرية الفرد السياسية في العالم، فهل وصل دعاة الديموقراطية اليوم إلى هذه المرتبة من الحرية السياسية؟. .

---

(١) عبدالسلام هارون ، تهذيب سيرة ابن هشام ، ص٢٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- لما ولي عمر الخلافة كان مما قاله في خطبته الأولى(فاتقوا الله وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم)[١] .

٣- يصعد الفاروق المنبر يوماً فيقول (يامعشر المسلمين ماذا تقولون لو ملت برأسي إلى الدنيا هكذا، فيشق الصفوف رجل وهو يلوح بذراعه كأنها حسام (إذن نقول بالسيف هكذا). فيسأله عمر: إياي تعني بقولك؟. فيقول الرجل نعم إياك أعني بقولي. فتضيء الفرحة وجه عمر ويقول: رحمك الله. الحمد لله الذي جعل فيكم من يقوم عوجي)[٢] .

٤- ذات يوم يصعد عمر المنبر ليحدث الناس في أمر جليل فيبدأ خطبته بعد حمد الله بقوله: اسمعوا يرحمكم الله، ولكن أحداً من المسلمين ينهض فيقول: والله لا نسمع، والله لا نسمع، فيسأله عمر -ولم يا سلمان؟. فيقول: ميزت نفسك علينا في الدنيا، أعطيت كل واحد منا بردة واحدة وأخذت أنت بردتين، فيجيل الخليفة بصره في صفوف الناس ثم يقول أين عبدالله بن عمر؟. فينهض عبدالله -هاأنذا يا أمير المؤمنين- فيسأله عمر على الملأ من صاحب البردة الثانية؟. فيجيبه عبدالله -أنا يا أمير المؤمنين-فيخاطب عمر سلمان والناس قائلاً، إنني كما تعلمون رجلٌ طوال ولقد جاءت بردتي قصيرة فأعطاني عبدالله بردته فأطلت بها بردتي، فيقول سلمان وفي عينيه دموع الغبطة والثقة، الحمد لله الآن قل نسمع ونطع يا أمير المؤمنين[٣]. (وكانت هذه الألبسة قد جاءت من اليمن فوزعها عمر بين المسلمين بالتساوي). نقول : أيبلغ الناس من حرية الكلمة وحرية المعارضة بأن يحددوا للحاكم عدد أثوابه وملابسه وبهذه اللهجة الصارمة؟. نقول لكل فقهاء السياسة هل تعلمون في التاريخ قديمه وحديثه قصة تشبه هذه القصة في الإيجاب والقبول بين الحاكم والمحكوم .

٥- (يدور يوماً حوار بين أمير المؤمنين عمر وواحد من الناس ، ويتمسك الآخر برأيه ويقول لعمر اتق الله يا عمر . ويكررها مرات كثيرة. ويزجره أحد الأصحاب الجالسين قائلاً . صه : فقد أكثرت على أمير المؤمنين، ولكن الفاروق يقول له دعه -فلا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها)[٤]. لله در الصحابة كيف كانوا فهل لأحداثهم أمثال في التاريخ؟. وهل عرفت حرية الإنسان صدقاً وتطبيقاً مثلما كان في عهدهم . إن هذه الأحداث بحق تعتبر عناوين بارزة

(١) خالد محمد خالد ، خلفاء الرسول . بيروت : دار الفكر ، ١٩٨١ ، ص١٦٣ .
(٢) المصدر السابق ص١٩٠ .
(٣) المصدر السابق ، ص١٩١ .
(٤) المصدر السابق، ص١٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونماذج فريدة في الحرية السياسية للأفراد والجماعات .

٦- ذات مرة أعلن عمر بن الخطاب في خطبة الجمعة أن من أراد الزواج فلا يدفع مهراً أكثر من أربعماية درهم ، فقاطعته إمرأة واحتجت على قوله، وحاجّته بأن القرآن قد أباح دفع قنطار من المال مهراً قال تعالى: (وآتَيتُم إحْداهُنَّ قِنطاراً فلا تَأخُذوا مِنهُ شَيئاً). فتراجع عمر من فوره عن رأيه وقال (أخطأ عمر وأصابت إمرأة)[1]. وهذا المثال يبين أن الإسلام لا يسمح فقط للرجل بحرية الرأي والكلمة، بل إن النساء يتمتعن بنفس القدر الذي يتمتع به الرجال .

٧- كان الخليفة عمر في المسجد فدخل عليه رجل قادم من مصر فقال: يا أمير المؤمنين لقد أتيت إليك أشكوا أحد أبناء عمرو بن العاص، حاكم مصر، فرحب أمير المؤمنين بالرجل وسأله أن يقص عليه ما حدث-فقال الرجل، يا أمير المؤمنين لقد سابقت بفرسي ولداً لعمرو بن العاص فسبقته فأخذ يضربني بسوطه ويقول كيف تسبقني وأنا ابن الأكرمين. فقال عمر للرجل انتظر في المدينة حتى يحضر عمرو بن العاص وابنه، ثم كتب إلى عمرو رسالة يقول فيها إذا أتاك كتابي هذا فاحضر أنت وولدك، فلما جاء عمرو وابنه حقق الخليفة في الأمر فوجد الحق للرجل، فأعطى الخليفة الرجل عصا وقال له: اضرب ابن الأكرمين، ثم قال لعمرو وابنه (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار). وفي رواية أنه أمر الرجل بضرب عمرو بن العاص فلما سألوه عن ذلك قال ما دفع ابن عمرو على قوله وضربه للرجل إلا لأنه ابن عمرو بن العاص، ونسأل اليوم ، هل في قرارات المنظمات الدولية لحقوق الإنسان مثل هذه المعاني؟. .

٨- ذات يوم يزور أمير المؤمنين عمر حمص. ويسأل أهلها في جمع حاشد من الناس ما تقولون في سعيد (وكان سعيد بن عامر والي حمص يومها) وأمام أمير المؤمنين وسعيد، وقف حشد من الناس يشتكون من سعيد، ويطلب عمر من الزمرة الشاكية أن تعدد نقاط شكواها واحدة واحدة، فينهض المتحدث باسم الزمرة الشاكية، وقال يا أمير المؤمنين، نشكوا من أميرنا أربعا. الأولى أنه لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، والثانية أنه لا يجيب أحداً بليل، والثالثة أنه له يومان في الشهر لا يخرج فيهما إلينا مرة، والرابعة أن الغشية تأخذه بين الحين والآخر، وجلس الرجل وأطرق عمر ملياً، وابتهل إلى الله همساً وقال: اللهم إني أعرفه من خير عبادك اللهم لا تخيب فراستي فيه، فوقف سعيد بعد أن سمح له أمير المؤمنين بالدفاع عن نفسه وقال يا أمير المؤمنين. أما قولهم أني لا أخرج

---

(١) أبو الأعلى المودودي ، الحكومة الإسلامية ، ص٢١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إليهم حتى يتعالى النهار، فإنه ليس لي خادم فأنا أعجن عجيني ثمَّ أدعه حتى يخمر ثم أخبز خبزي، ثم أتوضأ للضحى ثم أخرج إليهم. ففرح أمير المؤمنين، وأما قولهم لا أجيب أحداً بليل، فقد جعلت النهار لهم والليل لربي، ففرح أمير المؤمنين أيضاً، وأما قولهم إن لي في الشهر يومان لا أخرج فيهما، فليس لي خادم يغسل ثوبي وليس لي ثياب أبدلها فأنا أغسل ثوبي ثم أنتظره حتى يجف بعد حين وفي آخر النهار أخرج إليهم ، وأما قولهم إنَّ الغشية تأخذني فلقد شهدت مصرع خبيب بن عدي وأنا يومها مشرك وكلما تذكرت تركي نصرتي له أرتجف خوفاً من عذاب الله ويغشاني الذي يغشاني، ففرح عمر لما رآه من واليه على حمص[1]. إن تاريخ الخلافة الراشدة زاخر بمثل هذه المعاني الرائعة. فأية حرية نراها اليوم تسمح بمقاضاة الشعب للوالي وعلى ملأ من الناس؟.

لقد عاش المجتمع المسلم جواً مميزاً من الحرية السياسية ، فنبذ الاستعباد والإهانة ، حيث كان المواطن البسيط يوقف الخليفة كيف يشاء ويسأله عمَّا يشاء، ولا يسع الحاكم المسلم إلا أن يعطي الإجابة الشافية، فإن كان الحاكم على حق أقنع من سأله وإن كان مخطئاً اعتذر عن خطأه وتاب واسترجع. لم يخش المواطن المسلم يومها سطوة الحاكم ولا رهبة السلطان، وذلك لأنَّ عقيدة السماء زرعت في نفسه كيف يكون حراً و كيف يحافظ على حريته، وهكذا كانت الحرية في ظل الدولة الإسلامية يوم أن كان الإسلام هو الحاكم، ويوم أن كان القرآن هو الدستور، وبعد أن حادت الأمة عن دينها وابتعدت عن سيرة السلف الصالح من حكام أمتها أصبحت حرية الأفراد مع حكامهم أمراً مستبعداً بل أمراً مستغرباً ، ويوم أن يحكم الإسلام ويتولى الأمر فيه من فهموا حقيقة الإسلام سيُرى نور الحرية من جديد، ويأتي اليوم الذي يُوقف فيه المواطن البسيط رئيس الدولة ويسأله من أين لك هذا؟. .

٩- اشتكى رجل من مصر على واليها عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب على كلمة قالها عمرو لهذا الرجل وذلك بنعته بالنفاق ، وقد أقسم الرجل أنه لم يعرف النفاق منذ أن أسلم، فلما عرض الأمر على أمير المؤمنين حقق في الأمر فوجد شهوداً مع الرجل مقابل عمرو بن العاص، فحكم له أمير المؤمنين بأن يضرب عمرو بن العاص أربعين سوطاً، فأمسك الرجل السوط ووقف على رأس عمرو أمام الناس جميعاً فقال له يا عمرو: أيمنعك مني سلطانك. فقال لا، وبعدها قال الرجل لعمرو إمضِ لما أمرت فإني أدعك لله[1] .

---

(١) خالد محمد خالد ، رجال حول الرسول ، ص١٩٨ .

(١) محمد أبو فارس ، ثله من الأولين . عمان : دار الفرقان ، ١٩٨٧ ، ص٨٠-٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نسأل علماء السياسة هل يجرؤ مواطن أن يشتكي على واليه، وإن تحققت الشكوى فهل يأخذ المواطن حقه؟. لقد أثبتت التجارب أن عصر الإسلام الأول فريد في تجربته السياسية، ولم تشهد الحرية ميداناً لها مثلما شهدته في عهود الصحابة الأولى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

الدولة الأموية والدولة العباسية

تعتبر فترة الخلافة الراشدة ذات ميزة خاصة في التاريخ الإسلامي، فقد تميزت هذه الفترة بقربها من عهد الرسول *صلى الله عليه وسلم*، وقد تولى الخلافة فيها رجال كانوا أقرب الناس لمعلمهم الأول وأكثرهم تأثراً بمنهج النبوة، فكان منهج النبوة هو العلامة المميزة لدولة الخلافة الراشدة، وما أن بدأت الفتنة حتى بدأ الاجتهاد يأخذ دوراً أوسع فكانت النتائج التي ذاق الناس حلوها ومرها. فكثر الهرج والمرج وبدأ التغيير واضحاً في منهج الحكم لدى خلفاء بني أمية ومن بعدهم بني العباس، غير أننا نستطيع القول أن الإطار العام لنظرية الحكم الإسلامي بقي هو المعمول به خلال فترة بني أمية وبني العباس وحتى في عصور العثمانيين الأخيرة. فكان الحكم بالشريعة وتطبيق المنهج الإسلامي في الحكم هو الخط الذي سار عليه الخلفاء جميعاً، فلم يجرؤ أحد من الخلفاء على تغيير منهجية الحكم أو التعدي على أصوله رغم بعض المخالفات الشخصية الذي شوهت سمعة عدد من الخلفاء، كذلك فقد عاش المسلمون تجربة سياسية واضحة تميزت بحرية الرأي والتعبير إلى حدٍ ما دونما خشية من حاكم أو حرج منه، ولقد أدى العلماء خاصة دورهم ووضحوا للناس ما لهم وما عليهم ووقفوا في وجه أغلظ الحكام سطوة، وصدعوا بالحق وردوه إلى أهله، ولم يتوانوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإدلاء بالنصح للحاكم قبل المحكوم. وقد تحمل بعض العلماء مالا تتحمله أمة بكاملها لقاء الصدع بكلمة الحق وهذا ما كان واضحاً في موقف الإمام أحمد بن حنبل والإمام ابن تيمية والعالم الجليل سعيد بن جبير الذي مات شهيداً في سبيل الله مدافعاً عن الحق لا يخشى في الله لومة لائم .

ويمكننا أن نبين أن أهم المخالفات السياسية التي ارتكبها الخلفاء التابعون لدولة الخلافة الراشدة هي ما يلي :-

١- اتباع نهج الوراثة في الحكم وهو الأمر الذي يخالف حرية الرأي ومبدأ الشورى الذي سار عليه المسلمون من قبل، كذلك فهو أمر لم يرد فيه نص في كتاب الله ولا سنة رسوله عليه السلام ولم يعمل به السلف الصالح من خلفاء الرسول عليه السلام، ولقد وقف الفاروق موقفاً فاصلاً في هذا الأمر يوم أن عرض الصحابة عليه ولاية ابنه من بعده حيث رفض هذا المبدأ رفضاً قاطعاً .

٢- كثرة المخالفات الشخصية لعدد من الخلفاء وبعدهم عن سيرة الخلفاء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الراشدين .

٣- إعطاء غير المسلمين دوراً أكبر من الدور الذي حدده الإسلام لهم في إدارة الدولة وخاصة فيما يتعلق بالكم الكبير من عددهم في دواوين الدولة ووزاراتها، وكان لذلك الدور الواضح في سرعة انهيار الدولة العباسية في نهاية عهدها، حيث أساء البعض استخدام السلطة وزاد في ترهلها .

لقد كانت المخالفة الأولى والثانية سلباً لحرية الآخرين، أما المخالفة الثالثة فكانت زيادة في حجم العطاء للحرية، وعلى جميع الحالات كانت جميعها مخالفات واضحة لمنهج الحكم الذي أراده الإسلام . وسوف نبين في هذا المبحث التجربة السياسية خلال فترة الحكم الأموي وحكم بني العباس من خلال المطلبين التاليين .

المطلب الأول :- الدولة الأموية .

المطلب الثاني :- الدولة العباسية .

المطلب الأول

الدولة الأموية

اتخذ شكل الحكم في الدولة الأموية نظام (الملك المطلق) الذي يرتكز في ظاهره على الدين، وبالرغم من أن الحكم كان بكتاب الله إلا أنه كان يأخذ طابع الحكم المطلق، فأما أنه مطلق فلأن الخلافة كانت قد انقلبت من نظام الشورى الصحيحة إلى الشورى الشكلية وأصبح انتقالها من خليفة إلى خليفة بالأرث، وأما أنه مطلق فلأن الخليفة لم يكن يتقيد في حكم البلاد الإسلامية وإدارتها بدستور موضوع، ولم تكن هناك مجالس ثابتة وكانت جميع السلطات بيد الخليفة .

أما كون ملك بني أمية كان يرتكز في ظاهره على الوازع الديني فلأن الخلافة الأموية في ظاهرها تتمة لدولة الخلافة الراشدة . غير أن طبيعة البيعة لهذه الخلافة قد اختلفت إذ كان الإكراه فيها أكثر وأغلب، وكان الخليفة يمارس تعيين القادة والولاة والقضاة شخصياً ويعتبرهم مسؤولين تجاهه، ومع أن الخلافة كانت في عهد بني أمية وراثية فإنه لم يكن هناك نظام ثابت للتوارث، فقد انتقلت الخلافة من معاوية لابنه يزيد كما أنها انتقلت من الوليد إلى أخيه سليمان ثم انتقلت من سليمان إلى ابن عمه عمر بن عبدالعزيز، ويدافع ابن خلدون عن ولاية العهد في عهد الأمويين حيث يقول بأن ولاية العهد كانت الشورى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلقة بين جميع المسلمين حينما كان الوازع الديني قوياً في النفوس فكان الجميع يتوخى المصلحة العامة ، أما عندما ضعف الوازع الديني وقوي وازع العصبية، فقد أصبح الأمر إلى مالا ترتضيه الأمة، حيث حادت الجماعة إلى الفرقة والاختلاف غير أن الخلفاء لم يتوانوا في دعوة نفر من أهل البلاد المختلفة بين الفينة والأخرى لسؤالهم عن أحوال بلادهم وهذا ما فعله معاوية وعبدالملك بن مروان وعمر بن عبدالعزيز[1]. لقد أخذت الدولة في عهد الأمويين شكلاً أوسع من ذي قبل فتم استحداث الدواوين والوزارات المختلفة، فكانت الدواوين الخاصة بمراسلات الدولة والدواوين الخاصة بالجند والدفاع والدواوين الخاصة بإعطاء الرواتب وإحصاء المال وهذا ما يقابل وزارة المالية اليوم، وكانت الدواوين الخاصة بالمظالم والفصل بين الناس وهذا بمثابة وزارة العدل اليوم ، وقد أخذ القضاء وضعه المستقل بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية، غير أن السلطة التنفيذية والتشريعية بقيت ثابتة في غالبها في بني أمية وأتباعهم إلا في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز فقد نحا عليه رضوان الله سنة الخلفاء الراشدين في حكمه .

لقد بدا واضحاً في عهد بني أمية أن إدارة بعض دواوين الدولة كانت تدار من قبل غير المسلمين، وهذا يعود لاتساع رقعة البلاد المفتوحة وانشغال المسلمين غالباً بواجب الجهاد ، لكن هذا يبين مدى اهتمام المسلمين بإعطاء جميع المواطنين داخل حدود دولتهم حقوقهم كاملة بغض النظر عن اعتقاداتهم، وكذلك يبين مدى التسامح الذي تمتع به المسلمون في تعاملهم مع غيرهم .

وبالرغم من أن الحكم كان ذا طابع وراثي مطلق إلا أن حرية الرأي لهم تعدم في الدولة الإسلامية فقد ظلت أبواب الخلفاء والولاة في مختلف الأمصار مفتوحة لجميع المواطنين. حتى مع أقسى الولاة أمثال الحجاج الذي يعتبر من أقسى ولاة الأمصار. والأمثلة التالية تبين مدى حرص المسلمين من علماء وعامة على قول كلمة الحق والجهر بها مهما كانت النتائج، ولعل هذا من الأساسيات التي علّمها الإسلام لأتباعه .

١- لمّا حج سليمان بن عبدالملك : قال انظروا إليّ فقيهاً اسأله عن بعض المناسك، فخرج الحاجب، فمر طاوس اليماني (وكان من فقهاء المسلمين) فأخذه الحاجب فقال أجب أمير المؤمنين-فقال طاوس، أعفني، فأبى عليه فأدخله إلى الأمير، قال طاوس: فلما وقفت بين يديه قلت يا أمير المؤمنين :إن هذا المقام يسألني الله عنه يوم القيامة. ثم قال إن صخرة كانت على شفير جهنم هدت فيها

(١) عمر فروخ ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية .بيروت: دار العلم للملايين ، ١٩٧٠ ،ص٢٠٥-٢٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سبعين خريفاً حتى استقرت في قرارها، أتدري لمن أعدها الله ، قال الأمير لا، وأردف قائلاً ويلك لمن أعدها الله، قال طاوس، لقد أعدها الله لمن أشركه الله في حكمه ثم جار[1] .

٢- لما ولي الخلافة عمر بن عبدالعزيز خطب الناس فقال (أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته ومن عصا الله فلا طاعة له ، أطيعوني ما أطعت الله فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم)[2] .

هذه الأمثلة تبين لنا أن النماذج الحية بقيت موجودة في الدولة الإسلامية وبقيت روح الحرية المسؤولة هي العنوان الذي يتحلى به الأمراء الأتقياء والعلماء العاملون .

٣- جلس الحجاج بجانب سعيد بن المسيب فجعل يرفع رأسه قبل الإمام في السجود ، فلمّا سلم أخذ سعيد ردائه ثم أقبل عليه فقال يا سارق ، يا خائن ، تصلي هذه الصلاة، لقد هممت أن أضرب بهذا النعل وجهك ، فسكت الحجاج ولم يرد عليه ومضى قا فلاً إلى وجهته[3] .

٤- جيء بسعيد ابن جبير إلى مجلس الحجاج فقال وقد أخذته العزة بالاثم يا سعيد: اختر لنفسك قتلة إني قاتلك بها. فأجابه العالم المؤمن ، بل اختر أنت لنفسك يا حجاج، فوالله ما تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة، وقد صمت الحجاج ثم قال، يا سعيد أيسرك أن أعفو عنك : فقال سعيد وهو يعلم شدة الحجاج. يا حجاج إن كان العفو فمن الله وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر، وبعدها غضب الحجاج وأمر الحراس بقتله، وضحك سعيد عليه رحمه الله ونادى عليه الحجاج ما يضحكك يا سعيد. فيقول: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك[4] .

٥- التقى الحجاج بأعرابي في مكة المكرمة فسأله الحجاج من أين أنت فقال له من اليمن، فسأله عن أخيه محمد بن يوسف الثقفي حيث كان واليا على اليمن يومها، فرد الرجل المؤمن قائلاً ، خلفته عظيماً، جسيماً، خرّاجاً، ولاجا. فغضب الحجاج وسأله عن سيرته في الناس . فرد عليه قائلاً، تركته ظلوماً ، غشوماً عاصياً للخالق، مطيعاً للمخلوق ، فغضب الحجاج وقال ما دفعك إلى أن تقول هذا. فقال الأعرابي: ويحك يا حجاج، أفتراه بمكانته منك أعز مني بمكانتي من الله تبارك وتعالى وأنا وافد بيته وقاض دينه ومصدق نبيه *صلى الله عليه وسلم*، فوجم

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٩ ، ص٢٣٧ .
(٢) المصدر السابق ،ج ٩ ، ص٢٦٣ .
(٣) المصدر السابق ، ج٩ ، ص١١٩ . ١٢٠ .
(٤) زياد أبو غنيمة، مواقف بطولية من صنع الإسلام ، ص١٣٢-١٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحجاج ولم يجرِ له جواباً، وخرج الأعرابي المؤمن بلا استئذان لإتمام حجه[1] .

إننا ونحن نقرأ هذه الأمثلة نجد أنها تبين لنا جانبين من حياة المسلمين أيام بني أمية. الجانب الأول يصور لنا سطوة الحكام يوم أن ضعف وازع الدين في نفوسهم وابتعدوا عن النهج الصحيح والقدوة الحسنة، والجانب الثاني يبين لنا قوة المواطن المسلم وقوة العالم المؤمن في قول كلمة الحق والصدع بها وذلك ما يريده الإسلام لأتباعه. حيث لم يتوانَ المسلم عن الإدلاء برأيه وقول كلمة الحق حتى مع أعتى السلاطين وأبطشهم أمثال الحجاج. لقد وقف الرجل البسيط فلم يهب قوة الحجاج، ووقف العالم المؤمن كذلك في وجه الحجاج وهم يعلمون المصير الذي ينتظرهم في مقاومتهم للحجاج وزبانيته .

ومع هذا فإنه لا يمكننا أن نتناسى التطور الواسع الذي شهدته الدولة الإسلامية أيام بني أمية من حيث التوسع في استخدام الموظفين من مسلمين وغير مسلمين. واستحداث المناصب والوزارات وتفويض الولاة والحكام في ولاياتهم بقدر واسع من المسؤوليات والصلاحيات .

غير أنَّ اليون كان واضحاً في التجربة السياسية بين عصر الخلافة الراشدة وعهد الدولة الأموية، وهو الفرق الذي سنراه بوضوح أكثر في دراستنا للمطلب الثاني عن الدولة العباسية .

المطلب الثاني

الدولة العباسية

التاريخ العباسي جزء عظيم من تاريخ المسلمين، ويبتدئ من (١٣٢هـ) وهو نهاية حكم بني أمية إلى سنة (٦٢٦هـ)، حتى أن اسم الخلافة العباسية بقي في مصر حتى عام (٩٢٣هـ) وقد كانت الأقاليم الإسلامية في عهد الدولة العباسية ميداناً كبيراً للأفراد الذين ينتمون إلى بيوت قديمة، والأفراد العصاميين الذين يتسابقون إلى التغلب عليها من بلاد الأندلس غرباً إلى أرض الترك شرقاً. فكم من دولة قامت وعظمت مدنيتها ثم انتهت بغلبة غيرها عليها. ومن هذه الدول من كان يقوم باسم الملك تاركاً اسم الخلافة لبني العباس، ومنهم من كان يقوم باسم الملك والخلافة معاً كالدولة الأموية في الأندلس والإدريسية في المغرب والفاطمية في مصر. والزيدية بطبرستان. لقد سار العباسيون سنة من قبلهم في جعل الحكم وراثياً في بني العباس ولعل هذا يعد مخالفة للأصول الإسلامية

(١) زياد ابو غنيمة، مواقف بطولية من صنع الإسلام، ص١٩٩-٢٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين جميعا، ومع اتساع رقعة الدول الإسلامية فقد عمل الولاة على توسيع صلاحياتهم في مناطقهم، فقد كثرت الدواوين والحجاب والوزارات، وفي زمن العباسين زاد استخدام غير المسلمين في مؤسسات الدولة المختلفة ، حتى أن الولاة والحكام قد ركنوا واطمأنوا كثيراً لغير المسلمين في الإدارات والمؤسسات العامة والوزارات .

لقد استمرت الدولة العباسية حوالي (٥٢٤ سنة) وقد رأى بعض علماء التاريخ تفصيلها على النحو التالي[١] :

١- عصر القوة والعمل واستمر من ١٣٢هـ - ٢٣٢هـ .

٢- عصر استبداد المماليك والأتراك واستمر من ٢٣٢هـ - ٣٣٤هـ .

٣- عصر استبداد الملوك من آل بويه واستمر من ٣٣٤هـ - ٤٤٧هـ .

٤- عصر استبداد الملوك من آل سلجوق واستمر من ٤٤٧هـ - ٥٣٠هـ .

٥- عصر استعادة العباسيين نفوذهم السياسي واستمر من ٥٣٠هـ - ٦٥٦هـ .

وبالرغم من استمرار الإطار العام للحكم في الدولة العباسية ضمن مفاهيم الإسلام العامة، وحيث كان الحكم بما أنزل الله ، إلا أن نزوة الملك وحب السلطة قد ازداد سلطانها من قبل الخلفاء والولاة، فلم تعد الحرية التي عهدها الناس فيمن سبقهم من الخلفاء وخاصة في العهد الراشدي، لقد اضطربت الأمور في كثير من الأحيان واهتزت أركان الدولة وعمّ الظلم والاستبداد كثيراً من المماليك الإسلامية. حتى اهتزت الثقة بين الحكام والمحكومين . وما قيام التتار بالإغارة على عاصمة الدولة الإسلامية واستيلاؤهم عليها إلا خير دليل على ضعف الخلفاء ، وضعف الروابط بين الخلفاء وشعوبهم .

لقد ابتدأت الدولة العباسية على عصبية يتحد دينها وتختلف عناصرها، فعنصرها الأول هو العنصر العربي، والعنصر الثاني عنصر الموالي وأهمهم آل خراسان ، ولم يكن بين الفريقين التئام حقيقي لاختلاف الغرض الذي يرمي إليه كل منهما. لقد سار بنو العباس طريقاً جديداً في الحكم، فقد اتصف خلفاؤهم بقوة الملك في بداية عهدهم واعتمدوا على وزراء من الموالي وغيرهم من غير المسلمين. حتى عظم شأن هؤلاء حيث لم يستطع بعض الخلفاء من بعد أن يتخلصوا مما وقعوا فيه ، وخير مثال على ذلك ما حصل مع خالد البرمكي وأولاده الذين طمعوا في نزع الخلافة من بني العباس في بعض أركان الدولة .

لقد كان لانعزال عدد من الخلفاء إلى حدٍ ما بعيداً عن الناس وتسليم أمور الدولة للموالي وغيرهم ووضع الحجاب دون الناس، والاعتماد على الوزراء

(١) محمد الخضري ، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية . لبنان : دار المعرفة ، بدون تاريخ ، ص٤٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأتباعهم من أجل ضمان البيعة لأولاد الخلفاء من بعدهم، كل ذلك كان سبباً في ضعف الخلفاء من بعد وتمزيق أواصر الدولة وانعدام الحريات وضعف الأمن والاستقرار. ويمكننا القول أن قوة الملك وشدة التنافس داخل الدولة حالت دون إيجاد جو تسوده حرية سياسية مسؤولة بالنسبة للأفراد قياساً على ما كان معروفاً في دولة الخلافة الراشدة، ولعل ذلك يعود للأسباب التالية :

١- حجم الدولة الكبير وانعزال الخلفاء عن الشعب .

٢- اعتماد الخلفاء على وزراء غير عرب ساعدوا على زيادة الاستبداد وقوة الملك .

٣- كان همّ هؤلاء الوزراء والحجاب مصالحهم الشخصية فرأوا في قرب الشعب من الخلفاء زعزعة لمكانتهم عندهم ، وعليه فلم يكن من السهل الوصول إلى الخلفاء والولاة.

والخلاصة أن بني العباس خلال فترة حكمهم الطويل قد اعتمدوا على الحكم المطلق واعتماد الإكراه في بيعة خلفائهم، ولم يتمتع الشعب في عهدهم بحرية يمكن أن نتخذها نموذجاً يحتذى أو تاريخاً يذكر .

غير أن هناك بعض الأمثلة التاريخية وخاصة مع بعض الخلفاء المشهورين مثل هارون الرشيد وأبو جعفر المنصور الذين قبلوا جواً خاصاً من حرية الأفراد والجماعات، وأهم هذه الأمثلة :

١- قال السماك يوماً لهارون الرشيد (إنك تموت وحدك ، وتدخل القبر وحدك وتبعث منه وحدك، فاحذر المقام بين يدي الله عز وجل والوقوف بين الجنة والنار حين يؤخذ بالكظم وتزل القدم ويقع الندم ، فلا توبة تقبل ولا عثرة تقال ولا يقبل فداء بمال، فجعل الرشيد يبكي حتى علا صوته)[1] .

٢- عن شعيب بن حرب قال (رأيت الرشيد يوماً في طريقه إلى مكة، فقلت في نفسي قد وجبت عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقلت له يا هارون: قد أتعبت الأمة والبهائم، فقال هارون، خذوه ، فبعد أن أخذوني دخل عليَّ بعدها هارون الرشيد فجلس على كرسيه، فقال من أين الرجل. فقلت له من الأنبار. فقال لي ما حملك على أن دعوتني باسمي، فقلت يا هارون: أنا أدعوا الله باسمه وهذا الله تعالى يدعو أنبياءه أحب الخلق إليه باسمائهم (يا آدم، يا نوح، يا زكريا). وكنى أبغض الخلق إليه حيث يقول (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)[2] .

٣- قال الأصمعي :(قال المنصور لرجل من أهل الشام، احمد الله يا أعرابي الذي دفع عنكم الطاعون بولايتنا ، فرد عليه الأعرابي قائلاً: إن الله لا يجمع علينا

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٢١٧ .

(٢) المصدر السابق ، ج١٠ ، ص٢١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حشفاً وسوء كيل ولايتكم والطاعون)[1] .

٤- خطب أبو جعفر المنصور يوماً فاعترضه رجل فقال يا أمير المؤمنين، اذكر من أنت ذاكره واتق الله فيما تأتيه وتذره، فسكت المنصور حتى انتهى كلام الرجل فقال (أعوذ بالله أن أكون ممن قال الله عز وجل فيه (وإذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بالأثْم). أو (أنْ أكُونَ جَبّاراً عَصِياً)[2] .

٥- دخل عمرو بن عبيد القدري على المنصور فأكرمه وعظمه وقربه وسأله عن أهله وعياله ثمّ قال له عظني، فقرأ عليه سورة الفجر إلى قوله تعالى (إنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصَاد). فبكى المنصور ثمّ قال زدني فقال الرجل (إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها، إن هذا الأمر كان لمن قبلك ثم صار إليك ثم هو صائر لمن بعدك، واذكر ليلة تسفر عن يوم القيامة. فبكى المنصور وأمر بعطاء، فرفض الرجل أن يأخذ منه شيئاً، فقال له المنصور هل لك من حاجة. قال نعم. قال: وماهي، قال الرجل، لا تبعث إليَّ حتى آتيك ولا تعطني حتى أسألك، فقال المنصور. إذن والله لا نلتقي، فقال عمرو: عن حاجتي سألتني ، فودعه وانصرف[3].

اقتصرت حرية الرأي والتعبير لدى خلفاء بني العباس في غالب الأمر على سماح بعضهم للعلماء والحكماء باسداء النصيحة لهم. وكان بعض الأفراد يتجرأ ولا تأخذه في الحق لومة لائم غير أن ذلك كان محدوداً. إنَّ الوراثة في الحكم نظام عقيم يورث الحكم للصالح وغير الصالح ولا يبعث على التجديد، وعليه فقد كان استعمال الوراثة في الحكم زمن بني أمية وبني العباس أكبر ضربة لمسار الحياة السياسية في الدولة الإسلامية، وعليه فإنه يمكننا القول أن الحرية السياسية في الإسلام لم تأخذ مكانها الصحيح إلا في عهد دولة المدينة ودولة الخلافة الراشدة. يوم أن كان الخليفة من الشعب يمشي معهم ويعمل معهم وينام بينهم ويجاهد إلى جانبهم، فكان القبول والإيجاب، وكان المثل الأعلى في قبول الحاكم المسلم لرأي أدنى فرد في الرعية والأخذ به ومراجعته، وكان التواضع من صفات أقوى خلفاء المسلمين عمر الذي تراجع عن قراره لرأي امرأة أوقفته وهو على المنبر أمام الأمة كلها .

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص١٢٣ .

(٢) المصدر السابق ، ج١٠ ، ص١٢٣ .

(٣) المصدر السابق ، ج١٠ ، ص١٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس

الحرية السياسية بين الإسلام والنظم الوضعية

دراسة مقارنة

الحرية السياسية هي حق الفرد في المساهمة في شؤون الدولة من خلال حق التصويت وحق الترشيح في الانتخابات، وحرية الحديث والصحافة والإجتماع[1].

ومن خلال عرضنا لموضوع الحرية السياسية في الفصول السابقة نجد أن الإسلام يتفق مع النظم الوضعية في بعض النقاط ويخالفها في نقاط أخرى، والمعروف أن النظام السياسي في الإسلام يرتكز في إطاره العام على مصدرين أساسيين هما القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومع ذلك فقد أعطى الإسلام الحرية لأهل كل زمان ومكان في الإجتهاد بإضافة ما يرونه مناسباً لصلاحهم في الظروف التي يعيشونها، فعلى سبيل المثال. فإنه لا يمكننا أن نعتبر الطريقة التي أنتخب بها سيدنا عثمان من بين ستة من الصحابة (أوصى بهم عمر بن الخطاب قبل وفاته). لا يمكننا أن نعتبر هذا أمراً فردياً أو مخالفاً لمنهج الحرية السياسية، بل إن هذا الأمر في ذلك الزمان ربما لا يوجد ما هو أفضل منه، فسيدنا عمر اختار ستة من خيرة الصحابة لا تختلف غالبية الأمة على واحد منهم، فكلهم ممن تتوافر بهم شروط الإمامة والخلافة وممن لهم السبق في الإسلام ومن المعروفين بغيرتهم وحبهم لدين الله سبحانه وتعالى، ولو قدر أن الأمة لم تبايع أحداً منهم لم تنعقد ولايته، ومن المعروف في الإسلام أن الخلافة أو الولاية لا تعطى لمن طلبها، فكل الصحابة كانوا زاهدين في الولاية لأنها أمانة وهي ثقيلة على من تولاها، ويَعلم المسؤول في الإسلام أن المسؤولية ليست هدفاً شخصياً وإنما هي ائتمان على تطبيق شرع الله وأمره، مثل هذا الأمر قد لا نجده في الأنظمة الحديثة من حيث حرص الأفراد على ترشيح أنفسهم وحرصهم على الفوز بالمناصب .

وسوف نعرض من خلال هذه الدراسة مقارنة بين النظام السياسي في الإسلام وبعض النظم الوضعية فيما يتعلق بالحرية السياسية ،وذلك من خلال المبحثين التاليين :-

المبحث الأول : حرية الانتخاب بين الإسلام والنظم الوضعية .

المبحث الثاني : حرية الرأي والمعارضة بين الإسلام والنظم الوضعية .

---

(١) كريم يوسف كشاكش، الحرية العامة في الأنظمة السياسية المعاصرة . الاسكندرية : منشاة المعارف، ١٩٨٧، ص٢٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول

حرية الانتخاب بين الإسلام والنظم الوضعية

من الدلالات العامة على توفر الحرية في أي بلد في العالم، هو وجود قانون للانتخاب، ويزيد في ضمانات الحرية هو توفر حرية الانتخاب أي إتمام العملية الانتخابية بحرية ونزاهة دونما أدنى تدخل من جانب الدولة، وسوف نبين في هذا المبحث حرية الانتخاب في الإسلام وبعض النظم الوضعية وذلك من خلال المطلبين التاليين :-

المطلب الأول :- حرية الانتخاب في الإسلام .

المطلب الثاني :- حرية الانتخاب في النظم الوضعية .

المطلب الأول

حرية الانتخاب في الإسلام

تتمثل حرية الانتخاب في الإسلام من خلال انتخاب رئيس الدولة وأعضاء مجلس الشورى وهما أعلى مراتب السلطة في الدولة الإسلامية، وقد كان للمسلمين الأوائل وخاصة في صدر الإسلام فهمهم الخاص لمفهوم الانتخاب، فقد كان المسلمون لتوهم قد خرجوا من الجاهلية الأولى وتربوا جميعاً في صعيد واحد وعلى منهج واحد، وكان مجتمع المدينة المنورة يمثل في مجمله مجلساً أعلى للشورى، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجمع المسلمين جميعاً ويقول (أشيروا عليّ أيها الناس)، كما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس مصغر يتمثل في أبي بكر وعمر وزعماء الأوس والخزرج وزعماء المهاجرين ، حيث كان يناط بهذا المجلس البت في المسائل السريعة والصغيرة والأمور الاعتيادية لتصريف أمور الدولة، وقد بنا المسلمون علاقاتهم مع بعضهم البعض على أساس التراحم والتفاهم والتوادد والتفاني في سبيل الخدمة العامة وخدمة الإسلام .

لقد توطدت أجمل المعاني وأعظم المبادئ التي تربى عليها الجيل المسلم في المدينة المنورة، فبرز من خلال التربية الحقة أعظم الصحابة أخلاقاً أمثال أبي بكر وعمر وعثمان ومعاذ وعمرو بن العاص وسعد بن معاذ وخالد وأبي عبيدة، فكان أمراً طبيعياً أن ينتهي أمر الصحابة لإختيار أبي بكر خليفة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن أحدٌ أشد حرصاً على الإسلام ومصالح المسلمين ومصلحة الوطن من أبي بكر، ولم يكن أحدٌ أقرب إلى قلوب غالبية المسلمين من أبي بكر، فهو السابق إلى الإسلام والحريص على مصلحة الدين وهو

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البعيد عن حب ذاته والمتبرع بنفسه وماله من أجل الله سبحانه وتعالى، فمن هنا كانت البيعة لأبي بكر، فجمهور الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين بايعوا أبا بكر، ولو أن المسلمين لم يبايعوا أبا بكر على الخلافة لم يصر إماماً.

وكذلك عمر بن الخطاب لما عهد إليه ابو بكر بالخلافة إنما صار إماماً لما بايعوه وأطاعوه، ولو قدر لهم أنهم لم ينفذوا عهد أبي بكر ولم يبايعوه لم يصر إماماً، سواء أكان ذلك جائزاً أو غير جائز، وما نريد أن نؤكده هنا هو أن العهد من الخليفة السابق لمن يخلفه هو مجرد ترشيح فقط، والشعب هو صاحب الصلاحية في مبايعته أو عدم مبايعته[1].

لقد حدد الإسلام مجموعة من الشروط أوجب توافرها فيمن يجب أن يكون رئيساً للدولة، ومن قراءتنا لبعض هذه الشروط نجد أنه لا يجتاز هذه الشروط إلا من هو كفوءً تماماً وربما لا يعلوا عليه أحدٌ من الأمة في صفاته لهذا المنصب، كما أن الأمة تصبح في حلٍ من بيعتها لرئيسها إن هو أخل في العقد بينه وبين الأمة .

جاء في بعض شروط الإمامة العليا (البلوغ والعقل والحرية والعدالة والكفاءة والعلم والمواطنة وسلامة الحواس والأعضاء وألا يطلب الإمارة) [2]. إن الإسلام لا يقر مسؤولاً مطعون في عدالته أو نقص في علمه وعقله أو ضعف في كفاءته، بينما نجد في القرن العشرين وفي اوساط الحرية نرى رؤساء دول ومسؤولين كبار ينتخبون وليسوا من الكفاءة في شيء. لقد تدخلت عوامل الضغط الأخرى فأوصلت أمثال هؤلاء إلى موقع المسؤولية، ولو قدر للأمة أن تراعي شروطاً خاصة لمن يتولى مسؤولياتها لما وصل هؤلاء إلى سدة الحكم، وفي المقابل فإن أعضاء مجلس الشورى يراعي في انتخابهم في الإسلام أن تتوافر بهم صفات خاصة لا تقل أهمية عن الصفات التي تتوافر في رئيس الدولة .

ويمكننا أن نستخلص النتائج التالية في بياننا لحرية انتخاب رئيس الدولة ومجلس الشورى في الإسلام .

١- لم تطبق عمليات الانتخاب العصرية في أيام الإسلام الأولى، إلا أنّ هذا لا يعني أن الإسلام يرفض هذه الانتخابات بشكلها الحالي، فقد كانت للإسلام تجربته الأولى في الاختيار والمبايعة وهي تشبه الانتخاب الحديث إلى حد بعيد ، فالأمة هي صاحبة الحق في مبايعة الإمام أو رفضه كما أنه بإمكان الشعب في الإسلام أن

(١) محمد أبو فارس ، النظام السياسي في الإسلام، ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٨ - ١٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعزل أي مسؤول أو يقره على ولايته. كذلك فقد أفرزت تجربة الإسلام الأولى خيرة الرجال لتولي المسؤولية في الأمة وهو ما تعجز عنه أحدث الانتخابات العصرية .

٢- لكل أهل زمان ومكان في الإسلام أن يشرعوا لهم ما يصلح أمور دنياهم، وبالطريقة التي يرونها مناسبة، فإذا اتفق المسلمون على إتباع المنهج الحديث فإن الإسلام لا يمانع في ذلك بشرط مراعاة الشروط الواجب توافرها فيمن يُرشح لشاغر منصب رئيس الدولة أو عضو مجلس الشورى .

٣- يرفض الإسلام جميع أساليب الضغط التي تستخدم في عالمنا الحديث حيث يعتبرها غير مشروعة بل محرمة لأنها ضد حرية الإنسان، والإسلام يريد الإنسان حراً في إرادته وتصرفه واختياره ، **ومن هذه الأساليب التي يرفضها الإسلام :-**

أ- أساليب التخويف والارهاب : أمر ملحوظ في الكثير من دول العالم إستخدام التخويف من قبل السلطات الحاكمة لتوجيه الناخبين نحو هدف الحكومة، والتخويف له أساليبه في القرن العشرين وهو أمر ملاحظ خاصة في دول العالم الثالث، فهل يعقل أن يحصل رئيس دولة وهو المرشح الوحيد على نسبة تزيد على ٩٩٪؟. خاصة إذا كان أمثال هذا الرئيس يقوم حكمهم على طائفية بغيضة وعنصرية قاتلة وأن حكمهم قد قام على جثث الآلاف من أبناء الشعب المظلوم، وأن الملايين من أبناء الشعب يعيشون خارج بلادهم، مثل هذه الأساليب يرفضها الإسلام بل ويحرم أخذ البيعة والانتخاب عنوة من أبناء الشعب .

ب- شراء الاصوات بالمال : من الأساليب الحديثة في الدول المتقدمة والمتخلفة إستخدام المال في شراء الاصوات وهو أمر مخالف لحرية الإنسان، ويرفضه الإسلام رفضاً باتاً، فليس كل الناس معهم مال لشراء الاصوات ولا يستطيع شراء الاصوات إلا أصحاب الملايين، وهم في غالبهم عناصر تهمها مصالحها الخاصة وتتصف بالطمع والجشع المنافي لحرية الإنسان، وشراء الاصوات بالمال أمر مخالف لحرية الإنسان وإرادته .

جـ- تدخل الأجهزة الامنية في نتائج الانتخابات : من الأمور المعهودة في معظم دول العالم الثالث تدخل الأجهزة الامنية لصالح الأنظمة القائمة، وهو أمر مرفوض في النظام الإسلامي، فليس لأحد على أحد سلطة مهما علت مكانته إلا من خلال الشرع، ومثل هذا التدخل منافٍ لحرية الإنسان، والإسلام يحترم حرية الإنسان في إختياره ويمنع جميع أنواع التدخل في حرية الإنسان وإرادته .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د- الدعاية الانتخابية والامكانيات : للدعاية والامكانيات أثر واضح على نتيجة الانتخابات العصرية، ويستخدم في الدعاية الحلال والحرام، ولا يتورع غالبية المرشحين عن إستخدام كافة الوسائل لإغراء الناخبين في انتخابهم وهذا أمر يحرمه الإسلام، فالإسلام يربي اتباعه على الصدق وبالتالي فهو يحرم عليهم إتباع أي أسلوب مناف للأخلاق القويمة ، وهذا الأمر من الفجوات الكبيرة في الحريات الحديثة .

هـ- الولاء الأعمى والتعصب للعشيرة : ليس في الإسلام ولاء إلا لله ولرسوله. ويعمل الجميع في الإسلام من أجل مصلحة دين الله ، وفي النهاية تكون نتيجة الانتخاب في مصلحة الدين ، وهذا معاكس تماماً للولاء الأعمى والتعصب الأعمى عند كثير من الناخبين وفي كثير من دول العالم .

و- الجهل : اكثر ما يمارس الإغراء واللعب بالاصوات وشراءها وشراء الناخبين في مناطق الجهل وهو أمر يرفضه الإسلام ويحرمه، بل إن الإسلام يحرص على إيجاد البيئة المناسبة للانتخاب قبل أن يسمح بها ، فالجاهل في الإسلام عدو نفسه، فكيف تترك له حرية إختيار ولي الأمر أو المسؤول؟

ز- المصالح : ليس في الإسلام مصلحة لاحد. فالمصلحة الأولى لدين الله، والجميع يجتهد في سبيل خدمة الدين، والمصلحة الشخصية مرفوضة، بل يُمنع إستخدامها أداة أو وسيلة للوصول إلى المنصب .

حـ- الانتخاب على أساس العرق أو الجنس : الجميع في دار الإسلام سواسية فليس هناك فصل عنصري أو عرقي وهو أمر ملاحظ في كثير من دول العالم، غير أن الإسلام لا يمانع في تخصيص مقاعد خاصة لبعض الطوائف الدينية حتى لا تضيع حقوقهم .

المطلب الثاني

حرية الانتخاب في النظم الوضعية

تتميز النظم السياسية المعاصرة بإستخدام أساليب مختلفة للوصول إلى الحكم. فمن هذه الأنظمة ما يصل إلى الحكم عن طريق الانقلابات العسكرية وهو أمر معهود في دول العالم الثالث. لكنه الأسلوب الذي يرفضه الإسلام بل ويحرمه وذلك لما ينتج عن هذه الانقلابات من دماء وضحايا وتعذيب وتشريد ومصادرة لحرية الإنسان حتى في عقيدته أحياناً، ومن الأمثلة الحية على ذلك (الانقلابات المتوالية في الدول الأفريقية والدول العربية). فكم من آلاف الضحايا من بني البشر قد أريقت دماؤهم وكم من آلاف الأسر قد شردت خارج ديارها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعادوا بلا مأوى ولا معيل لهم؟. كل ذلك بفعل الانقلابات العسكرية التي يقوم أصحابها في غالب الأمر من أجل مصالحهم الشخصية ونزوتهم في حب السلطة والحكم والشهرة، وهو الأمر الذي لا يقره شرع ولا دين .

أما النوع الثاني من هذه الأنظمة فهي الأنظمة التي خلفها الإستعمار في غالبية دول العالم الثالث، هذه الدول كانت مستعمرة لفترة طويلة من قبل دول أجنبية استطاع الاستعمار خلالها أن يميت الروح الوطنية من قلوب بعض أبناءها أو أن يجعل ولاءهم بالدرجة الأولى للمستعمر الأول ، فما أن غادر الاستعمار هذه البلاد حتى سلم مقاليد الأمور في البلاد إلى مجموعة منتقاة من قبله، وهذا أمر ملاحظ في عدد كبير من دول العالم الثالث ومنها معظم البلاد العربية .

لقد استأثرت بالحكم في معظم هذه الدول مجموعات نصبها الاستعمار، ولم تأت عن طريق الانتخاب أو الشورى، وسار معظمها على طريق التوراث في تسليم سدة الحكم، وقد بلغ الترهل في الحكم درجة كبيرة في هذه الدول مما أدى إلى قيام انقلابات عسكرية ضدها جاءت بما هو أسواء وأمرّ، أما الأنظمة التي حافظت على كيانها وثبتت في وجه التحديات فقد وضعت نفسها في قوالب خاصة تارة باسم الدين وتارة باسم الوطنية، إلا أنها في غالبها تعتبر أنظمة شبه دكتاتورية، صادرت الكثير من حريات المواطنين ووضعت من الأنظمة والقوانين ما يكفل بقاءها، فدستورها موضوع ومرتب بشكل يكفل البقاء للنظام دونما منازع، وقد صدق فيهم القول (بأنها خيمة لا يسكنها إلا واحد)، وتضع هذه الأنظمة قوانين خاصة لانتخابات تشريعية لا تمس رأس الدولة حيث يعتبر رأس الدولة هو رأس السلطات جميعاً دونما انتخاب، وهذا مما يقلل من أهمية الانتخابات النيابية التي تجري في هذه الدول.

إن بعض هذه الدول التي أخذت بالنظام الوراثي في حكمها قد حجرت على جميع أبناء الشعب سبيل الوصول إلى سدة الحكم. لأن رأس الدولة معين بالوراثة، وهو الأمر الذي يحرمه الإسلام لأن الوراثة توصل للحكم الصالح وغير الصالح، والإسلام لا يرضى إلا بالصالح.

كما أن رأس الدولة هو الذي يعين رئيس الوزراء في هذه الدول، ورئيس الوزراء المعين لا يقل درجة عن مرتبة من عينه فهو من صنفه وشاكلته ويخدم مصلحة رأس الدولة بالدرجة الأولى، وولاؤه الأول لرأس الدولة قبل الوطن والأمة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أن قوانين الانتخاب في هذه الدول مرتبة بشكل يخدم مصلحة النظام بالدرجة الأولى، وإذا ما جاءت نتيجة الانتخابات مخالفة لرغبة النظام فإن الدستور يكفل إلغاء هذه الانتخابات أو الإلتفاف عليها، وخير مثال على ذلك التجربة الديموقراطية في الجزائر عام ١٩٩١ والتي جاء النظام بدستور يكفل إلغاءها حتى كانت النتيجة التي يراها الجميع في المواجهة والعنف والقتل في جميع أنحاء القطر الجزائري[١].

ويوجد صنف آخر من الأنظمة غيرالوراثية ولكنها تسير في ركب النظم الوراثية، فقوانين هذه الأنظمة تكفل النجاح للرئيس المعين أو للوريث الذي ينتخبه. فهو إن لم يكن ابنه أو أخوه لكنه ابنه في الفكر والمبدأ أو المعتقد، وحال هذه الأنظمة في غالبية دول العالم الثالث.

وأما حال الدول المتقدمة مثل الولايات المتحدة ودول أوروبا فقد أخذت صورة الديموقراطية العصرية، ويبدو أن الديموقراطية قد نجحت في هذه الدول. إلا أن هناك فجوات كثيرة تضمن سيطرة فئة معينة من الأفراد في إستلام زمام الأمور والفوز بانتخابات الرئاسة وانتخابات المجالس النيابية، فلا يزال للعائلات وكثرة الأموال وإستخدام أساليب الدعاية المختلفة وقوى الضغط المتنوعة الأثر الفعال في توجيه هذه الانتخابات للوجهة المخطط لها .

فالفقير مهما كان مؤهلاً فليس له نصيب في الحكم، ومن لم يكن ابن عائلة فهو كذلك ومن لم يمتلك وسائل الضغط المتنوعة فلن يصبح حاكماً، كما أن قوانين الانتخاب العصرية في هذه الدول لا تستطيع إبراز أكفأ الشخصيات لاستلام المناصب العليا في الدولة، فهل رؤساء هذه الدول هم أكفأ الرجال أم يوجد من هو أولى منهم بالرئاسة؟. وكذلك الأمر بالنسبة لأعضاء المجالس النيابية فهل هم بحق أكفأ الرجال وأكثرهم اهلية لاستلام ولاية الأمة. إن الناظر لنتائج الانتخابات في غالبية هذه الدول ليرى البون الواضح بين من وصلوا إلى الرئاسة والمجالس النيابية وبين من لم يحالفهم الحظ، لقد أوصلت قوانين الانتخاب من خلال الفجوات الكثيرة فيها ومن خلال الفجوات الكبيرة أيضاً في طبيعة التركيبة الإجتماعية في المجتمعات الشرقية والغربية أفراداً غير صالحين لقيادة الأمة وتولي أمرها، ويشهد على ذلك عامة الناس وعلماءها ومفكريها .

إن الإسلام وهو يضع القواعد والضوابط التي تضمن وصول أكفأ الرجال لمناصبهم سواء لرئاسة الدولة أو المجالس النيابية، إنما يريد أن يضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ويخطط للقضاء على جميع المعوقات السياسية

(١) جريدة الدستور الأردنية، العدد رقم (٨٩٢٦) تاريخ ١٩٩٢/٦/٣٠ - الصفحة الأخيرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والاقتصادية والاجتماعية التي تقف عائقاً في وجه الحرية الحقيقية، وهو في نفس الوقت لا ينكر بل يطور ويشجع الضمانات الجيدة التي وصلت إليها الحرية السياسية في الأنظمة الوضعية .

وفي الخلاصة يمكننا القول بأن الأنظمة العصرية قد نجحت في إيجاد قوانين جيدة للانتخاب العام. حيث تسمح هذه القوانين للجميع بالمشاركة في الانتخابات العامة وهو أمر يوافق الرأي الإسلامي في هذا المجال، كما أن الاسلوب المتبع في الدول الغربية والذي أقر انتخاب رئيس الدولة بأسلوب حر مباشر. اسلوب يوافقه الإسلام بشرط أن لا تمارس فيه أية ضغوط أو اغراءات أو تدخلات عند اجراء هذه الانتخابات، ويرى عدد من فقهاء المسلمين بأن الإسلوب ذاته بانتخاب رئيس الدولة في الإسلام أمر مشروع وليست فيه أية حرمة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

حرية الرأي والمعارضة بين الإسلام والنظم الوضعية

الرأي هو حصيلة التفكير والتعبير وقد أقر الإسلام حق الإنسان في التفكير بشؤون الحياة كلها، ومن المعروف أن التفكير يكون في أحد إتجاهين. الإتجاة الأول نحو الخير والإتجاه الثاني نحو الشر، وكل ذلك نشاط فكري، وقد حرص الإسلام على توجيه نشاط الإنسان نحو الخير .

وحيث الإنسان بطبعه بحاجة إلى طاقة توجهه نحو الرشد والخير، فمن هنا تأتي مهمة الإسلام الذي لا يسعى إلى كبت هذا النشاط في الإنسان وتعطيله لأنّ في تعطيله تغيير لطبيعة الإنسان وفطرته، وتوجيه الإسلام في حرية الرأي والتفكير والتعبير قائم على رسم الإتجاه الذي يسير عليه الناس ضمن أحكام وضوابط تحكم تصرف الإنسان في حالة إلتزامه بالإتجاه المرسوم أو سلوكه السبيل المعاكس له [1].

وتبعاً لحرية الرأي فلابد من وجود المعارضة، والتساؤل هنا هل عرفت الشريعة الإسلامية المعارضة وما مدى تطبيقها في التاريخ؟. وعليه فيمكننا القول بأن الحرية كانت وما زالت قاعدة أساسية من قواعد نظام الحكم في الإسلام، وبوجود حرية الرأي وتوفر الحرية السياسية فلابد من وجود المعارضة ، وتستمد المعارضة في النظام الإسلامي حكم وجودها من القرآن والسنة وهو ما تمّ بيانه في الفصول السابقة، حيث يقول تعالى (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرونَ بِالمَعْروفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ)[2]. وبهذا المبدأ العظيم تستطيع الأمة أن تراقب الحاكم، فإذا زاغ عن الحق فعلى الأمة محاسبته وتصحيح خطأه . فإذا لم يستجب أصبح عزله واجباً وعلى ذلك فإن المعارضة واجبة في الإسلام [3].

لقد أخذت الأنظمة المعاصرة صوراً شتى من حرية الرأي والمعارضة السياسية، تفاوت حجمها بين المستوى الفردي والمستوى الجماعي - كما أن الصورة الحقيقية لحرية الرأي والمعارضة السياسية تتفاوت من بلد إلى آخر. حتى وإن أتفقت هذه البلدان بنفس النمط السياسي في الحكم .

وسوف نبين في هذا المبحث حرية الرأي والمعارضة السياسية بين

---

(١) عبدالوهاب الشيشاني، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، ص٥٦٣ - ٥٦٤ .

(٢) سورة ال عمران ، آية ١١٠ .

(٣) كريم كشاكش ، الحرية العامة في الأنظمة السياسية المعاصرة ، ص٢٦٥- ٢٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإسلام والنظم الوضعية من خلال المطلبين التاليين :-

المطلب الأول : حرية الرأي والمعارضة في الإسلام .

المطلب الثاني : حرية الرأي والمعارضة في النظم الوضعية .

المطلب الأول

حرية الرأي والمعارضة في الإسلام

حرية الرأي والتعبير مصانة في الإسلام ، وقد جاءت الشريعة الإسلامية لتحرير العقل البشري من الخرافات والأوهام والعادات والتقاليد البالية، ودعت الإنسان للتفكير والتدبر وإستخدام العقل، ولم تجعل الشريعة الإسلامية حرية الرأي حقاً لكل إنسان فحسب بل جعلته واجباً على الإنسان في كل ما يمس الأخلاق والمصالح العامة والنظام العام .

وإبداء الرأي في الإسلام يختلف حسبما يكون الأمر دينا أو دنياً ، ففي الأمور الدنيوية كفل الإسلام حرية إبداء الرأي للأفراد في حدود الحكمة والموعظة الحسنة، وهذا معناه أن يكون الرأي خالياً من القذف والسب أو الدعوة إلى فتنة، أما في الأمور الدينية فلكل مجتهد في غير موضع النص أن يجتهد برأيه في حدود الأسس العامة لهذة الشريعة، ولا اجتهاد فيما ورد فيه نص من كتاب أو سنة [1] .

لقد أوجب الإسلام على من استشير أن يشير بالحق وأن يدلي برأيه فيما يعتقد جازماً (بعد نظر وتفكير وتدبر) أنه للمصلحة العامة حيث يقول الرسول *صلى الله عليه وسلم* (إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه). كما يجب على المسلم إذا ما أتضح له حق في أمر من الأمور أن يدلي برأيه إستجابة لأمر الله ورسوله الذي جعل من شروط المواطنة الحقة قول الحق والمجاهرة به سعياً لإحقاقه في المجتمع، حيث ورد عن عبادة بن الصامت أنه قال (بايعنا رسول الله *صلى الله عليه وسلم* على السمع والطاعة وعلى أن نقول الحق أينما كان لا نخاف في الله لومة لائم). وتشجيعاً لحرية الرأي فقد اعتبر الإسلام أن ترك المسلم الإدلاء برأية فيما يرى أنه حق أمراً محتقراً ، وقد ورد أن الرسول *صلى الله عليه وسلم* قال (لا يحقرنَّ أحدكم نفسه). واعتبر التحقير أنه رؤية المسلم لمقال له فيه رأي فلا يقول فيه، كذلك فقد اعتبر الإسلام الساكت عن الحق شيطاناً أخرس، وقد كان لحرية الرأي في صدر الإسلام صورة رائعة وواضحة إذ حرص الرسول *صلى الله عليه وسلم* على تدريب المسلمين على ممارستها واعتبارها واقعاً في حياتهم، فكان

---

(١) كريم كشاكش ، الحرية العامة في الأنظمة السياسية المعاصرة ، ص ٢٥٩-٢٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يسألهم الرأي في الشؤون العامة وفي الشؤون الخاصة، وكان المسلمون يعلنون رأيهم بكل صراحة حتى وإن خالفوا رأي الرسول *صلى الله عليه وسلم*، فقد أبدى الحباب بن المنذر رأيه الشخصي في موقع المسلمين يوم بدر على غير ما رأى الرسول عليه السلام فأخذ الرسول برأيه، وكذلك ما جرى في سقيفة بني ساعدة لإختيار خليفة المسلمين بعد وفاة الرسول *صلى الله عليه وسلم* حيث جرى النقاش الحر وبدت حرية التعبير وحرية الرأي بين المهاجرين والأنصار، وأبدى كل فريق حجته في إختيار خليفة المسلمين حتى أقتنعت الغالبية العظمى بضرورة تولية أبي بكر الصديق .

ومن الصور الواضحة في إبداء حرية الرأي ما جرى بين أمير المؤمنين عمر والمرأة المسلمة عندما أراد أمير المؤمنين تحديد مهور النساء ، فوقفت المرأة وقالت ليس هذا لك يا أمير المؤمنين وتلت قوله تعالى (وإِنْ أَرَدتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مكانَ زَوْجٍ وآتَيتُم إِحْداهُنَّ قِنطاراً فَلا تَأْخُذوا مِنْهُ شَيْئاً)[1]. فطأطأ الفاروق رأسه وقال (كل الناس يعلم القرآن إلا أنت يا عمر، وفي رواية أخرى قال أصابت امرأة وأخطأ عمر)[2].

لكن الإسلام أحاط حرية الرأي بمجموعة من الضوابط وذلك حتى تبقى حرية الرأي مصانة وحيّة وإلا فإن طبيعة الإنسان حب الإنفلات، وعليه فقد حرص الإسلام على تربيةاتباعه على إلتزام الأدب وإحترام الآخرين في المناقشة وإبداء الرأي ونهى عن المجادلة المؤدية إلى البغضاء والعداوة، كما حدد الإسلام حدوداً وبين بأنه لا يجوز أن تؤدي حرية الرأي إلى الفرقة والفتنة بين المسلمين ونشر الإلحاد والأهواء والبدع بينهم، وبين كذلك بأنه لا يجوز أن تؤدي حرية الرأي لتناول الناس بالفاحش من القول في أعراضهم وإسرارهم، قال تعالى (لا يُحِبُّ اللّهُ الجَهْرَ بالسّوءِ مِنَ القَوْلِ إلا مَنْ ظُلِم)[3] .

والشريعة الإسلامية لا تترك حرية الرأي على إطلاقها ولا بالتقييد على إطلاقه، فحرية الرأي في الإسلام لا تكون مستقيمة إلا إذا قامت على منظار علمي قويم دونما اعتداء على الدين أو إفساد أهله ، فمن أبدى رأيه معتدياً على غيره فإن رأيه يكون جريمة يجب العقاب عليها .

أما حرية المعارضة في الإسلام فقد كان لها دور كبير وإن لم توجد بمعناها السياسي المعاصر، والمعارضة لا توجد إلا مع حرية الرأي وأكثر ما

---

(١) سورة النساء ، آية ٢٠

(٢) محمد أبو زهرة ، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٣) سورة النساء ، آية ١٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفقدها في النظام السياسي الذي لا يؤمن بالحريات العامة ، لقد مرّ معنا أن الحرية بجميع أشكالها تعتبر ركيزة أساسية من ركائز الحكم الإسلامي، والمعارضة تعتبر نتيجة طبيعية لتوفر الحرية السياسية، ولا يسعى الإسلام لقمع المعارضة السياسية بإستخدام القوة بل يستخدم الحوار الهادف الموصل إلى الحق والحقيقة، والمعارضة في الإسلام نوعان. النوع الأول هو معارضة الإسلام. وهذا في نظر الشرع ردة ينبغي القتال عليها ورد أهلها إلى حضيرة الدين أو قتلهم، أمّا النوع الثاني فهي المعارضة في الإجتهاد فيما يعتقد صاحب المعارضة أنه على حق، وهذا أمر مباح في الإسلام وهو صورة من صور حرية الرأي ينبغي تشجيعه والأخذ به، والأمثلة على وجود المعارضة في الإسلام كثيرة جداً وهذا ما رأيناه في الفصول السابقة فقد عارض الأنصار المهاجرين في بداية ولاية أبي بكر ، كما كان الأفراد يعارضون الحكام ويوقفوهم عند حدودهم وهذا ما رأيناه مع أمير المؤمنين عمر، وأمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز وأبو بكر الصديق، بل ومع رسول الله *صلى الله عليه وسلم* نفسه .

والمعارضة حق لكل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي خصوصاً فيما يهم الجماعة، بل يعتبر واجباً كما حثنا على ذلك رسول الله *صلى الله عليه وسلم* إذ يقول (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطيع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان).

وإذا ما أردنا أن نقيم المعارضة في الإسلام فإنه يمكن وصفها بما يلي[1]:-

١- المعارضة في الإسلام واجبة على كل فرد من أفراد الرعية وهي مستمدة من كتاب الله وسنة الرسول *صلى الله عليه وسلم* .

٢- المعارضة في الإسلام هي معارضة مواقف وجزئيات ومن أجل المصلحة العامة وليست معارضة للأصول والمبادىء أو قائمة على الأهداف الشخصية .

٣- كفل الإسلام حق المعارضة لأي فرد في الدولة في حدود الشريعة الإسلامية، أما خارج إطار الشريعة فكل امرىء حجيج نفسه .

٤- المعارضة في الإسلام ليست صورية بل تعني تصحيح الخطأ وإيجاد البديل المقنع ولتحقيق مصلحة الأمة في حدود الشرع الحنيف .

٥-الأصل في الإسلام أن الحاكم المسلم واسع الصدر، يتحمل المعارضة ويصبر عليها، يحاورها ويناقشها ويفتح المجال أمام الجميع للإدلاء برأيه لقبوله أو رده بالحسنى .

إن المعارضة في الإسلام معارضة ناصحة وبنّاءة ومنظمة وحرة، وحرية

(١) كريم كشاكش، الحرية العامة في الأنظمة السياسية المعاصرة ، ص ٢٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرأي هي القناة الطبيعية لممارسة حق المعارضة، وبغير المعارضة المنظمة تصبح الكلمة بلا معنى وتبقى السلطة بلا رقيب ولا محاسب، والمعروف أن كل ابن آدم خطاء، والناقد بصير فلا يبصر عيب السلطة إلا المعارضة الهادفة ، ولا يجرؤ على محاسبة السلطة إلا المعارضة، فهي التي تصحح أخطاء الحكام وتقف لهم بالمرصاد وتصوب إنحراف الحكومات وتبحث عن دقائق الأمور ، من هنا فقد حرص الإسلام على وجود هذا النوع من المعارضة التي تضع الحاكم المسلم بالصورة عن كل صغيرة وكبيرة، ولا تستحي من قول الحق لقوله تعالى (واللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ)[1] .

إن حرص الإسلام على وجود المعارضة يأتي من حرصه على بقاء الدولة قوية ثابتة في وجه كل تغيير، كما يأتي من حرصه على إستمرار الحياة خالية من القلاقل والفتن ، وضامناً لها أعلى درجات الأمن والإستقرار .

المطلب الثاني

حرية المعارضة في النظم الوضعية

تُقسَّم النظم الوضعية من حيث حرية المعارضة فيها إلى أربعة أقسام رئيسية هي :-

١- الأنظمة الشمولية : وهي الأنظمة القائمة على الفكر الماركسي وقد انتهى معظمها ولم يبق منها إلا القليل .

٢- الأنظمة الديموقراطية : وهي الأنظمة القائمة على فكر الديموقراطية الغربي وهي الأنظمة الغالبة في العالم

٣- الأنظمة شبه الديموقراطية : وهي الأنظمة القائمة على الجمع بين السماح بنظام المعارضة الجزئي مع ثبات قوة السلطة الحاكمة وعدم السماح بالمساس بها.

٤- الأنظمة الدكتاتورية : وهي الأنظمة القائمة على أصول عسكرية مثالها بعض دول العالم الثالث .

تتميز هذه الأنظمة أن لكل منها نظرته الخاصة للمعارضة، فالأنظمة الشمولية القائمة على الفكر الماركسي ترى أن حرية المعارضة لا يكون وجودها إلا بعد تحقيق مرحلة الشيوعية الكاملة، فالماركسيون يرون أن الحرية الكاملة لا تتحقق في المرحلة الأولى من مراحل تطور الدولة (وهذه المرحلة هي مرحلة دكتاتورية (البروليتاريا) والتي تنتهي بمقاومة الطبقة البرجوازية والقضاء عليها، وإنما تتحقق في المرحلة الثانية من مراحل تطور الدولة وهي المعروفة

---

(١) سورة الاحزاب ، آية ٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في مذهبهم بالشيوعية الكاملة[1].

إن الأنظمة الشمولية لا تسمح لأية معارضة شعبية بالظهور، وتستخدم في سبيل ذلك أقسى الإجراءات العسكرية للقضاء على هذه المعارضة، والدليل على ذلك إجراءات الحكومة الصينية في السنوات الأخيرة ضد المعارضين للنظام الشيوعي والمطالبين بإجراءات تصحيحية في النظام الاقتصادي والسياسي، فقد استخدمت الحكومة ضدهم القوة العسكرية، ولجأت إلى الإبادة الجماعية لإخماد صوت المعارضة، وكذلك كان الحال في الدول الشيوعية السابقة أيام الإتحاد السوفيتي سابقاً ويوغسلافية والمانيا الشرقية، وتسمح هذه الأنظمة للمعارضة بالتنفس داخل نظام الحزب الواحد أما خارج إطار الحزب فإن المعارضة معدومة ولا يسمح لها بالظهور، وقد استخدمت الأنظمة اليسارية في غالبها الإجراءات ذاتها ضد المعارضين لنظامهم السياسي، فالنظام السياسي في سوريا وهو نظام قائم على جذور يسارية أساسها حزب البعث إستخدم أقسى درجات العنف ضد المعارضين السياسيين وذلك طيلة العقود الأربعة الماضية، فقد أعدم وأباد عشرات الآلاف من الضحايا ودمر أحياء بكاملها في مدينة حماة وتدمر وغيرها وهدم البيوت وشرد الآلاف من أبناء سوريا والذين لا يزالون يتنقلون بين معظم دول العالم شرقه وغربه [2]. وكذلك كان الحال بالنسبة للنظام المصري خاصة في أيامه الأولى فقد استخدم النظام ضد معارضيه إجراءات قاسية تمثلت في السجن والتعذيب والنفي والإعدام، ولم يكن النظام العراقي أقل قساوة من الأنظمة الأخرى بشأن التعامل مع المعارضين، لقد كان شأن الأنظمة الشمولية والأنظمة القريبة منها سلبياً مع المعارضة السياسية ، وعليه فيمكننا القول بأن المعارضة لا وجود لها في هذه الأنظمة .

<u>أما المعارضة في الأنظمة الديموقراطية الغربية</u> : فإنها تأخذ صورة أكثر وضوحاً ، فقد وصلت هذه الأنظمة إلى درجة جيدة من تطبيقات الديموقراطية تمثلت في حق التصويت للجميع ، وحق الترشيح للانتخابات وحق إنتقاد الحكومة وحق الحزب الفائز بتشكيل الحكومة، ففي الولايات المتحدة مثلاً تقوم الانتخابات النيابية على أساس حزبي مع توفر وتكافؤ الفرص للجميع، وقد حرص الدستور الأمريكي على تحقيق ثلاثة أمور رئيسة [3] .

١- الحرص على حماية الحكم الذاتي للولايات المتحدة الأمريكية وهذا ما دفع

---

(١) كريم كشاكش ، الحرية في الأنظمة السياسية المعاصرة ، ص١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) مجموعة من الباحثين ، حماة مأساة العصر . المكتب الإعلامي للاخوان المسلمين ، بلا تاريخ ، ص٧-١٣.

(٣) الموجز عن بريطانيا، قسم الابحاث، وزارة الخارجية الأردنية، مقتطفات من الدستور البريطاني، ص٥٤-٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واضعي الدستور للأخذ بمبدأ فصل السلطات .

٢- وضع حواجز لتحول دون جموح الديموقراطية نحو التطرف. منها مبدأ فصل السلطات، ومواجهة المجالس بسلطة تنفيذية قوية تقف معها على قدم المساواة، وتقسيم المجلس إلى مجلسين من أجل الحد من تطرف المجلس الواحد .

٣- عمل الدستور على تقييد وسائل العمل المتاحة للسلطة إلى أقصى الدرجات وتأمين الحريات للأفراد، وتؤدي المعارضة دورها من خلال الكونجرس حيث تؤخذ القرارات بالأغلبية، ولا يجوز للكونجرس أن يسن قانوناً ينتقص من حرية الكلام أو حرية النشر، وللمعارضة حقها في توجيه النقد ومراقبة أداء الحكومة، ويمكن للمعارضة إسقاط الرئيس وقد حصل هذا في تاريخ الولايات المتحدة في قضية ووترغيت .

أما في بريطانيا فإن أهم أنواع المعارضة تتمثل في المعارضة الحزبية بحيث يكون الحزب الثاني في الانتخابات هو حزب المعارضة، ويقوم بتشكيل حكومة الظل أو الحكومة الوهمية، وتقوم حكومة الظل بتوجيه الانتقادات لكل قرارات وسياسات وإجراءات الحكومة، وتكون هذه الإنتقادات مبنية على أساس وجهة نظر حزب المعارضة، ويحق لحزب المعارضة الحصول على المعلومات الكاملة عن كل دائرة من الدوائر العامة وممارسة الدعاية اللازمة وحضور المناقشات العامة.

وتعتبر بريطانيا من أقدم الدول في حرية المعارضة حيث يسمح لأي فرد في الدولة بتوجيه النقد لأي مسؤول مهما علت رتبته، وتتمثل قمة المعارضة في الحديقة العامة وسط لندن .

ويمكننا القول بأن جو المعارضة في بريطانيا يعتبر من أوسع المجالات التي تمارس المعارضة من خلاله حقها في التعبير عن رأيها وتوجيه النقد الذي تريده .

أما بقية الدول الأوروبية مثل ألمانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا وإيطاليا وغيرها فقد أدت الحياة الديموقراطية فيها إلى إعطاء المعارضة حقها بشكل جيد وأداء دورها المعارض بشكل فردي وجماعي، وخلاصة القول فإن النظم الديموقراطية الغربية تتعامل مع المعارضة بشكل يوازي ما تقرره الشريعة الإسلامية في التعامل مع المعارضين وإعطاءهم حقوقهم. إذا ما استثنينا بعض الفجوات التي تعاني منها معظم الأنظمة الوضعية[1].

---

(١) بعض هذه الفجوات (إمتيازات الطبقة الحاكمة، وصعوبة إيصال صوت المعارضة أحياناً ، وسطوة بعض الأنظمة في وجه المعارضة ، وعدم الأخذ برأي المعارضة أحياناً) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الأنظمة شبه الديموقراطية : وهي الأنظمة التي يتمتع فيها الرؤساء بتعيين دائم وتسمح هذه الأنظمة بإجراء انتخابات نيابية عامة ربما توصل صوت المعارضة إلى قبة البرلمان وخير مثال على ذلك (الأردن)، فالمعارضة في هذه الدول تستطيع أن توصل صوتها بكافة الوسائل المسموعة والمرئية ولكن بشكل محدد. أما داخل البرلمان فإن المعارضة تؤدي دورها بشكل كامل مع بعض التحفظات، وتؤدي المعارضة دورها من خلال المراقبة والتوجيه والمحاسبة ولكن بسبب عدم امتلاك المعارضة للسلطة التنفيذية فإنها ربما لا تصل إلى تحقيق أهدافها المطلوبة بالتغيير الذي تراه مناسباً ، وتواجه المعارضة في هذه الدول خطر الحظر عليها أو منعها من ممارسة نشاطها إذا ما شكلت خطراً على السلطة التنفيذية، وخير مثال على ذلك ما حصل في الجزائر عام ١٩٩١، ١٩٩٢ حيث تمّ إلغاء الانتخابات النيابية وحظر عمل المعارضة الرئيسة في البلاد عندما تبين بأن المعارضة ربما تستولي على السلطة التنفيذية .

أما الأنظمة الدكتاتورية والعسكرية : فإنها تتميز بإلغاء المعارضة فيها نهائياً وتمارس ضد الجماعات المعارضة أشد الاجراءات إذا ما حاولت المعارضة رفع صوتها في وجه الحكومة .

من خلال ما تقدم فإننا نلاحظ أن النظام السياسي في الإسلام يقر المعارضة الفردية والجماعية وبأي شكل من الأشكال ضمن الحدود والضوابط التي أقرها الشرع، وعلى أن تكون المعارضة لما فيه مصلحة الدين والدنيا للوطن والمواطن، وتكاد هذه المعارضة أن تكون بنفس الصورة في الأنظمة الديموقراطية الغربية، وعليه فإن ما هو موجود من صور المعارضة في الدول الغربية قريب جداً من الروح الإسلامية في هذا المجال .

أما الأنظمة الشمولية والأنظمة الدكتاتورية في الدول الشرقية ودول العالم الثالث فإن المعارضة لا تمثل ثقلاً واضحاً في بلادها، ففي البلاد التي يسمح فيها بالمعارضة فإنها تمارس بشكل محدود بما يخدم هذه الأنظمة ويدور في فلكها .

أما الأنظمة شبه الديموقراطية فإن المعارضة فيها تأخذ دوراً متوازياً بشكل تؤدي فيه المعارضة دورها ولكن بما لا يضر بمصلحة السلطة التنفيذية أو يؤدي إلى زوالها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاتمـــــة

تتبعنا في هذا البحث مفهوم الحرية السياسية من وجهة النظر الإسلامية. سواء من حيث التقرير أو من حيث التطبيق، وقد جاء الموضوع في صورة النظرية السياسية لمفهوم الحرية في الإسلام، وقد كان تركيزنا منذ البداية على إيضاح العنوان بصورته الصحيحة، حيث تم إعتماد التحليل لآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل إستخلاص المعاني الدقيقة للحرية السياسية، فجاءت الآيات والأحاديث خير برهان على هذا المفهوم الذي يجادل حوله الكثير من مسلمين وغير مسلمين «حيث يقول البعض بأنه لا حرية في الإسلام». وقد استطعنا من خلال هذا البحث دحض هذا الإتهام وبيان الصواب في أن الإسلام دين الحرية ودين العدالة والمساواة. لا دين الإكراه والإجبار، قال تعالى (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ).

لقد أقتضى مفهوم البحث إبتداء بحث مفهوم الحرية من منظور غير إسلامي، وذلك من أجل الكشف على الجوانب السلبية والإيجابية في الحضارات القديمة والحديثة بإعتبارها تمثل الإمتداد القديم والحديث لمفهوم الحرية السياسية، وأن هذا المفهوم لم يكن جديداً عندما أقره الإسلام ، فالإسلام أقر ما كان موافقاً لعقيدته وأضاف ما وجده مناسباً لصالح البشرية .

وقد تبين من خلال التحليل أن الحرية السياسية موضوع دقيق تم بيانه بوضوح تام من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وهو الأمر الذي غفل عنه الكثير من أبناء المسلمين .

ولعل من الأهمية بمكان التأكيد على أن الشريعة الإسلامية قد جاءت لتحقيق مصالح العباد، وأنّ ما أقره الشرع الحنيف من أحكام وما ارتكز عليه من أسس ومبادىء إنما قصد به حفظ هذه المصالح وتحرير النفس البشرية من العبودية لغير الله، وإقرار المساواة بين الخلق في الحقوق والواجبات، فقد أقر الإسلام مبدأ الشورى كأقوى ركيزة من ركائز الحكم في الإسلام. والذي أردنا أن نبينه من خلال هذا البحث أن الشورى من أقوى ضمانات الحرية السياسية، وقد تبين ذلك من خلال الممارسة الحقيقية لهذا المفهوم في التجربة السياسية الإسلامية.

كما أننا وجدنا من خلال البحث ضرورة توضيح بعض المفاهيم الأساسية المتعلقة بموضوع الطاعة والحاكمية والعدل والمساواة ومدى علاقتها بالحرية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياسية سلباً وإيجاباً. حيث تبين لنا أن هذه المبادىء تعتبر من أقوى ركائز الحرية السياسية في الإسلام، وذلك معاكسٌ تماماً للإعتقاد القائل بأن هذه المفاهيم تعتبر قيداً على حرية الأفراد .

وكان من الضروري بيان حرية غير المسلمين وحرية المرأة في الدولة الإسلامية، فكان البيان الواضح للمجال السياسي الذي يمكن أن يمارس فيه غير المسلم حريته داخل دار الإسلام، وهذا ما تم شرحه حيث تبين أن غير المسلمين عاشوا جواً مميزاً داخل دار الإسلام بخلاف ما تعيشه الأقليات المسلمة عند غير المسلمين ، كما تمَّ بيان الرأي الإسلامي فيما يتعلق بحرية المرأة في الإسلام ، فكانت الحجة والبيان ورد شبهات المغرضين والمتحاملين وبيان مدى الإحترام والتقدير الذي أقره الإسلام للمرأة من خلال تشريعاته وتطبيقاته .

ومن خلال التجربة السياسية والتي أفردنا لها فصلاً كاملاً قصدنا أن نبين التطبيق العملي لمفهوم الحرية السياسية في دولة المدينة المنورة ودولة الخلافة الراشدة، وكان من نافلة القول أن نعرض للتجربة السياسية في دولة بني أمية وبني العباس التي لم تُعدم فيها بعض مظاهر الحرية السياسية التي أقرها الإسلام، كما أن الحركة الإسلامية المعاصرة لها وجهة نظرها في التجربة السياسية وهذا ما عملنا على بيانه من خلال فهمها لحرية الرأي والتعبير سواء على المستوى الداخلي للحركة أو على مستوى تعاملها مع الأنظمة والإتجاهات السياسية الأخرى .

فهم البعض أن بعض المصطلحات السياسيه الحديثه لا وجود لها في الاسلام، وهي ذات مساس مباشر بمفهوم الحريه السياسيه، فتبين لنا من خلال البحث وهو ما عمدنا إلى توضيحه أن هذه المفاهيم لها أصولها وتطبيقاتها في الاسلام حتى وإن لم تأخذ التسميه ذاتها، فالتعدديه السياسيه ومفهوم المعارضه لها أصولها وتجربتها الأولى في ظل الاسلام، كما أنها لا يمكن أن تكون خارج دائرة النظام السياسي المعاصر في نظر الاسلام.

لقد أثبتت التجربه السياسيه أن هناك اتفاقاً وتبايناً بين الاسلام والأنظمة الوضعية، فقد يتفق الاسلام مع الانظمة الوضعية في امور ويختلف معها في أمور اخرى، وذلك أتٍ من أن الاسلام نظام ثابت جاء من عند الله أما الأنظمة الوضعية فهي من صنع البشر، وهي عرضة للتغيير والتبديل بين الحين والآخر.

إن تميز الاسلام كان واضحاً بأسلوبه في معالجة حقوق الانسان وحرياته،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سواء من حيث اقرار تلك الحقوق أو من حيث تطبيقاتها، فمن حيث إقرار الحقوق والحريات الأساسيه للأنسان نظر الاسلام إلى الحريه على أنها حق طبيعي وضروري وبديهي. وأن تعطيلها يتناقض مع معنى التكليف ومعنى الحياة الكريمة، كما يتعارض مع معنى الانسانيه في الانسان كخلق عاقل متميز عن سائر المخلوقات.

إن الاسلام حين أقر للانسان حقوقه وحرياته فقد أحاطها بسياج من الضمانات. تتمثل في العقوبات والحدود التي أقرها وألزم الجماعه بالالتزام بها كفالة لذلك الحق. لأن كل حريه لاتحاط بأحكام لكفالتها تفقد كل معنى لوجودها، ولذلك فإن جميع النصوص الشرعيه الوارده بشأن حرية الأفراد في الاسلام سواء في باب المعاملات أو العبادات أو الأخلاق الاجتماعيه أو غيرها. نجدها حيث تقرر حقاً من الحقوق تضع تجاهه احكاماً لضمانه. وكفالة للتمتع به، وتلزم الأخرين باحترامه.

والاسلام حين أقرالحريه لم يجعلها مطلقة من كل قيد. بل ربطها بحدود الالتزام بمبادئ الخير وجعل لها حدوداً تنتهي إليها، حتى لا يُعتدى باسمها على حق الغير في نفس الاتجاه، فالناس جميعاً في نظر الاسلام أحرار، وحريتهم مطلقة مالم تصطدم بالخير أو بحق الغير. وقد توصل الباحث من خلال دراسته للحرية السياسية إلى عدد من النتائج والتي ترتب عليها عدداً من التواصي نتناولها في هذه العجالة السريعه بما يكفل تحقيق الغاية والهدف وإيضاح الصوره والمطلب.

١. اعتماد مواد السياسة الشرعية وتدريسها في المعاهد والجامعات، لا شك أن ارتباط أمتنا بحضارتها له أكبر الأثر في عودة الأمل لهذه الأمه لأن تعاود دورها من جديد . وارتباط حضارة الأمة بدينها يوجب عليها العوده إلى أصول هذه الحضاره العريقه. وربطها بحاضر الامه ومستقبلها.

٢. يوصي الباحث بضرورة تبني المراكز الثقافية والاندية ووسائل الاعلام المختلفة فكرة عرض موضوعات الحرية السياسية في الاسلام، وإجراء الحوار الفكري المستنير لبيان الرأي الصواب، وتوضيح حقيقة الحرية السياسية في الاسلام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. يوصي الباحث بقيام نخبة من الباحثين بوضع مسودة النظام السياسي في الاسلام وكذلك مسودة دستور اسلامي يتلائم مع الواقع والظروف السياسية التي تعيشها الأمة. على أن يشمل متطلبات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والسياسية والعسكرية.

٤. يروج عالمياً ومحلياً أن الإسلام يكرس نظام الدكتاتورية ويقمع الرأي الآخر ضمن صورة كاملة من التخلف والرجعية ومصادرة حقوق الإنسان وخاصة المرأة، ولهذا يوصي الباحث بأن تنبري مجموعة متخصصة من المفكرين الإسلاميين لعرض صورة الإسلام الصحيحة المعاكسة تماماً لهذا الترويج الباطل والمغرض .

٥. من خلال مقارنة الواقع الذي تعيشه الشعوب الإسلامية والعربية في الوقت الحاضر مع واقع الحياة السياسية في ظل الإسلام، فإن الباحث يوصي بضرورة تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في واقع الأمة الإسلامية اليوم .

٦. لقد تبين أن مجموعة من الباحثين قد قاموا بإجراء بعض الدراسات في مواضيع متخصصة لكنها لم تكن كافية وشاملة، وعليه فإن الباحث يوصي بإجراء دراسات متخصصة وواضحة ودقيقة في الموضوعات التالية .

أ- حرية المرأة السياسية في الإسلام .

ب- حرية غير المسلمين في الدولة الإسلامية .

جـ- مقارنة شاملة بين حرية الفرد في الإسلام وحريته في الأنظمة المعاصرة .

٧. هناك مصطلحات سياسية معاصرة يتم تداولها في معظم الأبحاث السياسية قد لا يوجد لها مقابل في النظام السياسي الإسلامي، وبناء عليه فإن الباحث يوصي بضرورة قيام بعض فقهاء السياسة الإسلاميين. بصياغة مصطلحات سياسية إسلامية تتناسب ولغة العصر السياسية .

٨. ارتبط في ذهن البعض من المسلمين وغير المسلمين أن الإسلام دين الدماء والإرهاب والدمار، وحيث أن هذا المعنى لا أساس له في الإسلام فإن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباحث يوصي بضرورة إفساح المجال أمام رجال الفكر الإسلامي لعرض وجهة النظر الإسلامية في هذا الموضوع بحرية تامة. حتى يفهم الجميع حقيقة الإسلام ونظرته الإسلامية الشاملة .

هذه هي نظرة الإسلام إلى الحرية وذلك هو منهجه في إقراره لكافة الحقوق ومختلف الحريات، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. وهو القائل في كتابه العزيز (قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللَّهِ نُورٌ وكِتابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ ويُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ بِإِذْنِهِ ويَهْدِيهِم إلى صِراطٍ مُسْتَقِيم)[1]. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) سورة المائدة ، آية ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المراجـــع

القرآن الكـريـم

الكتـــب

١. أباظة (إبراهيم)، الغنام (عبد العزيز)، تاريخ الفكر السياسي . بيروت : دار النجاح، ١٩٧٣ .

٢. أبو زهرة (محمد) ، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام . بيروت : دار الفكر،.١٩٧٠.

٣. أبو شقة (عبدالحليم)، تحرير المرأة في عصر الرسالة . الكويت : دار العلم للتوزيع والنشر ، ١٩٩٠ .

٤. أبو غنيمة (زياد) ، مواقف بطولية من صنع الإسلام، ط٤ . عمان : دار الفرقان ، ١٩٨٥.

٥. أبو فارس (محمد)، أسس في التصور الإسلامي. عمان: دار الفرقان ، ١٩٨٢.

٦. أبو فارس (محمد)، ثلة من الأولين . عمان : دار الأرقم ، ١٩٨٧ .

٧. أبو فارس (محمد)، حكم الشورى في الإسلام ونتيجتها. عمان: دار الفرقان، ١٩٨٧.

٨. أبو فارس (محمد)، النظام السياسي في الإسلام. الكويت : دار القرآن الكريم، ١٩٨٤.

٩. أحمد (فؤاد عبد المنعم)، مبدأ المساواة في الإسلام. الاسكندرية : مؤسسة الثقافة الجامعية ، بلا تاريخ .

١٠. آدم (متز)، الحضارة الإسلامية، تعريب أحمد أوريده . بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٦٧ .

١١. أمين (أحمد)، ضحى الإسلام . بيروت : دار الكتاب العربي ، بلا تاريخ .

١٢. أمين (أحمد)، فجر الإسلام . بيروت : دار الكتاب العربي ، بلا تاريخ .

١٣. أمين (صادق)، الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية . عمان: جمعية عمال المطابع المركزية ، ١٩٨٢ .

١٤. الأنصاري (ناصح الدين)، أقيسة النبي المصطفى . القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٩٧٣ .

١٥. بادوفر (چول)، معنى الديموقراطية، ترجمة جول عزيز . بيروت : دار الكرنك للنشر ، ١٩٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٦. البخاري (محمد بن إسماعيل)، صحيح البخاري . القاهرة : مطبعة دار الشعب ، ١٩٧٨ .
١٧. البدوي (إسماعيل)، الحريات العامة . القاهرة : دار الفكر ، ١٩٨٠ .
١٨. بركات (سليم)، مفهوم الحرية في الفكر العربي الحديث. دمشق: دار دمشق، ١٩٨٢.
١٩. البغدادي (أحمد مبارك)، الفكر السياسي عند الماوردي . بيروت : مؤسسة الشراع للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤.
٢٠. البغدادي (عبدالقادر)، أصول الدين . استانبول : مطبعة الدولة ، ١٩٢٨ .
٢١. البلاذري (أحمد)، فتوح البلدان . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦ .
٢٢. بن تيمية (أحمد) ، السياسة الشرعية . القاهرة : مطبعة دار الشعب ، ١٣٨٠هـ .
٢٣. بن حنبل (أحمد) ، مسند الإمام أحمد . بيروت : دار صادر ، بلا تاريخ .
٢٤. بن خلدون (عبدالرحمن)، المقدمة . القاهرة : مطبعة التقدم ، ١٣٢٩هـ .
٢٥. بن كثير (محمد إسماعيل) ، البداية والنهاية . بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٢ .
٢٦. بن كثير (محمد إسماعيل) ، تفسير القرآن العظيم . بيروت: دار المعرفة، ١٩٦٩.
٢٧. البهي (محمد) ، الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر . القاهرة: دار التوفيق، ١٩٨٢ .
٢٨. البوطي (محمد سعيد)، على طريق العودة إلى الإسلام. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١ .
٢٩. الترابي (حسن)، الحركة الإسلامية في السودان. القاهرة: القاريء العربي، ١٩٩١.
٣٠. الترمذي (محمد بن عيسى). الجامع . القاهرة : دار الفكر ، ١٩٦٤ .
٣١. التوبة (غازي)، الفكر الإسلامي المعاصر. بيروت : غير معروف دار النشر، ١٩٦٩.
٣٢. جاويش (عبدالعزيز)، الإسلام دين الفطرة والحرية . مصر : دار المعارف ، ١٩٦٨.
٣٣. الجندي (أنور)، الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني . القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ١٩٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٤. الجزري (مجدالدين)، جامع الأصول في أحاديث الرسول . بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٣.

٣٥. جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، بحوث ودراسات القرن الخامس عشرالهجري (نشرة دورية) . عمان : جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٨٢.

٣٦. الحسن (محمد علي)، العلاقات الدولية في القرآن والسنة، ط٢ . عمان : مكتبة النهضة ، ١٩٨٢ .

٣٧. الحسن (محمد)، المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي . الدوحة: دار الثقافة ، ١٩٨٦ .

٣٨. الحصين (أحمد عبد العزيز)، المرأة ومكانتها في الإسلام. القاهرة: مطابع المختار الإسلامي ، ١٩٨١ .

٣٩. حداد (إبراهيم)، الحرية عند العرب . بيروت : دار الثقافة ، ١٩٥٨ .

٤٠. حلمي (محمود)، نظام الحكم في الإسلام . القاهرة : دار الإتحاد العربي للطباعة ، ١٩٧٥ .

٤١. خالد (خالد محمد)، رجال حول الرسول، ط٥. بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٨٧.

٤٢. خالد (خالد محمد)، خلفاء الرسول . بيروت : دار الفكر، ١٩٨٣.

٤٣. خالد (خالد محمد)، عمر بن عبد العزيز. القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٨٧هـ

٤٤. الخالدي (محمد)، معالم الخلافة في الفكر السياسي الإسلامي . بيروت : دار الجيل ، ١٩٨٤ .

٤٥. الخضري (محمد)، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) . بيروت : دار المعرفة ، بلا تاريخ .

٤٦. الخضري (محمد)، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية) . بيروت : دار المعرفة ، بلا تاريخ .

٤٧. خطاب (محمود شيت)، الشورى العسكرية النبوية . بغداد : مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٩٠ .

٤٨. الدريني (محمد فتحي)، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم . بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٩٨٢ .

٤٩. دولة (محمد علي)، قصص من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ط٢. بيروت : دار القلم ، ١٩٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٠. الرزاز (منيف)، الحرية ومشكلاتها في البلدان المتخلفة . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٢ .
٥١. رشاد (عبد القادر)، الرأي العام . القاهرة : مكتبة النهضة ، ١٩٨٤ .
٥٢. الريّس (محمد ضياء)، النظريات السياسية الإسلامية. مصر: دار المعارف، ١٩٦٦.
٥٣. زكي (أحمد)، الحرية . القاهرة : دار الكتاب العربي ، ١٩٨٤ .
٥٤. زيدان (عبدالكريم)، أحكام الذميين والمستأمنين في الإسلام . بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٦٢ .
٥٥. السباعي (مصطفى)، العدالة الإجتماعية . دمشق : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٧هـ
٥٦. السباعي (مصطفى)، المرأة بين الفقه والقانون. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٤.
٥٧. السجستاني (سليمان بن الأشعث)، سنن أبي داوود . القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، ١٣٧٢هـ .
٥٨. الشاوي (توفيق)، سيادة الشريعة الإسلامية في مصر . القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ، ١٩٨٧ .
٥٩. الشاوي (توفيق) وآخرون، الحركة الإسلامية (رؤية مستقبلية). الكويت : الصفاة، ١٩٨٩ .
٦٠. شلبي (أحمد)، السياسة والاقتصاد في التفكير الإسلامي . القاهرة : دار الإتحاد العربي للطباعة ، ١٩٦٧ .
٦١. الشرقاوي (سعاد)، بنية الحريات العامة وانعكاساتها على التنظيم القانوني. القاهرة : دار النهضة ، ١٩٧٩ .
٦٢. الشرقاوي (سعاد)، نظام الانتخابات في مصر . القاهرة : دار الفكر ، ١٩٨٠.
٦٣. الشيشاني (عبدالوهاب)، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية في النظام الإسلامي والنظم المعاصرة . عمان : مطابع الجمعية العلمية ، ١٩٨٠ .
٦٤. طبلية (محمد قطب)، الإسلام وحقوق الإنسان . القاهرة : دار الفكر ، ١٩٨٦.
٦٥. طعيمة (صابر عبد الرحمن)، الإسلام والثورة الإجتماعية . القاهرة : المكتبة الحديثة ، ١٩٧٠ .
٦٦. الطماوي (سليمان محمد)، عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة . القاهرة : دار الفكر ، ١٩٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦٧. عبد الرحمن (محمد)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، ط٣ . القاهرة دار الفكر ، ١٩٧٩ .

٦٨. عبدالواحد (علي)، حقوق الإنسان في الإسلام. مصر: مطبعة دار النهضة، ١٩٦٧.

٦٩. عبدالوهاب (محمد)، كتاب التوحيد .الرياض : الرئاسة العامة للإدارات العامة والإفتاء والدعوة . ١٤٠٤هـ .

٧٠. عبدالواحد (مصطفى)، المجتمع الإسلامي . مصر : مطبعة دار التأليف ، ١٩٧٠.

٧١. العربي (محمد عبد الله)، أحكام القرآن . مصر : مطبعة الحلبي ، ١٩٦٧ .

٧٢. العسقلاني (أحمد بن حجر)، صحيح البخاري بشرح فتح الباري . بيروت، دار المعرفة ، ١٣٧٩هـ .

٧٣. عطية (نعيم) ، النظريات العامة للحرية الفردية . القاهرة : الدار القومية للطباعة ، ١٩٦٥ .

٧٤. العربي (عبد الله)، مفهوم الحرية. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٨١.

٧٥. العقاد (عباس محمود)، التفكير فريضة إسلامية . بيروت : دار القلم، منشورات المؤتمر الإسلامي ، بلا تاريخ .

٧٦. العقاد (عباس محمود)، عبقرية الصديق.بيروت:دار الكتاب العربي، بلا تاريخ.

٧٧. العقاد (عباس محمود)، الإنسان في القرآن الكريم . بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٩ .

٧٨. علوان (عبدالله ناصح)، تربية الأولاد في الإسلام . بيروت : دار السلام للطباعة والنشر ، ١٩٨١ .

٧٩. عمارة (محمد)، الإسلام وحقوق الإنسان ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون ، ١٩٨٥ .

٨٠. العمري (أكرم ضياء)، المجتمع المدني في عهد النبوة . المدينة المنورة : المجلس العلمي ، ١٩٨٣ .

٨١. العمري (أحمد سويلم)، السياسة والحكم في ظل الدساتير المقارنة . القاهرة: مكتبة الأنجلو ، ١٩٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨٢. العوا (محمد)، في النظام السياسي للدولة الإسلامية . القاهرة : المكتب العربي الحديث ، ١٩٧٥ .

٨٣. العوا (محمد) وآخرون، المستقبل الإسلامي . لندن : مركز دراسات المستقبل الإسلامي ، ١٩٩١ .

٨٤. عودة (عبد القادر)، الإسلام وأوضاعنا السياسية . بيروت : مؤسسة الرسالة، بلا تاريخ .

٨٥. عودة (عبد القادر)، التشريع الجنائي في الإسلام . بيروت : دار السلام للطباعة ، ١٩٨١ .

٨٦. عودة (عبدالملك)، ثورة الزنوج في أميركا . القاهرة : دار الهلال ، ١٩٦٥ .

٨٧. عودة (محمد ماهر)، الوثائق السياسية والإدارية للعصور العباسية المتتابعة، ط٢. بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٢ .

٨٨. الغزالي (محمد)، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام . الكويت : دار البيان ، بلا تاريخ .

٨٩. الغزالي (محمد)، خلق المسلم ، ط٨ . القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٩٧٤ .

٩٠. فروخ (عمر)، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٣ .

٩١. الفنجري (أحمد شوقي)، الحرية السياسية في الإسلام ، ط٢ . الكويت: ١٩٨٣.

٩٢. القرضاوي (يوسف)، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥ .

٩٣. القرضاوي (يوسف)، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا . بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٣ .

٩٤. القرضاوي (يوسف)، الإسلام بين شبهات الضالين وأكاذيب المفترين. القاهرة: مطبعة الأزهر ، ١٩٦٠ .

٩٥. القرضاوي (يوسف)، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، ط١٢ . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩١ .

٩٦. القرطبي (محمد بن أحمد)، الجامع لأحكام القرآن . القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٦٧ .

٩٧. القزويني (محمد بن يزيد بن ماجة)، سنن ابن ماجة . مصر : المطبعة التجارية ، ١٣٤٩هـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩٨. قطب (سيد)، في ظلال القرآن ، ط١٠. القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨١ .
٩٩. قطب (سيد)، معالم في الطريق . بيروت : دار الشروق ، بلا تاريخ .
١٠٠. قطب (محمد)، شبهات حول الإسلام ط٦ . بيروت : دار الشروق، بلا تاريخ.
١٠١. قلعجي (محمد رواس)، التفسير السياسي للسيرة . بيروت : دار السلام للطباعة والنشر ، ١٩٨٣ .
١٠٢. الكاساني (علاءالدين)، بدائع الصنائع . القاهرة : مطبعة الجمالية ، ١٣٢٨هـ
١٠٣. كشاكش (يوسف)، الحريات العامة في الأنظمة السياسية المعاصرة. الاسكندرية: منشأة المعارف ، ١٩٨٧ .
١٠٤. كنون (عبدالله)، مفاهيم إسلامية . بيروت : مطبعة بيروت ، ١٣٨٤هـ .
١٠٥. الكيلاني (إبراهيم زيد) وآخرون ، دراسات في الفكر العربي الإسلامي ، ط٢. عمان : دار البشير ، ١٩٨٩ .
١٠٦. الماوردي (علي بن محمد)، الأحكام السلطانية ، ط٣ . القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، ١٩٧٣ .
١٠٧. متولي (عبدالحميد)، الحريات العامة . الاسكندرية : منشأة المعارف، ١٩٧٥.
١٠٨. متولي (عبدالحميد)، أزمة الفكر السياسي الإسلامي . الاسكندرية : دار الفكر، ١٩٧٥.
١٠٩. متولي (عبدالحميد)، مبادىء نظام الحكم في الإسلام . الإسكندرية : دار الفكر، ١٩٧٥.
١١٠. مجموعة من الباحثين، حماة مأساة العصر . من منشورات المكتب الإعلامي للإخوان المسلمين ، بلا تاريخ .
١١١. مذكور (محمد سلاّم)، معالم الدولة الإسلامية . الكويت : مكتبة الفلاح، ١٩٨٣.
١١٢. محفوظ (عبدالمنعم) ،والخطيب (نعمان)، مبادئ في النظم السياسية. عمان: دار الفرقان ، ١٩٨٧ .
١١٣. المحمصاني (صبحي)، أركان حقوق الإنسان . بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٧٩.
١١٤. المحمصاني (صبحي)، القانون والعلاقات الدولية في الإسلام . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١٥. مركز دراسات المستقبل الإسلامي، المستقبل الإسلامي(كتاب غير دوري) . لندن : ١٩٩١.

١١٦. مصطفى (حلمي)، نظام الخلافة في الفكر الإسلامي . الإسكندرية : دار الدعوة ، بلا تاريخ .

١١٧. مفتي (محمد)، و الوكيل (سامي) ، النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية . قطر : رئاسة المحاكم الشرعية ، ١٩٩٠ .

١١٨. مؤسسة آل البيت، معاملة غير المسلمين في الإسلام. عمان: المجمع الملكي، ١٩٨٩ .

١١٩. المودودي (أبو الأعلى)، الحكومة الإسلامية ، ترجمة أحمد إدريس . القاهرة : المختار الإسلامي ، ١٩٧٧ .

١٢٠. المودودي (أبو الأعلى)، حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية . دمشق : دار الفكر ، بلا تاريخ .

١٢١. المودودي (أبو الأعلى)، تدوين الدستور الإسلامي ، تعريب عاصم حداد . دمشق : دار الفكر ، ١٩٧٢ .

١٢٢. الندوي (أبو الحسن)، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . الكويت : دار القلم، ١٩٧٧ .

١٢٣. النفيسي (عبدالله)، في السياسة الشرعية . الكويت : دار الدعوة ، ١٩٨٤ .

١٢٤. النووي (يحيى بن شرف)، رياض الصالحين . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٢.

١٢٥. النووي (يحيى بن شرف)، شرح صحيح مسلم . القاهرة : الدار المصرية ، بلا تاريخ.

١٢٦. النووي (يحيى بن شرف)، شرح متن الأربعين النووية : دمشق ، مكتبة دار الفتح ، ١٩٨٢ .

١٢٧. هارون (عبدالسلام)، تهذيب سيرة ابن هشام . دمشق : دار الفكر، ١٣٧٤هـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصحف والدوريات

١. جريدة آخر خبر، العدد ١٥ . عمان ، تاريخ ١٩٩٠/١٢/١٠ .
٢. مجلة الجذور، العدد الرابع . عمان ، شباط ١٩٩١ .
٣. جريدة الدستور، الأعداد من ٨٨٤٠-٨٩٠٠ . عمان ، ١٩٩١ .
٤. جريدة الدستور، العدد رقم ٨٩٢٦ . عمان ، ١٩٩٢/٦/٣٠ .
٥. جريدة الرأي، الأعداد من ٧٨٧٥-٨٠٠٥ . عمان ، ١٩٩٢ .
٦. جريدة الرباط، الأعداد من ٣٠-٦١ . عمان ، ١٩٩٢/١٩٩١ .
٧. جريدة القدس العربي، العدد ٣٤٩. لندن، ١٤ حزيران ١٩٩٠ .
٨. جريدة اللواء، الأعداد من ٩٥٠-١٠٠١ . عمان، ١٩٩٢/١٩٩١ .

٤١٦٢٨٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit